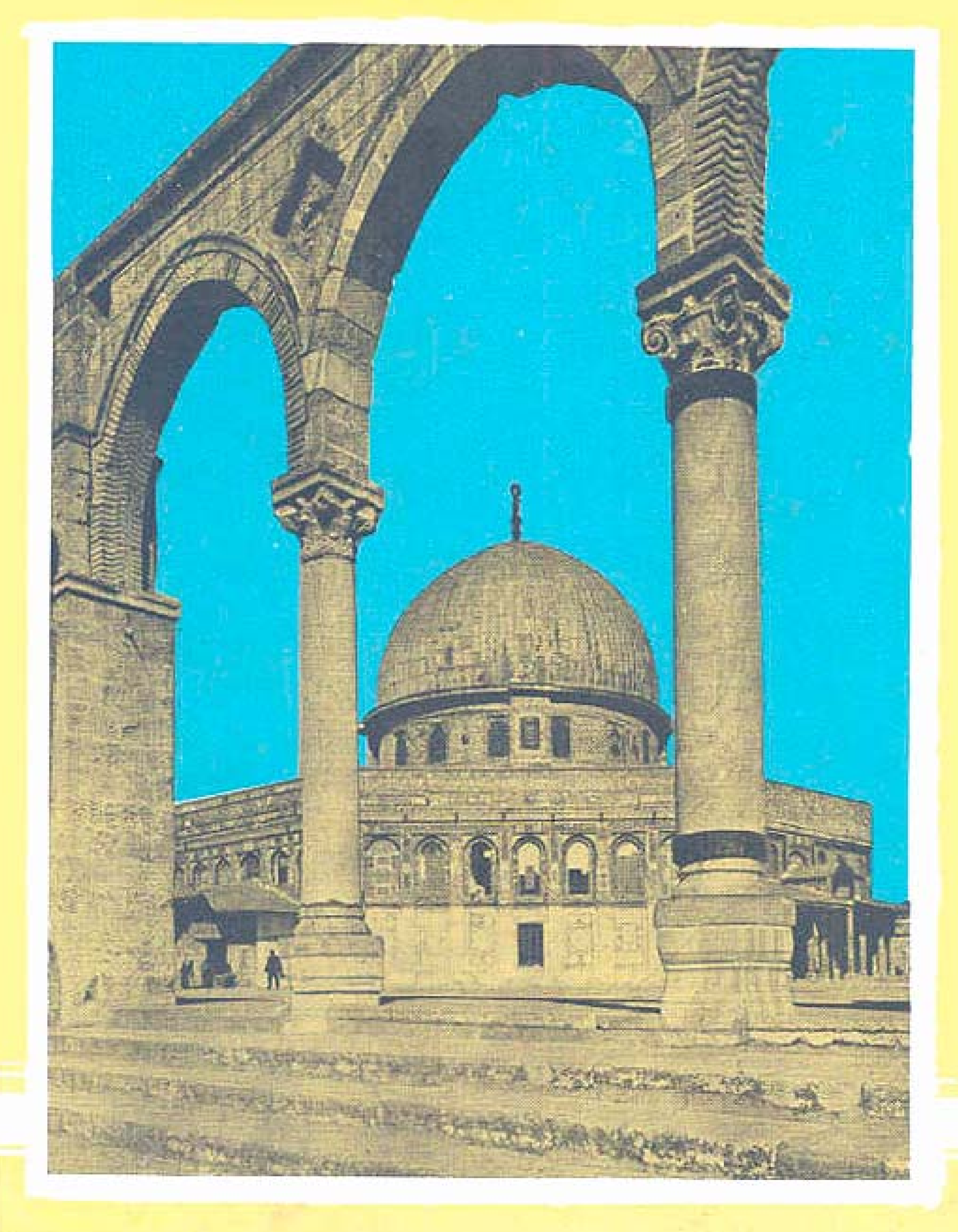
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر



العدد السادس . السنة الثالثة
رمضان 1379 • مارس 1960

تصدرها وزارة عموم الأوقاف

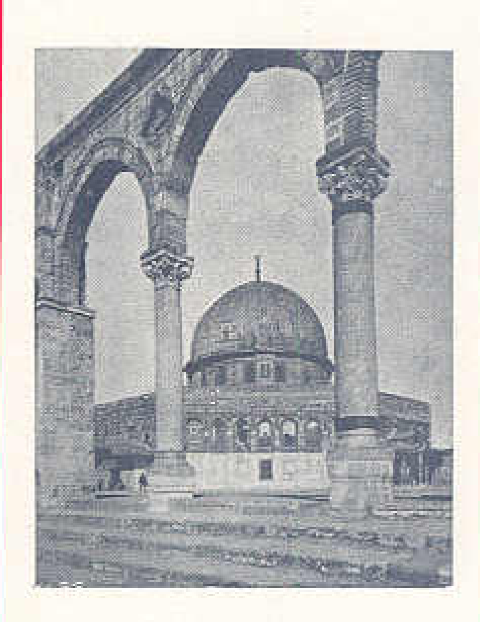
مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
محمد الطنجي

دعوة الحق

العدد السادس
السنة الثالثة
رمضان 1379
مارس 1960

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



منظر خارجي للمسجد الاقصى بالقدس ، المكان الذي يلي - من حيث القداسة - مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ويعرف ايضا باسم الحرم الشريف وبثالث الحرمين .

بيانات ادارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التحرير - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لايقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك فى حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 - 485 - الرباط -
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا فى حوالة بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» - قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط - المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
فى كل مايتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع - وزارة عموم الاوقاف - الرباط
تليفون 308.10 - الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

رمضان كريم

استقبل المغرب المسلم ، كما استقبلت الاقطار الاسلامية الشقيقة، شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فتنصرف نفوس المسلمين في هذا الشهر للصيام والعبادة احياء لذكرى نزول القرآن الذي هو اصل العقيدة الاسلامية ، ومعجزة النبي الخالدة الباقية .

واذا كان الصوم امتثالا وطاعة تعبدنا الله بها ليعرف المؤمن الصادق منا من المدعي الكاذب فانه الى ذلك تهذيب للنفس ، وراحة للروح ، وتطهير للضمير .

والاسلام الذي اراد الله لمعتنقيه أن يكونوا امة وسطا ، ليكونوا شهداء على الناس ، لم يرد لهم ان ينصرفوا الى الناحية المادية الصرف من الحياة فيفقدوا سموهم الروحي الذي يصلهم بالله ، ولا ان ينصرفوا الى الناحية الروحية الصرف فيفقدوا قوتهم المادية التي تصلهم بالحياة .

ومن اجل ذلك كله جعل الله شهر رمضان موسما سنويا من مواسم الايمان ، يحل مرة في الحول ليتعهد فيه المسلم عقيدته بتدارس القرآن ، ويطهر روحه مما علق بها من الادران، ويهذب نفسه بما يعودها من احسان

ولذلك كان الصوم ـ كما ورد في الحديث الصحيح ـ جنة ، اي وقاية للروح وصيانة للنفس ، وطولب المسلم بان لا يرفث أثناء صيامه ، ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل اني صائم .

وورد في الحديث الصحيح ايضا **« اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب السماء ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » .**

فسمو المؤمن الروحي ، وصلته بالملا الاعلى ، وقربه من الحضرة الالاهية كل ذلك مهيء له في هذا الشهر الذي تفتح فيه أبواب السماء أي تقرب أسباب الهداية، وتسلسل فيه الشياطين ، اي تنقطع اسباب الغواية ، وتغلق فيه ابواب جهنم أي توصد سبل العقاب .

وبهذا يخرج الصيام من دائرة تعذيب الجسم بالجوع ، الى دائرة تهذيب النفس بالطاعة ، ومن ارهاق الجسد بالعطش الى ارهاف الروح بالقناعة ، ومن استعباد المادة القاسية ، الى انطلاق الروح المتسامية .

ولذلك كان صيام المسلم ـ دون سائر اعمال ابن آدم ـ منسوبا لله ، لانه يقربه منه ، حيث قال الله عز وجل : **« كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي ، وأنا أجزي به »** وكان للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا افطر فرح ، واذا لقي ربه فرح بصومه .

والمغرب المسلم الذي يتمثل هذه المعاني كلها ، وهو يستقبل شهر رمضان ، يرجو ان يجعله الله شهر امل ورجاء ، يشمل فيه البلاد الاسلامية برحمته ، ويوطد أواصر القربى بينها ، ويمكن لها دينها الذي ارتضاه لها ، ويبدلها من بعد خوفها أمنا .

دعوة الحق



ليس من مهمة هذه المجلة ان تسجل الحوادث ولكن فاجعة المغاربة اجمعين بمأساة مدينة اكدير الشهيدة سجلت في القلوب بالاسى والتصبر وفي العيون بجريان دموعها غزارا واحدث دويها في العالم اعظم صدى من الالم والعطف والمواساة ، فكان تسجيل هذه المجلة لهذه الحادثة الاليمة انما هو كلمة عزاء ودمعة رثاء ، وان العين لتدمع وان القلب ليحزن ، ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا بك يا اكدير لمحزونون .

« دعوة الحق »

ثلاث نكبات توالت على المغرب في اقل من سنة : نكبة الفيضانات التي اكتسحت سهول الغرب ، ومحنة الزيوت المسمومة ، وفجيعة اكدير ، وقد خلفت كل واحدة منها ذيولا من المآسي ، وكانت اعظمها على الاطلاق كارثة اكدير حيث استشهد بها عشرة آلاف مواطن او يزيدون ، وجرح الالاف ، وتشرد الباقي ، وماتت مدينة عن آخرها ، فلم يبق منها الا خرائب واطلال تذكر بما كانت عليه جوهرة الجنوب من فتنة وعذوبة مناخ وجمال .

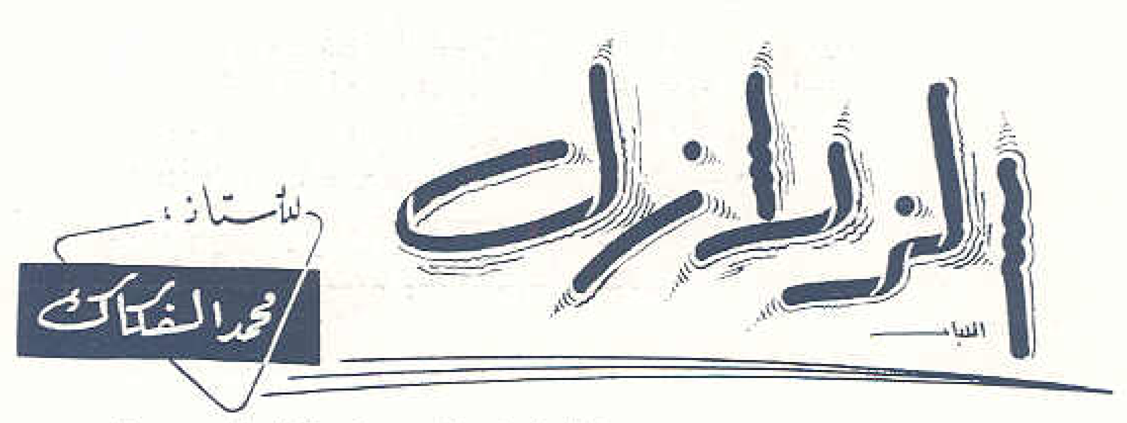
لقد انجلت هذه الكوارث عن عشرات الاف من المنكوبين في اهلهم واجسامهم واموالهم ، ومن بينهم ضحايا الزيوت المسمومة الذين اصيبوا بالشلل الجزئي او الكلي ، فاصبحوا عاجزين عن كل عمل ، ومنهم هذا الجيش الجرار من المتشردين الذين ضاع لهم كل شيء في زلزال اكدير ، ففقدوا يجرون معهم البؤس واليتم والوحشة والخيبة ، واذا استثنينا نكبة الزيوت التي تسببت فيها عصابة من المجرمين ، الفينا بقية المصائب راجعة الى عوامل طبيعية بحتة يقف الانسان عاجزا امام هولها ، فلا يملك حيلة لردها، وكل ما يملك هو محو الآثار التي تخلفها هذه الفواجع.

ومن سوء الحظ ان تتوالى نكبات من هذا القبيل على بلد مثل بلدنا قريب العهد بحياته الجديدة ، ولما ينته بعد من تضميد جراحاته السابقة وعلاج مشاكله التي ورثها عن عهد العبودية والسيطرة الاجنبية ؛ ان تصفية هذه المشاكل وحدها تستلزم جهودا جبارة وكثيرا من التضحية والعمل المتواصل. وكان المغرب في غنى عن مشاكل جديدة تشعب الطرق امامه وتؤخر امد القضاء على حالة التخلف التي يوجد عليها في الظرف الراهن .

لكن الحكمة الالهية اقتضت العكس ، وكأنها تريد ان تمتحننا لترى هل نستطيع الصمود للامتحان ومواجهة الطوارىء بما يجب من الحزم والتجلد والارادة ، لقد اخذ الشعب قاطبة بهول المحن التي حلت ببلاده واخوانه ، وذرف الدموع ولكن التحسر غير مجد في علاج المشاكل التي تركتها فاجعة اكدير والنكبات الاخرى من ورائها ، وانما المفيد الناجع هو التوجه بعزيمة قوية لمحو آثار هذه الكوارث والتضامن في سبيل هذه الغاية ، ومما يمهد الطريق هذا التضامن الوطني الذي ابداه الشعب امام فاجعة اكدير ، وهذا العطف الذي لقيته بلادنا من لدن كافة الدول ، وكلاهما رصيد ثمين لا ينبغي ان نضيعه بل الواجب ان نستثمره لفائدة تطور بلادنا وتقدمها .

لقد عقد جلالة الملك عزمه على اعادة بناء اكدير ، واسند الاشراف عليها لسمو ولي العهد ، والتزم بتدشينها بعد عام ، وهو عهد قطعه على نفسه امام الملا من الدول التي هبت لاسعاف بلادنا في محنتها ، كما التزم به باسم المغرب باسره ، وستظل هذه الامم ترقب عن كثب مدى برنا بالوعود ، ومقدار صلابة ارادتنا ، فان نحن صمدنا الى الامتحان القاسي الذي نتعرض له اليوم ، وعبانا انفسنا من وراء جلالة الملك للبر بالوعد ، وشحذنا العزائم لمحو آثار هذه الفاجعة في اقرب الآماد ، كسبنا الرهان ، وازداد العالم عطفا علينا .

ان المحنة التي رمانا بها القدر مقياس على قوة ارادتنا وايماننا ، فعلينا وحدنا ان نقيم الدليل امام الملا على هذه القوة .



اذا زلـزلت الارض زلـزالها واخـرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها .
قرآن كريم

لعل كثيرا من القراء بعد كارثة اكادير يتساءلون عن الزلازل ومصادرها واسبابهـا وتأثيرهـا ممـا سنوضحه فيمـا بعـد .

الزلزال : هزات ارضية تنتـاب بعض اجـزاء القشرة الارضية فى فترات متقطعة ، وقد تكون هـذه الهـزات ضعيفة فلا تحس بهـا سوى آلات الرصـد كما انها قد تكون من العنف بحيث تتسبب فى هـلاك آلاف من الارواح وتدمير معالم مدينة كاملة كما حدث فى مدينة اكاديـر .

والزلزال هزات تتلو كل واحدة منها الاخـرى وقد تتوالى قبل ان تعود القشرة الارضية الى حالتها الطبيعية ، ويبتدىء الزلزال بهزات ضعيفة مصحوبة باصوات تقصف كالرعد منبعثة مـن باطـن الارض ، وتتلو ذلك هزات كبرى عنيفة تدمر كل شيء باذن ربها، ثم تتناقص شيئا فشيئا حتى تقف نهائيا .

والمتتبع لزلزال اكادير يلاحظ انه بدا بهـزات خفيفة لم يكن يشعر بها احد ، وقـد صحبها هديـر كصوت الرعد ، ولـم يشعر بعد ذلـك الا والسقوف تخر على من تحتها والبناءات تتحطم ، ثم اخـذت الهزات تتناقص .

اسباب الزلازل : السبب الاول لحدوث الزلازل هو **تقلصات** القشرة الارضية فينتج عن ذلك تجعيدها وانفلاقها ، وقد دلت المشاهدات للـزلازل التي حدثت فيما قبل ، على ان المهول منها يحدث حيث القشـرة الارضية مجعدة فى تجاعيد هامة ، كان من نتائجهـا تكوين سلاسل الجبال العظمى ، كذلـك حيث انفلقت القشرة الارضية فى فوالق كبرى ، وهذا ما يجعـل القشرة الارضية فى حالة غير ثابتة ، ويؤدي الى انزلاق اجزاء كبيرة منها ، ومدينة اكادير تحتوي على تجاعيد كثيرة تسهل حدوث الزلازل ، زيادة على انها واقعـة فى منطقة يغلب فيها حدوث الزلازل العنيفة ، وهـي منطقة البحر الابيض المتوسط وهي البلاد التي تمتد من شواطيء البحر الابيض مارة بجبال البرانس والالب الى الهملايا فجزائر الهند الشرقية ، بالاضافة الـى المنطقة التي تحيط بها بالمحيط الهادي ويلاحـظ فى هاتين المنطقتين تجعد القشرة الارضية فى العصـور الجيولوجية الاخيرة فكان من جـراء هذا التجعيـد تكوين سلاسل الجبال العظمى وهبوط احواض البحر والمحيط الهادي .

ويظهر ان القشـرة الارضـية فى هذه المناطق لـم تبلغ بعد حالة الثبات فهي عرضة للانفـلاق والانزلاق واما السبب الثاني لحدوث الزلازل فهو التفاعـلات البركانية ، وهذا النوع يصحبـه اهتزاز فى الارض يتناول مناطق واسعة محيطة بمكان البركـان ، على ان هذا النوع خاص من الزلازل ، فلا يمكن تفسيـر جميع الزلازل على اعتبار ان لها علاقـة بالبراكيـن ، ففي اليابان حيث يتكرر حصول الزلازل بلا انقطـاع لا توجد من البراكين ما يمكن ارجاع اسباب هـذه الزلازل اليها ، كما ان الزلازل المتكـررة التي حدثت فى منطقة « مسينا » بجزيرة صقيلية لم تكن مصحوبة باي تغيير فى حالة البراكين القريبة منهـا ، وكذلـك زلزال « سان فرانسيسكو » ابعد ما يكون عن منطقة البراكيـن .

السرعة : وتختلف سرعة انتقال الـزلازل باختلاف قوتها والمناطـق التي تخترقها وتركيبهـا الصخري ، وقد قدرت سرعة انتقال الزلزال الـذي

حدث فى اسبانيا سنة 1755م بنحو 2100 كيلومتر فى الساعة والزلزال الذي حدث فى المانيا عام 1872م بنحو 900 كيلومتر فى الساعة ، والذي حدث فى « البيرو » بجنوب امريكا عام 1860م بنحو 720 كيلومتر فى الساعة

تاثير الزلازل فى القشرة الارضية : على ان للزلازل اثرا فى القشرة الارضية نفسها منها انشقاق الارض فى شقوق قد تبقى مفتوحة وقد تمتلىء بما ينهار عليها من مواد صخرية من الجانبين ، وقد يحدث انخفاض فى جانب من الشق دون الآخر فيسمى بالفالق ، وقد حدث ان انفلقت الارض باليابان سنة 1891م على طول 113 كيلومتر فهبط جانب من جانبي الشق بمقدار يتراوح بين 61 و63 امتار كما ان الزحف الجانبي بلغ 4 متر .

وفى الولايات المتحدة حدث زلزال شهير بمدينة (سان فرانسيسكو) عام 1906م فانفلقت الارض وتكسرت انابيب المياه والغاز ، وتقطعت اسلاك الكهرباء على طول خط الفالق ، فحدثت من جراء ذلك الحرائق التي اصبحت اكبر بلاء من الزلزال نفسه حيث حال تعطيل انابيب المياه دون مكافحة هذه الحرائق .

ومن اثر الزلزال احيانا انهيار جروف فى الجبال وانزلاق كتل صخرية كبيرة منها كما ان مياه بعض العيون والآبار قد تنضب ان تسرب اليها ما تحدثه الاهتزازات من شقوق جديدة فى القشرة الارضية ، وقد تظهر للسبب نفسه عيون جديدة كما حدث فى سوريا من ظهور عين كبريتية جديدة بعد زلزال 1926 .

وقد يختلف موقع الزلزال ، فقد يكون تحت سطح البحر ، فتنتاب مياهه موجات جزرية شديدة تكتسح الشواطىء لمسافات بعيدة ومثل ذلك حدث قرب مدينة جاوا سنة 1882 فقذفت الامواج باخرة الى داخل الغابات المحيطة بالشاطىء على بعد اربع كيلو مترات منه .

وعلى ذكر حركة الزلزال الذي قد يوجد فى البحر ، فان مدير مرصد (اوسلوا) عاصمة النرويج صرح ان موجات جزرية اكتسحت شواطىء مقاطعة (روكالاندا) ثلاث مرات فى مدة لاتتجاوز ربع ساعة ، وكل عملية جزر استغرقت دقيقتين قبل ان يحدث زلزال اكادير بمدة ثلاث ساعات .

فهل زلزال اكادير امتد عمله الى النرويج فى بحر تلك المقاطعة ام ان زلزال النرويج امتد عمله الى مدينة اكادير ؟ ويضيف مدير المرصد قائلا ان نفس الظاهرة حدثت فى سنة 1950 فى النرويج عندما حدث زلزال (الاصنام) ببلاد الجزائر ، لكن الفرق الزمني بين اضطراب البحر وزلزال اكادير جاء صغيرا ، وان المرصد سجل الزلزال بصورة واضحة الا انه جاء ضعيفا نسبيا ، الامر الذي يدل على ان الزلزال حدث فى الطبقة السطحية من الكرة الارضية .

بقي علينا ان نبين ان هزات الزلزال تختلف فى القوة وفى النوع ، فقد يكون الزلزال ضعيفا او عدد هزاته غير متوالية او قد يكون امتدادا لزلزال اصلي ، كالزلزال القصير الذي حدث فى الرباط منذ 1775 م وزعزع صومعة حسان ، واطاح ببعض معالم « وليلى » قرب مدينة زرهون وقد جاء امتدادا لزلزال الذي شمر مدينة لشبونة عن آخرها ، وقد تكون هزات الزلزال كثيرة متوالية كزلزال عام 1905 الذي حدث فى مقاطعة « كالابريا » بجنوب ايطاليا حيث بلغت هزاته مائتين ما بين 8 و 21 دجنبر الى ان عادت الارض الى ثباتها وسكونها .

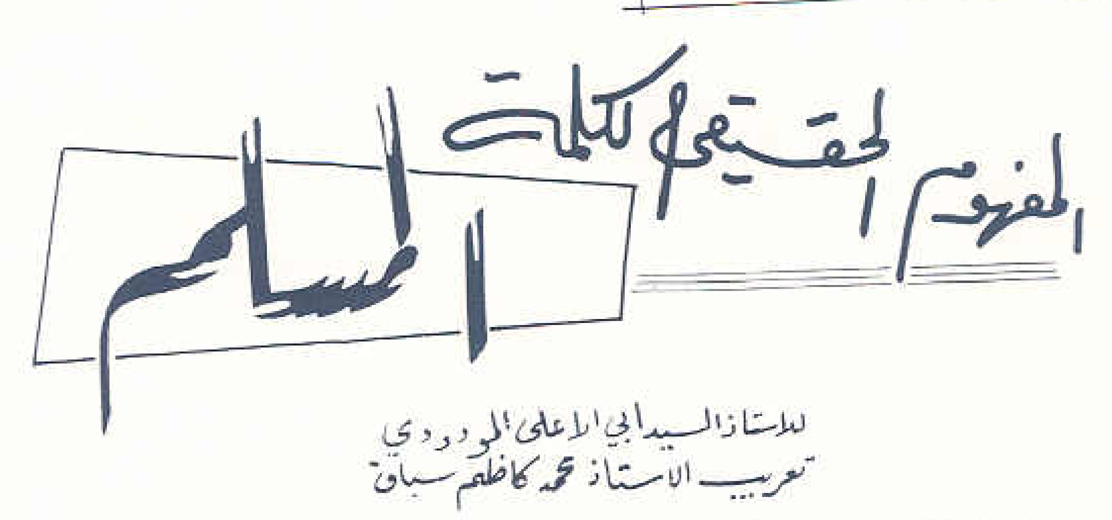
واما انواع الهزات فهي اما :

1 – راسية من اسفل الى اعلى ، وينتج عنها قذف الصخور وبعض المباني فى الهواء فقد رئيت بعض الاكواخ فى (كالابريا) اثناء زلزال 1782 وقد ارتفعت فى الهواء قبل ان تتهدم

2 – او افقية وهو النوع السائد فى الزلزال وينتج عنه تهدم مايقوم على السطح من مباني ، ويغلب ان يكون سقوطها جميعا فى اتجاه واحد هو اتجاه سير الزلزال كما حدث فى مدينة اكادير .

3 – او دائرية وهو نادر ، وقد لوحظ فى طوكيو باليابان ابان زلزال عام 1880 ان بعض المباني كانت تدور حول محورها اثناء حدوث الزلزال .

دراسات إسلامية



قد راج فى كلامنا العام كلمات وتراكيب ينطق بها الصغير والكبير ، ولكن قل منهم من يفهمها ويدرك غور معانيها ، وبكثرة دوران تلك الكلمات على الالسن قد قر لها فى اذهان الناس مفهوم اجمالي ، فاذا تكلم بها ناطق اراد ذلك المفهوم ، واذا سمعها سامع فهم منها نفس المفهوم المختزل ، ولكن المعاني العميقة الدقيقة التي قد كان وضع الواضع تلك الكلمات لاجلها لا يهتدي اليها المتعلم المثقف بله الجاهل العامي .

خذ مثلا كلمتي (الاسلام) و (المسلم) . فما أكثر جريان هاتين الكلمتين على افواه الناس وما اعم سيطرتهما على السنتنا : ولكن كم من الناطقين من ينطق بهما وهو يشعر بما تتضمنان من المعاني ، وكم من السامعين من يسمعهما ، يفهم منهما تمام المفهوم الذي كانتا وضعتا لاجله ، ان فى المسلمين انفسهم ــ دع عنك ذكر غير المسلمين ــ تسعا وتسعين بالمائة بل أكثر من ذلك يدعون انفسهم (مسلمين) ويعبرون عن دينهم بكلمة (الاسلام) ولكنهم لا يعلمون من هو (المسلم) وما هو المفهوم الحقيقي لكلمة (الاسلام) فما اجدرنا أن نقضي بعض اوقاتنا اليوم فى تشريح هاتين الكلمتين .

انك ان نظرت فى احوال الناس من ناحية الاعتقاد والعمل وجدتهم على اقسام ثلاثة فى أغلب الاحوال :

اولها هم الذين يقولون علنا بحرية الراي وحرية العمل ، فهم فى امر من امور حياتهم يعتمدون على رايهم انفسهم ويؤمنون بما تحكم به عقولهم وكفى ، ويختارون من طرق العمل ما يكون فى رايهم انفسهم صوابا ، فهم لا علاقة لهم بدين من الاديان ولا هم يتبعونه .

والقسم الثاني يتألف من الذين هم يدينون بدين ما فى ظاهر امرهم ، ولكنهم يتبعون فى الحقيقة آراءهم وافكارهم انفسهم ، فهم لا يرجعون الى دينهم ليأخذوا منه العقائد وقوانين الحياة ، بل هم يتخذون بانفسهم بعض العقائد حسب ما تشاء أهواؤهم وميولهم وحاجاتهم ، ويختارون لانفسهم طرقا للعمل ، ثم يحاولون أن يصوغوا دينهم على صيغتها ويصبغوه بصبغتها ، فهم لا يكونون فى الحقيقة اتباعا للدين بل الدين يكون تابعا لهم ولاهوائهم .

والثالث يشتمل على الذين لا يستعملون عقولهم ، بل يعطلونها تعطيلا ، ويجرون وراء غيرهم يقلدونهم تقليدا اعمى ، سواء كان اولئك اجدادهم او معاصريهم .

فالطائفة الاولى تتهالك على الحرية ولكنها لا تعلم حدودها الصحيحة ، ان حرية الفكر والعمل لا شك صحيحة الى حد ما ، ولكنها اذا جاوزت حدودها عادت ضلالا ، فالرجل الذي لا يعتمد الا على رايه فى كل امره ، ولا يحتكم الا الى عقله فى جميع الشؤون ، فهو واقع فى سوء الفهم ويظن خطا ان عمله وعقله قد احاط بجميع امور هذه الدنيا ، فلا تعزب عنه حقيقة او مصلحة ، وأنه خبير بمعالم كل طريق فى الحياة عارف بدقائق كل مذهب ، عالم بنهاية كل سبيل كعلمه ببدايتها ، هذا الزعم للعلم والتعقل فى الحق زعم خاطىء ، ولو احتكم المرء الى عقله بصدق لدله عقله بنفسه على انه ــ اي العقل ــ لا يتصف بالصفات التي يظنها فيه مقلده الاعمى وان الذي يتخذه قائدا ولا يسلك طريق حياته الا على هديه ، لا يمكن ان ينجو من زلة او كبوة ومن مهلكة او ضلال .

وهذا النوع من حرية الفكر والعمل ضار بالتمدن والحضارة ايضا ، فمما تقتضيه الحرية الا يعتقد المرء الا ما صح فى رايه نفسه والا يسلك من الطرق الا ما صوبه عقله هو ، ومما يقتضيه التمدن والحضارة ــ بخلاف

ذلك – هو ان جميع من ينظمهم نظام للتمدن يجب ان يكونوا متفقين في بعض العقائد والافكار الجوهرية ، ويتبعوا في حياتهم تلك الآداب والعادات وتلك القوانين التي قد قررت لنظم الحياة الاجتماعية ، فانت ترى ان حرية الفكر والعمل تتناقض مع التمدن والحضارة ، ان الحرية تبعث في الافراد الانانية والاباحية والفوضى ، والتمدن يطالبهم بالاتباع والاطاعة والرضا ، لذلك حيثما كانت الحرية انعدم التمدن ، وحيثما كان التمدن كان على الافراد ان ينزلوا من حرية فكرهم وعملهم عن شيء كثير .

والطائفة الثانية أسوأ حالا من الاولى ، فالطائفة الاولى ضالة فحسب ، ولكن الثانية كذابة أيضا، ومنافقة غاشة مدخولة الباطن ، وان كان رجل يستطيع ان يوافق بين دينه وافكاره وميوله ضمن الحدود الصحيحة للتأويل فانه يمكن اتباع الدين مع حرية الفكر والعمل ، كذلك ان كانت ميول الرجل مخالفة لتعاليم الدين ، ولكنه صوب تعاليم الدين وخطأ ميوله هو ، صحت دعواه – الى حد – انه يدين بذلك الدين الذي يدعى اتباعه ، ولكنه ان كانت عقائده وأعماله صريحة الاختلاف عن تعاليم الدين الواضحة ، ثم جاء هو يصوب أفكاره نفسه، ويخطيء تعاليم الدين ، ويحاول ان يثبت كون التعاليم الدينية مطابقة لافكاره وعاداته كيما يستطيع ان يعد من المؤمنين ، فانا ان ندعو مثل هذا الرجل احمق ، لان الاحمق لا يتأتى له مثل هذا المكر والخديعة ، انا سندعوه اذن كذابا وسنضطر الى ان نظن فيه انه لا يملك من الجراءة ما يبقي به على الدين علنا ، لذلك يدعى ايمانه من طريق النفاق ، والا ما الذي يمنعه – يا ترى – من هجر دين قد جاءت تعاليمه تخالف عقله وتناقض افكاره وعقائده وتمنعه من اتباع الطرق التي يحب ان يسير عليها من صميم القلب ، بل هو سائر عليها في الواقع .

والطائفة الثالثة اسفل هذه الطوائف جميعا باعتبار درجتها العقلية ، فانما خطأ الطائفتين الاوليين انها تحملان العقل ما لا طاقة له به ، ولكن خطأ هذه الطائفة انها لا تستعمل العقل اصلا او تستعمله استعمالا نزرا سواء هو والعدم ، وأي خزي اكبر لعاقل ان يعتقد عقيدة ما ثم لا يكون بيده دليل يحق تلك العقيدة سوى أنه ألفى عليها آباءه ، أو أن تومن بها الامة الفلانية التي هي على درجة عالية من الرقي ، كذلك ان الرجل الذي يتبع بعض الطرق في شؤونه الدينية او الدنيوية لكونه قد توارثها عن آبائه واسلافه ، أو يختار الطرق الاخرى بناء على كونها رائجة بين الامم الغالبة في زمانه ، كأنه يبرهن عن نفسه أنه ليس في جمجمته دماغ ولا في دماغه قوة للفكر ، فهو لم يؤت من ملكة يميز بها بين الخاطيء والصحيح : انه ولد في بيت يهودي بالمصادفة فهو يؤمن بصدق الديانة اليهودية ، ولو انه ولد في بيت مسلم لآمن بصدق الاسلام ، او ولد لابوين نصرانيين لتحمس للنصرانية ، كذلك من المصادفة ايضا ان الغلبة في زمانه للامم الفرنجية ، فهو يعد عادات الافرنج معيارا للتهذب ورمزا للرقي ، ولو كانت الغلبة في زمانه للصينيين لكانت عادات الصينيين هي عنوان التهذب عنده ، وان تكن الغلبة اليوم في العالم لحبش الافريقية فلا جرم يعود هذا الرجل الحنيف العقل يعتقد الحبشية هي عصارة الانسانية والتحضر .

الحق انه لا يصح ان يستدل على صحة شيء وصدقه بانه قد عمل به الآباء والاسلاف او بأنه معمول به اليوم في الدنيا ، فان الدنيا انما وقعت فيها الحماقات قديما وحديثا ، وليس لنا ان نقلد تلك الحماقات تقليدا اعمى ، ولا لنا ان نروح نتبع كل طريق من الطرق القديمة او الجديدة بدون أن نرى ونتبصر ، فنربط انفسنا بذيل كل سائر في الطريق ، سواء أكان ماضيا الى الاشواك او الى هوة من ضلال ، وانا انما اوتينا العقل لاجل ان نميز بين الخير والشر في هذه الدنيا ونفرق بين الصحيح والزائف بعد ان نختبرهما على المحك ، وان نرى – قبل ان نقتدي برجل – أين هو سائر بنا ، والاسلام يعد كل هذه الطوائف الثلاث واقعة في الباطل والضلال .

اما الطائفة الاولى فهو يقول فيهم انهم لا يقتدون بمن عنده النور ، ولا هم بأيديهم انفسهم نور الحق والصدق حتى يستضيئوا به في طريق حياتهم ، فمثلهم كمثل من رجم بالغيب ومشى على الدرب في الظلام ، فقد يبقى على المحجة وقد يعدل عنها ليقع في الحضيض، ذلك بأن الظن والتخمين ليس من اليقين في شيء ، بل هو عرضة للصحة والخطأ ، ووقوع الخطأ فيه اكثر احتمالا :

وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون (يونس : 66)
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا (النجم : 28)

ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، أم للانسان ما تمنى (النجم : 23 ــ 24)
أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله (الجاثية : 23)

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين (القصص : 50) .

والطائفة الثانية كان يمثلها في زمان نزول القرآن بنو اسرائيل ، وهم كانوا يدعون انفسهم خلف موسى عليه السلام ومتبعي التوراة ، الا انهم كانوا في عقائدهم ومعاملاتهم في الاغلب على خلاف ما جاء به موسى عليه السلام والتوراة ، ثم كانوا لا يخجلون على انحرافهم ذلك ، وبدل ان يصححوا افكارهم واعمالهم حسب تعاليم التوراة كانوا يحرفون الكلم ويؤولون المعاني في التوراة ليطابقوا بين كتاب الله وافكارهم واعمالهم ؛ وكانوا يخفون تعاليم التوراة الاصلية ويعرضون مكانها افكارهم انفسهم كأنها هي تعاليم التوراة . والذين يشهونهم على ذلك الضلال والعصيان ويدعونهم الى اتباع كلام الله على مالا يهوون ، فكان هؤلاء يجازونهم بالسب والشتم والتكذيب ، وحتى بالقتل في بعض الاحيان، فقال الله تعالى في هذه الطائفة :

يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم (المائدة : 13) .

يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون (آل عمران : 71) .

كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . (المائدة : 70) .

ثم يقول لهم بصراحة : **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** (المائدة : 68) .

وفي الطائفة الثالثة قال الله عز وجل :

واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون (البقرة : 170) .

واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (المائدة : 104) .

وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون (الانعام : 116)

ان الذين لا يستعملون عقولهم وأفهامهم ولا يميزون بأنفسهم بين الصحيح والزائف ، بل يقلدون غيرهم تقليدا أعمى ، يحكم عليهم القرآن بأنهم : **صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ، ويشبههم بالانعام ، بل يجعلهم احط منها لان الانعام غير ذوات العقل ، وهؤلاء ذوو العقل ، ولكنهم لا يستعملونه ، أولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون .

هذه الطبقات الثلاث التي هي واقعة بين الافراط والتفريط في عقائدها واعمالها يردها القرآن الكريم ويريد ان يأتي مكانها بأمة تلتزم القصد والاعتدال ، امة وسط ، قوامين بالقسط .

وما هو طريق القصد والاعتدال هذا ؟ هذا الطريق هو ان تشقوا عن أعينكم جميع الحجب التي قد أسدلتها عليها التقاليد القديمة والتعاليم العصرية ، فافتحوا اعينكم على ضوء العقل السليم ، وانظروا ما الحق وما الباطل ، ؟ الالحاد صحيح أم التوحيد ؟ والتوحيد حق أم الشرك ؟ وهل الانسان لاجل ان يسلك سواء السبيل مفتقر الى هداية الله ام لا ، وهل كانت الانبياء عليهم السلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم صادقين في رسالتهم ام كاذبين (معاذ الله من ذلك) والطريقة التي يدعو اليها القرآن الكريم هل هي مستقيمة او ملتوية معوجة ! فان شهد قلبكم بأن الايمان بالله تعالى هو ما تقتضيه الفطرة الانسانية ، وان الاله في الحقيقة هو الذي لا شريك له ، واذعن ضميركم بأن الانسان لاشك مفتقر الى نور من عند الله لاجل ان يسلك في حياته سواء السبيل ، وهذا النور هو ما جاء به الانبياء والمرسلون الذين كانوا هداة صدق للنوع البشري في كل زمان ، وان دلكم النظر في الحياة الطيبة التي حياها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا على ان انسانا من هذا الطراز السامي لم يكن ليخدع العالمين ، واذا كان قد ادعى انه رسول من عند الله فلا بد ان يكون صادقا في دعواه ، ثم ان قراتم القرآن وحكم عقلكم بأن الطريق المستقيم لاعتقاد المرء وعمله هو الذي قد عرضه هذا الكتاب ، وهذا الكتاب هو لاشك من عند الله ــ فعليكم الا تخافوا عندئذ لومة لائم او مخالفة عنيد ، بل نقوا قلوبكم من خوف النقص وطمع الربح ، وآمنوا بالذي قد شهد بصدقه شاهد نفسكم وضميركم .

واذا انتم ميزتم بين الحق والباطل بما آتاكم الله من العقل السليم ، واخترتم الحق على الباطل ، فقد انتهت عندئذ وظيفة عقلكم في الاختبار والنقد ، وانتقلت سلطة الحكم والامر من العقل الى الله والى كتابه ورسوله ولم يكن لكم بعد ذلك ان تحكموا بانفسكم في شؤونكم ، بل كان عليكم ان تذعنوا لكل ما يأمركم به الله والرسول، ولكم ـ ولاشك ـ ان تستعملوا عقولكم لفهم تلك الاحكام وادراك حكمتها ووقائعها ولتطبيقها على جزئيات حياتكم، ولكنه ليس لكم ان تشكوا وتتساءلوا في امر يأمركم به الله تعالى ، وانه سواء ادركتم الحكمة في أمر الهي ام لا ، وسواء اطابق امر من عند الله عقلكم ام لا ، وكان ما قضى الله ورسوله به مفيدا عندكم لمآربكم الدنيوية ام غير مفيد .

وسواء اكان امر الله ورسوله موافقا للعادات والتقاليد الرائجة في هذه الدنيا أو منافيا لها ، فليس لكم في كل حال الا ان تذعنوا له وتتبعوه ، لانكم اذا آمنتم بالله وصدقتم رسوله وايقنتم بأن كل ما يدعو اليه رسول الله هو من عند الله لا من عند نفسه ، وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ،فمن النتيجة المنطقية لهذا الاذعان واليقين ان تؤثروا ما يقضي به الله والرسول على ما تقضي به عقولكم والا تنتقدوا العقائد والاوامر والنواهي التي جاء بها النبي من عند الله على محك عقلكم وعلمكم وتجاربكم وافكار سائر أهل الدنيا واعمالهم، فالذي قال : اني مؤمن، ثم غدا يشك ويتساءل فيما يأتيه من عند الله فهو يرد بنفسه قوله وينقض بنفسه ما ابرم ، ولا يعلم أن الايمان والشك ضدان لا يجتمعان، وان النظم عبارة عن الاطاعة والتسليم وان الشك والتساؤل مترادف للفوضى . .

فطريقة القصد والاعتدال هذه هي (الاسلام) والطائفة التي تتبع هذه الطريقة هم (المسلمون) .

ان الاسلام معناه الانقياد والاطاعة والرضا ، والمسلم هو الذي يذعن لامر الآمر ونهي الناهي اذعان رضى ؛ فهذه التسمية بنفسها دالة على أنه لم تبعث في الدنيا هذه الطائفة الرابعة منفصلة عن تلك الطوائف الثلاث وطرقهم الضالة الا لان تؤمن بامر الله تعالى وتخضع له ، ليس لهذه الطائفة أن تتبع عقلها في كل امر ولا لها أن تعبث بأحكام الله فتأخذ منها ما وافق هواها وتدع ما خالفها ، ولا لها ان تجعل كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهرها وتروح تتبع خطى الانسانيين من الاحياء والاموات .

وهذه الحقيقة قد جاء القرآن الكريم صريحا في بابها ، فهو يقول انه اذا اتى الانسان المؤمن امر من عند الله تعالى فلا يكون له ان يؤمن به او لا يؤمن كما يشاء :

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (الاحزاب : 36) .

ويقول : ان يأخذ المرء جانبا من كتاب الله ويدع الآخر يفضي الى الخزي في الدنيا والآخرة : **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** (البقرة : 85) ويقول : ان حكم المؤمن في قضية ما يجب ان يكون حسب كتاب الله ، وان كان ذلك موافقا لهوى الناس او مخالفا له : **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق** (المائدة : 48) ويقول : كل من لا يحكم بحسب كتاب الله فهو فاسق . **ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون ، وكل حكم يخالف كتاب الله فهو حكم الجاهلية ، أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** . ويزيد على ذلك :

يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم والآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ، ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا : واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . . وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله . . . فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . (النساء : 59 ـ 65)

فيتضح من هذه الآيات الصريحة وجه التسمية لكلمتي (الاسلام) و (المسلم) . فالآن يجب علينا نحن الذين قد كتبت اسماؤنا في سجل المسلمين ان نفكر ونرى : الى أي حد تصدق علينا كلمة (المسلم) والى اي حد يصح أن تدعى الطريقة التي نحن نتبعها باسم (الاسلام) ! ؟

دواء الشاكين وقامع المشككين

للدكتور تقي الدين الهلالي

- 3 -

انواع الغاز الذي نتنفس به

من المعلوم ان الانسان لايستطيع ان يعيش لحظة بلا تنفس الهواء اللازم لحياته ، ولذلك ترى العملة الذين يشتغلون فى باطن الارض كعمال المناجم يتزودون بالمقدار الكافي من الهواء النقي لتنفسهم وحياتهم ، وترى المتسلقين لقمم الجبال الشواهق كجبال هملايا فى الهند ايضا ياخذون معهم المقدار الكافي من الهواء للتنفس ، لان الهواء الصالح للتنفس يقل بالتدريج كلما ارتفع الانسان فى الجو حتى ينعدم بالمرة ، وهذا هو الذي يعسر على الانسان والحيوان الانفصال عن الارض زيادة على مايسمى بالجاذبية وهو انجذاب كل ثقيل فى جو الارض او فوقها ، الانجذاب هو طلبه للقرار وهو مركز الارض اي وسطها ، فلو القيت حجرا من اعلى الجو لانطلق بسرعة طالبا لمركز الارض ، فان لم يجد مانعا استمر هابطا حتى يبلغ مركز الارض ويقف فلا يزيد ذرة ولو لم يجد مانعا ، فلو القينا حجرا من جهة الشرق وحجرا آخر من جهة الغرب ولم يجدا مانعا لنزلا حتى يجتمعا فى مركز الارض ، ولو جعلنا بدل الحجرين انسانين لاجتمعت اقدامهما فى المركز اذا لم يمنعهما مانع ، هذا ماقاله الامام ابن تيمية فى كتاب الرسالة العرشية ، وجميع العلماء من المسلمين وغيرهم متفقون على هذا .

وكم سمعنا بعملة يحفرون بئرا فى الاراضي التي يقل الماء فيها حتى اذا وصلوا الى مسافة بعيدة فى اسفل الارض اصابهم اغماء ثم موت على الفور ، وحفار الآبار يعرفون ذلك بالتجربة فاذا اضطروا الى انزال العملة الى مسافة بعيدة من الارض يربطون فى اوساطهم حبالا حتى اذا احس احدهم بالاغماء يصيح فيجذبه رفقاؤه ويرفعونه الى وجه الارض فيستنشق الهواء النقي ويرجع اليه وعيه ، والعمال لايعرفون سبب ذلك فيظنون انه من البئر ويقولون فلان نفخت عليه البئر فمات ، والحقيقة ان البئر لم تنفخ عليه ، وانما وصل الى موضع لايوجد فيه الهواء اللازم لتنفسه وحياته ، وكم سمعنا بفرد او جماعة ناموا فى بيت فيه فحم فى مجمر لم يتم احتراقه وسدوا عليهم باب البيت فاصبحوا امواتا ، فما هو سبب موتهم ؟ الجواب سهل فان الكاربون الذي ينبعث من الفحم يأكل الهواء الذي فى البيت حتى ينقضي بالتدريج فلا يجد النائمون هواء يتنفسونه فيموتون ، وهذا كله يدلنا على ان الهواء ضروري لحياة الانسان والحيوان البري كضرورة الماء للحيوان البحري ، والآن دعنا نتخذ الهواء الذي تتوقف عليه حياتنا برهانا جديدا على النظام والتدبير البديع الذي يقوم عليه هذا العالم العجيب ، اعلم ان الهواء المحيط بالارض يتالف من عناصر ، وهي : الاكسجين والنتروجن والاركون والنيون والستون والاكربتون ، ويحتوي على بخار الماء ونحو ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف من اكسيد الكاربون ، ثم ان الانواع القليلة المقدار من الغاز توصل الى العين اللون الاحمر والازرق والاخضر ، والاركون الذي يوجد منه فى الهواء تسعة من عشرة اجزاء من واحد فى المائة يعطينا الضوء الكهربائي اللامع الذي لم يزل فى تقدم مطرد يزيد فى ازدهار المدنية ويستعمل فى كل مكان .

والنتروجين الذي يوجد منه تقريبا ثمانية وسبعون فى المائة فى الهواء ، والاكسجين الذي هو على العموم احد وعشرون فى المائة ، فالهواء بمجموعه يضغط على الارض تقريبا بقدر خمسة عشر رطلا

على كل انش (1) مربع على مستوى سطح البحر . والاكسجين الذي يوجد في الجو هو احد اجزاء هذه المواد يحدث ضغطا بقدر ثلاثة ارطال لكل انش مربع ، وكل مابقي من الاكسجين هو محصور في قشرة الارض ويشكل ثمانية من عشرة من جميع المياه التي في الارض .

ثم ان الاكسجين تتوقف عليه حياة كل حي على وجه الارض من انسان وحيوان ، ولا يمكن الحصول عليه الا في الجو ، والآن تعرض لنا مسالة مهمة جدا وهي كيف وجد من هذا العنصر المهم المقدار الكافي بالضبط لحياة الانسان والحيوان لا اكثر ولا اقل . ؟ فلو كان مقدار الاكسجين مثلا خمسين في المائة او اكثر بدل احد وعشرين لصارت كل مادة في الارض قابلة للاشتعال على غاية الاستعداد للالتهاب لادنى ومضة من البرق فاذا اصابت شرارة شجرة التهمت النار جميع اشجار الغابة وما حولها ، ولو نقص مقدار الاكسجين الى حد عشرة في المائة او اقل لضعفت الحياة على وجه الارض وسارت نحو الفناء : فمن الذي ركب الهواء من تلك العناصر وجعل من كل عنصر اجزاء محدودة في غاية الدقة لو زاد شيء منها او نقص مثقال ذرة لفسد الكون واختل نظامه ؟ وهل في وسع عاقل يطلع على ذلك ان يدعي أن هذا الكون وليد المصادفة والاتفاق رمية من غير رام ؟ .

وقد قيل ان الانسان اذا تنفس يشبه الاتون المتقد ، وهذا القول له نصيب من الحقيقة ، فان الانسان في كل نفس يقذف مقدار من الكاربون وياخذ مقدارا من الاكسجين ، وكل شيء حي من انسان وحيوان كذلك .

والاكسجين زيادة على ذلك شرط جوهري للحياة لتأثيره على العناصر الاخرى في الدم وفي غيره من اجزاء الجسم التي بدونها لاتوجد الحياة .

ومن جهة اخرى قد علم يقينا ان حياة جميع النبات تتوقف على مقدار من ذرات اكسيد الكاربون الموجودة في الهواء التي تتنفسها ، فالاوراق للاشجار بمنزلة الرئتين للانسان فالنبات بعكس الحيوان ياخذ الكاربون ويعطي الاكسجين الذي تتنفسه : فالنبات يغذي نفسه باذن الله وينتج زيادة على ذلك مايكفي لغذاء كل حي على وجه الارض ، وفي الوقت نفسه يخرج الاكسجين الذي نتنفسه والذي بدونه تنقضي الحياة في خمس دقائق ، فيجب ان نعرف مقدار هذه النعمة التي تتوقف حياتنا عليها . فجميع النبات من شجر ونجم واعشاب وغير ذلك من انواع الزرع تتوقف حياته على الكاربون والماء ، فالحيوان يعطي حامض اكسيد الكاربون ، والنبات يعطي الاكسجين ، ولولا هذا التبادل الواقع بينهما لاستهلك الحيوان الناطق والاعجم جميع ما في الارض من الاكسجين ، وحينئذ تكون القاضية ، او يستهلك النبات جميع ما في الارض من الكاربون فيهلك ، وايهما هلك اولا تبعه الآخر .

وقد اكتشف اخيرا ان حامض اكسيد الكاربون بمقدار قليل ايضا لابد منه لحياة اكثر الحيوان ، وكذلك النبات يحتاج الى قليل من الاكسجين .

وينبغي لنا ان نذكر الهيدروجين ونضيفه الى ضروريات حياتنا ، فمع اننا لانتنفس هذا العنصر ، لانستطيع العيش بدونه لان الماء الذي تتوقف عليه حياتنا لايوجد بدون هيدروجين ، فالاكسجين والهيدروجين وحامض اكسيد الكاربون كل على انفراد ومجتمعات بنسب مختلفة تشكل عنصرا حيويا لوجود انواع الحياة الثلاثة : حياة الانسان ، وحياة الحيوان ، وحياة النبات . وهذه العناصر هي الاساس الذي ترتكز عليه الحياة ولا يمكن ابدا ولو بقدر واحد من ملايين ان توجد هذه العناصر كلها بمقاديرها المحدودة حدا في في غاية الدقة في وقت واحد على كوكب واحد وهو ارضنا التي نعيش فيها بالقدر الذي تحتاجه الحياة . ان العلم لا يضع تعليقات على الحقائق وانما يقتصر على كشفها ، واذا زعمنا ان وجود تلك العناصر بالتفصيل السابق ، وتوقف الحياة عليها ، كل ذلك وقع على سبيل المصادفة ، تكون قد انكرنا الضروريات الحسابية ، كما لو قلنا ان الواحد ليس نصف الاثنين . فماذا يقول الشاكون واساتذتهم المشككون في هذه البراهين القاطعة ، والانوار الساطعة ، التي اتت بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم ، كما قال الله تعالى في سورة

---

1) - الانش هو مقياس انجليزي : في القدم 12 انشا والقدم ثلث الياردة التي تساوي 90 سنتيما

النحل : ((**قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لايشعرون**)) ماذا يقول المعلمون المجهلون الذين يفسدون فطرة الصبيان الصافية ، وينجسون عقولهم الطاهرة ، بزعمهم ان السبب فى اعتقاد الانسان وجود الله تعالى هو الخوف والجهل بنواميس الطبيعة ، فقد زعموا ان الانسان الاول كان يخاف من كل شيء يحدث فى العالم كالبرق والصواعق والحرائق التي تحدث فى الغابات والخسوف والكسوف وجلجلة الرعد والفيضان الذي يحدث بكثرة الامطار وغير ذلك ، فاخذ يتخيل ان هناك كائنا منفردا او متعددا يحدث تلك الامور اذا غضب ، فاخذ الانسان يتملق له بتقريب القرابين ، من ذبائح وغيرها خوفا من ان يصيبه بتلك الحوادث المهلكة ، وقد زعم هؤلاء ان هذا العصر عصر العلم قد كشف اسباب تلك الحوادث ، ورفع سلطان الخوف عن الانسان ، وحرر عقله من الاوهام ، فلم تبق به حاجة الى اعتقاد وجود الله والخضوع لعظمته والتلذذ بمعرفته ، وتكميل النفس بطاعته . ماذا يقولون اذا رأوا ان العلم هو الذي كشف الغطاء عن تلبيسهم وحيرتهم ، واقام البرهان القاطع واوجد العلم الضروري بأن لهذا العالم خالقا مبدعا ، مدبرا عالما حكيما ، متصفا بجميع صفات الكمال التى لايدرك كنهها . قال تعالى فى سورة آل عمران : ((**ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار**)) صدق الله العظيم . ان الله لم يخلق هذا الكون البديع الذي هو فى غاية الاحكام عبثا وباطلا بلا حكمة ولا غاية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا**)) .

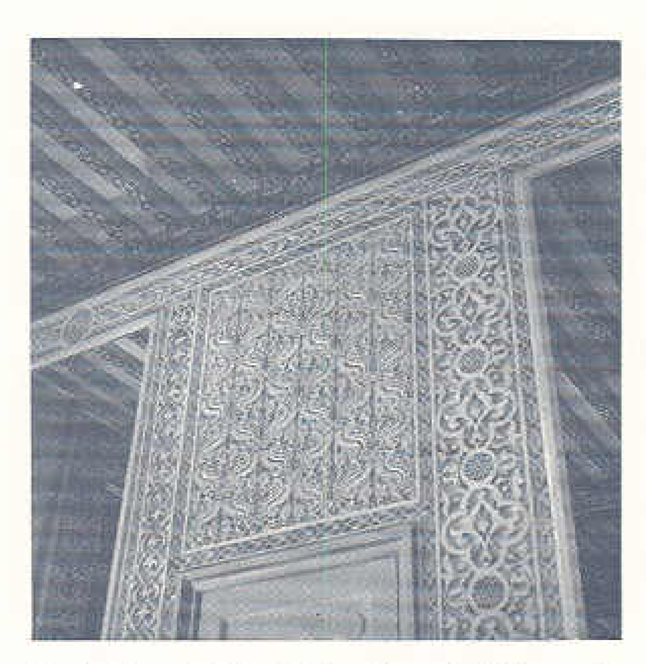
نتروجين

يقال ان نتروجين عنصر غير قوي وهو غاز بطيء التأثير ، وهذا الغاز مهم جدا ، لانه يعمل على تلطيف الاكسجين حتى يكون ملائما احسن الملاءمة للانسان والحيوان ، كما قلنا من قبل فى الاكسجين نقول الآن ان المقدار الموجود من نتروجن والتأثير الذي يحدثه هو القدر المطلوب لا اقل ولا اكثر . يمكن أن نقول : ان الانسان قد واءم وهيا نفسه لقبول احد وعشرين فى المائة من الاكسجين فى الهواء وذلك صحيح .

ولكن هنالك حقيقة وهي ان ذلك القدر هو الذي يحتاجه الانسان بالضبط وهو افضل شيء لحياته يزيدنا يقينا وايمانا بدقة النظام الكوني واتقان تقديره وتدبيره ، ومن العجيب ان نجد ان التوزيع الذي وقع فى الاكسجين يعود الى عاملين اثنين : الاول ان الارض لم تستوعبه تشربا ، ولو استوعبته لصار جزءا من قشرة الارض او من المحيطات ، والثاني ان المقدار الباقي منه طليقا هو بالضبط القدر الذي يستطيع مجموع النتروجن تلطيفه ، ولو كان النتروجن اكثر او أقل مما هو عليه ما استطاع الانسان ان يتطور فى خلقته ، ويصل الى الحال التي هو عليها ، وهذا أمر يسترعي النظر ، وبالجملة فهو جزء من الهواء ضروري لحياة الحيوان والنبات .

اضف الى ذلك ان النتروجن هو احد الاجزاء التي يتألف منها الغذاء الذي نتقوت به وبدونه يموت الانسان جوعا ، فان كل شيء من النبات الذي يخرج الغذاء الذي يعيش به الانسان والحيوان ، وتخصب به الارض وبدونه لايوجد ثمر ولا بقل ولا حبوب ، والطريق الذي يدخل فيه النتروجن فى النبات يكون على شكل بكتريا وهي مخلوقات حية فى غاية الصغر لاترى الا بالمجهر تكون قواما للنبات حتى اذا مات ذلك النبات تبقى تلك المخلوقات فى الارض لتكون قواما لنباتات اخرى تخلفها ، وهناك طريق آخر يصل به النتروجن الى الارض وهو ان الرعد حين يحدث فى الجو ويلمع البرق يكون فيه مقدار صغير من الاكسجين مع النتروجن فيحمل المطر الى الارض ذلك المركب الذي تتم به حياتها ويكمل النفع بخيراتها ، وما احسن قوله تعالى فى سورة قَ ((**والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ، واحيينا به بلدة ميتا ، كذلك الخروج**)) وتسهيلا لفهم هذه الآيات نشير الى معناها فنقول : والارض مددناها اي بسطناها وهيأناها حتى صارت صالحة لسكنى الانسان والحيوان ، وانبتنا فيها من كل صنف جميل يسر الناظر ، ويستمتع به الانسان والحيوان ويكون مددا لهما وقوة ، فعلنا ذلك تعليما وتذكيرا لكل انسان مؤمن مستمسك بحبل الله مسلم امره اليه ؛ لانه هو الذي

ينتفع بما يراه من عجائب صنع الله ، ونزلنا من السماء أي من اعالي الجو ماء مباركا طهورا فيه حياة ونفع للانسان والحيوان ، فانبتنا به جنات أي بساتين وهي التي يسمى المغاربة احداها جنانا والحقيقة ان هذا جمع جنة وتسمى الجنة ايضا حديقة قال تعالى في سورة النمل « **أمن خلق السماوات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ؟** » . وحب الحصيد هو الحب الذي يوخذ مما يحصد كالبر والشعير وغيرهما من انواع الحب ، والنخل باسقات لها طلع نضيد اي طويلات مرتفعات والطلع ثمرها اول مايبدو والنضيد المنضدد المرتب احسن ترتيب ، فعل الله ذلك رزقا للعباد رزقهم اياه وانعم به عليهم ليشكروه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا قال تعالى : **واحيينا به بلدة ميتا** اي ارضا ميتة كما قال تعالى في سورة يس : « **وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون ؟** » وقوله تعالى : **كذلك الخروج** : شبه الله الارض في حال يبسها وعدم نزول المطر عليها بالجسد الميت الذي لاروح فيه ولا حركة له ، وشبهها بعد نزول المطر عليها بالجسد الحي المتصرف في شوونه المزاول للاعمال النافعة . ثم شبه احياء الارض باحياء الاموات وبعثهم وحشرهم يوم القيامة لينالوا جزاءهم على اعمالهم في الحياة الدنيا ، وقد تكرر هذا المعنى في القرآن العظيم ، وكل ما شرحه علماء الفلك من احوال العناصر التي يتالف منها الكون ومنها النتروجين الذي كان آخر ما أشرنا اليه في هذا المقال وبينا أن وجوده بالقدر الذي هو عليه ضروري لغذاء الانسان والحيوان كل ذلك موجود في القرآن الكريم يجده من تدبره . « **وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العاملون .** »



نقوش حديثة في احدى قاعات فندق منارة حسان بالرباط

هل يكون الخير مجازا الى الشر ؟

للأستاذ : الرحالي الفاروقي

حدث ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم على المنبر وجلس الناس من حوله فقال : « **ان مما اخاف عليكم ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها** » فقال رجل يارسول او ياتي الخير بالشر فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال : « **انه لاياتي الخير بالشر وان مما ينبت الربيع ما يقتل او يلم وان هذا المال خضرة حلوة** » ـ بين الحديث الكريم ان الخير لايفتح باب الشر من ذاته ولكنه قد ياتي عرض يخرجه عن طبعه ويحوله عن طريقه وهو من دون شك ناتج عن حركات الانسان وتصرفاته المكروهة ومقاصده الممنوعة ولذلك ترى في مناظر الحياة المختلفة ومشاهدها المتكررة مايقضي ان يكون الخير سببا الى الشر كما قد يكون الشر بابا الى الخير ـ فالنعمة لاتكون شرا بذاتها ـ والعمل الصالح لايكون سببا لضده ـ والمعاصي والمفاسد لاتشق طريق الخير ابدا ـ وكذا الحياء لايكون ضعفا والجود لا يرجع اسرافا والاقتصاد لا يكون بخلا والشجاعة لاتصير تهورا الا اذا عرض ما اخرج ذلك كله عن حده وزاد به على مقداره . فقد جعل الله لكل شيء قدرا ـ ووضع لهذا الكون الصاخب انظمة متبعة وسننا جارية مطردة وجعل للخير والشر اسبابا واحكاما ـ ولكل عمل من الاعمال المحبوبة والمبغوضة اثرا وجزاء لايشبه اثر الآخر ولا جزاءه ـ والانسان لمعرفته وارادته واختياره مهيا لتناول الاسباب ومباشرة الاعمال ومكلف بالفرق بين الخير والشر والنفع والضر . فاما ان يكون حسن التصرف في نعمة الله عليه واما ان يكون مسيئا بخذلان الله اياه . فان تحصن بوحي السماء وآمن بدعوة الحق فلا يقع كبير خلل في احواله واعماله ، ولا يشتبه عليه جنس بغيره ـ وان ضل عن سواء السبيل واسرف في الامر واساء في الحكم فقد يبدو له من الله ما لم يكن يظنه ويحتسبه ، والعهدة عليه فيما يحدث من فتنة او بدعة في محيطه ومجتمعه ، ومثل الرسول الكريم هذه الدنيا التي تتراءى للنفوس مادة حلوة وجنة خضرة بالنبات الاخضر الذي تتهافت عليه البهائم وتتسارع الى اكله وتستكثر من رعي صنوفه وقد يقتل حبطا او يقارب هلكا ، فيكون شرا ، فالاسراف في المال ووضعه في غير وجهه ، والبخل بانفاقه ، والبطر والطغيان الناشيء عن جمعه باب من ابواب البلاء ، وسبب من اسباب الشر ، وان كان المال في حد ذاته خيرا ونعمة وفضلا وبركة .

والى ذلك فالغايات والعواقب غائبة عن الانسان وبعيدة من ادراكه ، ولو تطلع الى معرفتها وتكلف الوصول الى حقيقتها ـ ومن داب الغافل ان يرى كل شيء في المباديء التي تتجمع امامه جاهلا بما وراءها من نعمة أو نقمة ـ ومن شأن العاقل ان ينظر في اعقاب الامور ويتأمل في أواخرها ولا يغتر ببوادر الاشياء وظواهرها ، فلا يتخطى الاسوار المحكمة ، ولا يقتحم المضار المتوقعة ، ولا يتجاسر على ما ليس له به علم وادراك . .

ومن اجل ذلك كان من سداد الانسان ورشاده ان ياخذ ما استطاع ببيان الشرع واوضاع الحق ، وان استعصى على النفس في المبدا القبول والاذعان ، ويحذر ما امكن من مهاودة النفس ومطاوعة الشيطان وان غلبت لجاجة الشر ومداولة الباطل ، وكل غائب عن الحق وراكب متن الهوى فهو نادم وآثم عاجلا وآجلا وربما اختار في هذه الدنيا ما هو شر وتأخر عما هو خير كما خاطب الله الرسول بقوله « **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون** » فالقتال وان كان خيرا وعزا لادائه الى اعظم مطلوب وافضل محبوب تعافه النفس وترغب في

الراحة والدعة وان تسببت فى الذلة والضعة والعاقل البصير لاتقعده المشاق العاجلة ولا تخيفه الآلام الحاضرة فعقلاء الدنيا يتحملون ابهظ النفقات واعظم النكبات لما يترقبونه فى النهاية من الانتصار واكتساب الشرف ـ وكذا الحرب العادية فهي شر هائل تحاذره النفوس وترتعد منه الفرائص وتستعيذ منه الامم والشعوب وقد تكون خيرا من الخيرات توقظ الهمم وتفتح الابصار وتطهر الارض من الفساد وتصهر نوع الانسان كما ينصهر المعدن بالنار فيعود اروع وافضل واصلح مما كان **«ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»** كحال الاشتية والارياح التي يعقبها الربيع بنضارته وازهاره ويتبعها بغلاله واثماره وهي لاتخلو من ضرر وضيق وان كانت النسبة قليلة ومحدودة وايا ما يكون فالمرجع فى حكم الخير والشر للعقل والنفس ويختلف ذلك باختلاف الناس فمنهم من استولى عليه حب الهوى ومنهم من غلب عليه سلطان العقل ـ والمبدأ الدائم لوجود الفعل الرغبة والارادة كما ان مبدأ عدم الفعل السخط والكراهة فتتوفر دواعي الفعل فيما اذا كان الشيء محبوبا وموديا الى محبوب ، واسباب الترك فيما اذا كان الشيء مكروها وموصلا الى مكروه وما عدا ذلك يتنازع فيه العقل والهوى فالعقل يوثر انفع الامرين وابقاهما ، والهوى يبغى عاجلهما واقربهما ، وهذا موضع المعركة ومحل الابتلاء والاختبار ، فاصل الخير من صلاح القلب وكمال ادراك العقل ، واصل الشر من نقص الادراك وفساد القلب ـ وكل من المحبة والكراهة وصف تابع لجنس الخير والشر وعليهما تترتب سعادة الانسان وشقاوته وينبني خيره وشره فى الاول والآخر وفى الظاهر والباطن . . فالاديان والشرائع منشؤها الارادة واصلها المحبة وبدونهما لايقع تصديق ولا يقوم عمل ـ وما شرعه الله لعباده وامرهم به فانه يحبه ويرضاه وما نهاهم عنه وابعدهم منه فانه يكرهه ويأباه . . فالدين نفسه قائم بالمحبة ومرتكز عليها ومشروع من اجلها . . وفى الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يارسول الله والله لأنت احب الي من كل شيء الا من نفسي فقال **« لا ياعمر حتى اكون احب اليك من نفسك »** قال والذي بعثك بالحق لأنت احب الي من نفسي قال **« الآن ياعمر »** . والمحبة لها اثر ظاهر وحكم قائم كان ذلك الاثر محمودا أو مذموما كان عنوان السعادة او عنوان الشقاوة ، فمحبة الله ومحبة الرسل تقوم عليها دعائم الحق وتتحقق بها شرائع الدين . ومن جرائها يتعرض الانسان للمرائر والمصائب فى هذا العالم المنكوب . . والعقلاء يفضلون لذة المعرفة ونعيم الآخرة وحسن العاقبة ، ويستقبلون برباطة الجاش وشجاعة القلب كل مايتوقع من الألم والاذى فى سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة ، والسفهاء يقدمون لذة الحياة العاجلة ويرون فى ذلك منتهى املهم وآخر مطالبهم ، وكل ميسر لما خلق له على انه كثيرا مايختلط الخير بالشر فى هذه الحياة على الانسان فيرى الخير فيما لاخير فيه ويحبه ، ويعتقد الشر فيما لاشر فيه ويكرهه ، والله وحده يعلم ماخفى من الحقائق وما غاب من النتائج ويكشف عن الخير والشر والحق والباطل . والناس لايدركون كنه الاشياء ولا يعلمون ما فى الارض فأولى لهم طاعة الرسل واتباع سبيلهم وطريقهم والبناء على اسسهم وقواعدهم بدلا من غرور النفس وشذوذ الفكر والسير فى طريق غير واضح ـ ومن مقتضيات هذا السبيل البحث عن اسرار الكون والاطلاع على ما فى هذا الوجود الغامض من طاقات وقوات للدلالة على وجود الاله الحق ووجوب الايمان به وللاستفادة منها واستعمالها فى خير الانسان وسعادته ـ والعمل بنظام فى طريق مستو وخط مستقيم لايراد به الشيطان ولا يدخل فيه الشر البتة وانما يدخل فى افعال واقوال من خرج عن الخط ومال عن الطريق .... هذا ومن خير الحركات التي ينبغي ان تجري مجراها الطبيعي وتسير سيرها العادي وتتجرد من عوامل النقص ونوازع الشر كي تقصد فى طريقها وترد ماضاع من آثار القوم وما محى من معالم المجد تحرير الشعوب وتخليصها من كفر الاستعمار وقطع علائقه ورفض مطامعه برسم طريق جديد واعتماد حياة جديدة تلائم طبيعة تلك الشعوب وتاريخها الماضي المجيد ، فيعز على المرء والحالة هذه ان لايرى المسببات مربوطة باسبابها ، ولا النتائج مقرونة بمقدماتها ، فى مفهوم هذه الحركة الشائعة ومدلولها الصحيح .

وغير خفي ان المغرب اشتهر فى التاريخ بروحه الدينية ، وسياسته الاسلامية ، فيلزم ان تنسق حياته الزمنية مع الحياة الدينية والحقائق الشرعية .... ويعترف للمعاهد التي تمثل هذه المعاني بما اثبته التاريخ لها من وجود ، وبما كسبته فى الدفاع من حقوق فلا تحول عن صبغتها ولونها المعنوي ولا تقطع عن متابعة سيرها ومشروع عملها .

ولا ريب ان تبعية المعاهد لما سواها تتعارض مع وضعها الاصلي ، وتحدد نشاطها المتبع وتضعها في مقام لاتغبط عليه اصلا ... وانما على اهلها ان يعدوا انفسهم بمساعدة اولي الامر لمعالجة قضيتها والخروج بها من النطاق الضيق حتى تلائم جو الدراسة الصحيحة ، وتحقق الاهداف المطلوبة ، والاستقلال الحق كل مايميز الدولة ويوضح معناها ويثبت اصولها ويربط اجزاءها ، وذلك مما لايتنافى مع الاخذ من محاسن الحضارة القائمة ، والمساهمة في اسباب السعادة المادية كما لايتنافى مع التعاون على شؤون الحياة والتبادل في فنون الثقافة ..

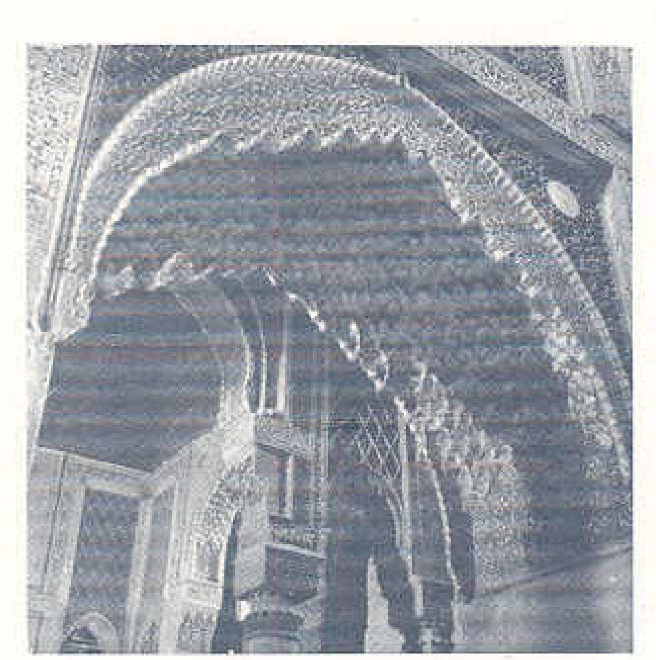
اما الاستقلال ولغة الاستعمار تتكلم ، وانظمته تتحكم ، فهو خلاف الصواب وخلاف الحق ، والسكوت عن الحق والصواب معناه النطق بالباطل وتاييد الواقع الفاسد . .

وليس من الغريب ان يضايق الاجنبي اوضاع الدولة ويهاجم مراكزها القوية ، وتقاليدها المرعية ، وانما الغريب حقا أن يظل هذا التضايق حتى مع الاستقلال بمراى ومسمع من ابنائه وهم بذلك يتناقضون مع انفسهم ويتناكرون وواقع حياتهم ... فلا يوجد على وجه البسيطة من يهون عليه دينه ومذهبه ويرضى ان تموت لغته ويستبدل لسانه ...

ومما لامراء فيه ان مشايعة التعجيم ومعاضدته تكاد تعفى هذه اللغة جملة ، وتجعلها اقل فائدة ومنفعة، وتتركها تتخبط في الطريق وتتعثر في المسير ..

ولذلك فمحاولة التعريب صعبة للغاية لاستمرار الضد وبقاء المزاحم في صفوف الدراسة ، وفي رفوف الادارة ، ولقوة الجهاز وشدة الدفاع . ومن ناحية اخرى تشق معاناة لغتين على الاطفال في اول تربيتهم وتعليمهم بل ذلك اخطر شيء على حياتهم ومستقبلهم ... وقد ذكر الجاحظ في موضع من البيان والتبين انه اذا التقت لغتان في لسان واحد ادخلت احداهما الضيم على صاحبتها ..

وبعد فاذا كان اصل مانراه من مخلفات الاستعمار وهو شر وبلاء فان الاستقلال خير ونعمة ، والخير لاياتي بالشر والنعمة لاتكون طريقا للكفر ، فمتى يزول هذا الالتباس ويستقر الحق في اصل نصابه ، ومتى نربي نفوسنا وابناءنا تربية دينية وطنية ، ونحيا حياة كريمة ، نمكن بها عروبتنا ومذهبنا ونعزز وجودنا واستقلالنا والله العظيم يقول « **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا بما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم** » .



منظر داخلي لمقبرة الملوك السعديين بمدينة مراكش التي يرجع تاريخها الى القرن السادس عشر ..

موقف الدين الاسلامي من المكفوفين

للأستاذ سعيد أعراب

ورد على مكتب جمعية العلماء بتطوان كتاب من السفارة المغربية بمدريد تسأل فيه عن مسألتين :

ان السنيور فرناندوويدا ـ وهو دكتور فى الحقوق ـ فقد بصره منذ ازيد من عشرين سنة ، واشتغل خلال هذه المدة بتاليف الكتب التي تعالج حالة العميان فى مختلف انحاء العالم وهو الآن منهمك فى تاليف كتاب سماه وصية المكفوفين فى القرون الوسطى ـ لذا فهو يريد ان يعرف موقف الدين الاسلامي من هذه الطائفة الضعيفة ...

وقد كنت توليت الجواب عن هذا السؤال فكتبت ما صورته : اما الجواب عن « المسالة الاولى » من كل وجوهها ، والاحاطة بها من جميع جوانبها فانه مما لايتسع له صدر هذه الرسالة ، لذا قصرت القول فيها على بعض النواحي التي تعرف السائل ـ فى الجملة ـ بموقف الدين الاسلامي من هذه الطائفة التي حرمت نعمة نور البصر ، والتي الشان فيها ان تكون ضعيفة مستضعفة :

1) ـ ان الدين الاسلامي حارب الارستقراطية ، وسوى بين الناس قويهم وضعيفهم ، غنيهم وفقيرهم مساواة لاتعرف أي لون من الوان التمييز « **كلكم لادم وآدم من تراب لافضل لاحد على الآخر الا بالتقوى والعمل الصالح** » « **ان اكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وليس ادل على ذلك من ان ينزل القرآن بعتاب النبي (ص) فى ابن ام مكتوم الاعمى حين تشاغل عنه بمحادثة كبار صناديد قريش ، وكره ان يقطع حديثه معهم رغبة فى اسلامهم ، وعبس فى وجهه عند ما الح عليه فى الطلب بأن يعلمه مما علمه الله « **عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى كلا** » فتلقى نبي الاسلام محمد عليه السلام هذا العتاب بصدر رحب ملؤه العطف الفياض ، والرحمة الشاملة ، والمساواة العادلة ، فكان اذا دخل عليه ـ ابن ام مكتوم يبالغ فى اكرامه ويقول له مرحبا بمن عاتبني فيه ربي هل لك من حاجة ؟ واذا خرج عنه ودعه وقال له « **هل لك حاجة فى شيء ؟** » وكان ابن ام مكتوم هذا مؤذن الرسول استخلفه على المدينة مرتين وشهد القادسية ومعه اللواء وتقول بعض الروايات انه قتل بها شهيدا وما الى ذلك من مزايا الشرف ، وضروب السيادة التي كان يحظى بها ـ فى حظيرة الاسلام ـ امثال ابن ام مكتوم الاعمى الذين كانوا لايقام لهم اي وزن فى عهد النظام الارستقراطي .

2) ـ وزيادة على ماعامل به الاسلام هؤلاء الضعفاء العاجزين من لطف واحسان ، فقد عذرهم فيما لم يستطيعوا من اعمال البر وما فاتهم او يفوتهم من الاعمال العظام التي لايجوز التخلف عنها لاي مسلم مهما كان وكيفما كان شانه ، ورفع عنهم كل حرج اذا اخلصوا النية ونصحوا لله ولرسوله وكانوا من المحسنين « **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا** » «**ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** » .

وباب رفع الحرج فى الاسلام باب متسع ورد فى شانه الكثير من الآيات والاحاديث عموما وخصوصا .

3) ـ لقد كان المكفوفون يحظون بوجه خاص من لدن خلفاء المسلمين بأضعاف من الرحمة والرعاية فكان ابوبكر الصديق يطوف على بيوت العجزة والعميان فى اقاصي المدينة ويخدمهم بنفسه .

اما عمر فحدث عن البحر ولا حرج ، واروع مثال لذلك قصة طلحة مع العجوز العمياء المقعدة التي كان عمر يتردد على بيتها ليلا ليخدمها ويصلح من شانها .

وكان علي بن ابي طالب يامر عماله بان يبحثوا عن الضعفاء والبائسين وذوي العاهات العاجزين فى كل جهة ومكان ، ويسندوا أمرهم الى اهل الثقة والخشية والتواضع ـ ليتولوا شؤونهم ويسهروا على مصالحهم . ولناخذ على سبيل المثال ماكتب بـه علي الـى عاملـه بمصر مالك بن الحرث الاشتر فى عهد طويل يحـوي ضروبا من السياسة الحكيمة قال فى جملة ما اوصـاه به على الضعفاء وذوي العاهات :

ثم الله الله فى الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى « ذوي العاهات من مكفوفين وغيرهم » ـ فلا تشخص همك عنهم ، ولا تصعر خدك لهم ، وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله يوم تلقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الـى الانصـاف من غيرهم » ـ لناخذ على سبيل المثال وصية علي بن ابي طالب فى شان هؤلاء ليتجلى لنا فى اجلى مظاهره ، وابرز صوره ماكان للمسلمين عموما ، والخلفاء خصوصا من الاهتمام البالغ بحقوق الضعيف والسهر الدائم على مصالحه ، والحرص الشديد على راحته واطمئنانـه ، وجعله يعيش عيشة راضية ، ويحيا حياة كريمـة ـ لانه ـ كما يقول علي ـ احوج الناس الى الانصاف »

ومهما يكن من امر فان فكرة جمعية انقاذ الضرير او الرفق بالضعيف مما سبق اليه المسلمون بمـآت السنين ، وطبقوه عمليا منذ فجر الاسلام ... على ان ما ذكره حضرة الكاتب من ان القـرن العشرين قـد اكتشف تعليم القراءة والكتابة للمكفوفين ـ ليس كما قال ـ بل كان اكتشاف ذلك حوالـي القـرن الثامـن الهجري على يد علماء العرب .

ذلك ان التاريخ يحدثنا ان العالم الكبير الشيخ زين الدين ابا الحسن علي بن احمد بن يوسف الآمدي الضرير الذي عاش أوائل المائة السابعة وأوائل الثامنة من السنة الهجرية ـ قد اهتدى الى اختراع الكتابة البارزة الخاصة بالعميان ـ انظر ترجمته فى كتاب :

« نكت العميان فى نكت العميان » لصلاح الدين الصفدي مع مقدمته لاحمد زكي ، وما كتبه عنه من ابحاث باللغتين العربية والفرنسية وهكذا وفى كـل مناسبة يابى تاريخنا المجيد الا ان يكون لـه فضل السبق فى كل ميدان من ميادين العلم والاختـراع ولا يزال ولن يزال يقيم الدليل تلو الدليل على انه تاريخ حافل برجالات الفكر وعباقرة العلم والفن ، فرحم الله ذلك العقل الجبار ، وتلك النفس الطموح .

السـؤال الاخيـر

ان السؤال الاخير الذي يستطيع ان يصرحه الانسان محاسبا لنفسه هو:

هل كنت وفيـا ؟

الا ان هذا السؤال قد يكون خلـوا من كل مفهوم ما لم يراد به :

(هل اهنت نفسي او غيري فى يوم مـا ؟) .

البير كـامـو

البطولة الروحية

للأستاذ : محمد الغزلي الهلالي

مازلنا نتطلع الى اسرار هذا الكون الذي خلقنا ونشأنا فيه ، فلم ينقض لنا منه عجب ولا شفينا منه غلة حتى طرنا بفكرنا محلقين فوق آفاقه ، وسرنا نجوب بين سهوله وجباله وحزونه واغواره ، ونخوض فى بحاره ، من قطر الى قطر ، ومن رطب الى صخر ، ومن صحراء قاحلة مترامية الاطراف عالية الكثبان ، وعثة المسالك ، الى غابات تزار بوحوشها ، وتفخر بسباعها وضواريها وتزخر بعيونها وخرير امواهها المنسابة خلال ظلالها الوارفة ، والمتعثرة ـ بانواع الاعشاب ، وساقط العيدان والاخشاب ، ترقص فيها انواع من الزهور اليانعة ، والرياحين النضرة المشرئبة باعناقها الشاخصة بعيونها الى ذلك الدوح الباسق ، متمنية ان تدنو اغصانه وشماريخه ليعانقها وتعانقه ويقبلها وتقبله ، ولكن انى لها بذلك والغابة صنوبرية الاشجار ، ذات الاوراق الشائكة ، والثمار الجافة التي لاتذكي نارا ، ولا تؤهل دارا ، ولا تنفع جارا ، وبعد ان تحس الزهور بخشونته وقلة رقته ، وعدم اللين والعطف ، لما جبل عليه من التصلب والعنف ، تعرض عنه فى ندم ويأس فيطاطيء عباد الشمس راسه خجلا ، ويعم ـ هذا الخجل الازهار فتتلون بضروب الالوان ، فتحمر وتصفر وتكفهر ثم تذبل وتنزل متهافتة على الارض ، فتطل عليها الطواويس فتراها شبيهة بفلوس ريشها فتنزل عليها تجر اذيالها متبخترة بين زينتين ، زينة الزهر المنثور والريش المنفوش ، معربة بلسان حالها عن صنع الله الذي اتقن كل شيء .

ثم ننتقل من تلك المشاهد الى الجبال الشاهقة ، والاودية السحيقة ، ومنها الى البحار العميقة ذات اللجج والامواج المتلاطمة المرغية المزبدة التي لاتزال فى كر وفر ، تتزاحف فيشتد صدامها كأنها جيوش متعاركة متطاحنة لاتبلى احقادها ، بل فى كل حين تزداد هجماتها ، ويستطير شرها ، ويعظم امرها ، ثم تتركها وشأنها فنخرج الى الساحل بسلام فنمد بأبصارنا الى المدن الانيقة ، والمنازل العالية ، والدور والقصور وما تحويه من متاع واثاث زينة للناظرين ونعيما للمترفين ، مع حدائقها الغناء ، ومنازهها ورياضها وملاعبها وملاهيها ومقاهيها وفنادقها الى غير ذلك مما يلذ فى اعين الناظرين ، ويلهو به اللاهون ثم نخرج منها بلا طائل او جدوى ، فنفكر طويلا اين ، ومتى نجد الضالة المنشودة ؟ الا وهي سر الفضيلة البشرية ، وكرم النفس الانسانية ، الذي اودعه الله فى هذا المخلوق الارضي ورفع به مقامه ، وكمله وزينه ثم شرفه وفضله على كثير من خلقه ، وقال : **« ولقد كرمنا بني آدم »** الآية ، فاين هذا الكرم ؟ وما سببه ؟ وهل بيننا الآن فى الكرة الارضية من يتصف به ؟ او يعرفه او يبحث عنه ؟ وهل اكتشف معدنه من بين المعادن الارضية ؟ وفى اي ارض اكتشف ؟ ومن اكتشفه ؟ ومن يعمل فيه ويستغله ؟ او لايزال مجهولا عند العالمين بالطبقات الارضية وما تحويه من عناصر ومواد جامدة وسائلة ؟ فاذا كان لايزال لديهم مجهولا ، فهل يأملون العثور عليه يوما ما ؟ ومتى يكون ذلك ؟ واني وفى اي ناحية من انحاء المعمورة ؟ او سيظل مجهولا دفينا حتى تتزلزل الارض وتخرج اثقالها .

لا ، لايبقى دفينا ، بل قد برز فى الماضي ولم يزل يبرز حينا فحينا وتفيض به بعض نفوس عباد الله الذين يضربون للبشرية أعلى مثال ، ويفاخر بهم الرب سبحانه ملائكته فى سماواته ليعلمهم ان ذلك المخلوق الذي استخلفه فى ارضه واسجدهم له ليكون من خيرة جنوده قد كان ، وهو قائم بالاعراب عن اسرار ما اودع فيه من قوة وكمال وشرف وعلم وسمو نفس لايستسهل ولا يستصعب ، وقد علا حتى صار ينظر الاشياء متساوية لاسهل فيها ولا صعب ، وارتفع حتى عن التضاد والاضداد فتوحد طريقه واتضحت غايته

لانه اصبح قوي الحس ينظر بنور الله ، فبصيرته دائما في نهار لا ليل فيه ، وصفاء لا قتام عليه ، وتبين السعادة الكبرى كالشمس المشرقة التي لايحجبها شيء ، وافعم قلبه باليقين ، فأصبح يهزأ بالمخاوف والاخطار لعلمه انه خلق للدوام والخلود وتجدد الوجود ، وتراءت له الحياة انها سلسلة تطورات تختلف اسماؤها باختلاف الحلقات ، فالولادة ، والطفولة ، والشباب ، والكهولة ، والشيخوخة ، والموت ، والبعث ، والحشر ، والنشر ، ان هي الا اسماء وادوار لاتؤثر على الاصل في شيء ، ولا تحدث في الحقيقة نقيرا او قطميرا من التغيير ، لان اثرها انما يقع على القشرة المادية لايمكن ان يتجاوزها الى حقيقة ذلك المخلوق الذي يقوده اليقين والايمان الراسخ الى غاية يستعجلها ويقرب منها ولا يبالي بما يعترض سبيله لان كرم جبلته المتوهجة بما اقتبسته وفاض عليها من الاسرار الالهية جعلته من القوة بحيث يمكنه ان يذلل كل شيء بعزم صارم وحد لايفل ، لانه تذلل لله فاعزه واخضع له قوة المخلوقات المادية ، وارتفع عليها وعلم ان من اللازم ان تتبعه ولا يتبعها لانها خلقت لان تكون تابعة له وخلق ليكون متبوعا حاكما آمرا قادرا متصرفا بامر سيده ومولاه الذي خلقه والحقه بجنده ، ومن يكون جنديا لله فهل يليق به ان يذل او يخضع لغير الله ، بل هل يليق به ان يغلب او يخاف من غيره ؟ وهل لخليفة الله في الارض ان يساويه شيء من مخلوقات الارض فضلا عن ان يكون فوقه في صفة ما ، وكيف يتفق ذلك مع قوله تعالى **« لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم »** أم يحب ان يرد نفسه اسفل سافلين ؟

عرف اولوا الالباب انفسهم ومقامهم فكانوا جنود الله المطيعة المطاعة فابردوا بعزمهم النيران الحامية ، وجففوا البحار العاتية ، وخضعت جميع القوات المادية لارادتهم ولم يكن لها الا الخضوع . فاذا اردنا ان نلمس ذلك فلنقرأ قصة خليل الله ابراهيم عليه السلام كيف تقبل القذف في النار بعزم ويقين جعلها بردا وسلاما ، ومثل هذه البطولة نلمسها في مؤمني الاخدود وكيف كانت صلابة عزيمتهم ، وتوهج ايمانهم المتقد الذي ابى الخضوع للجبروت حين كفر بالطاغوت ، ولا جرم أن الايمان بالعزيز الحميد متى ماحل بصدر انسان وتمكن منه لايقوم له شيء الم تر الى سحرة فرعون الم يكونوا في منعة ووقاية ورفاهية ناعمين بزينة الحياة الدنيا يرون انفسهم في اوج العز لانهم تحت رعاية ملك جبار متاله يقربهم ويكرمهم فلا يظنون احدا على الارض يحظى بما كانوا عليه من سعادة ، كيف وهم عدة الملك فرعون ، واساطين ملك مصر ومع ذلك كله لما هداهم الله الى نوره وتبين لهم الحق ، راوا ان ماكانوا عليه انما هو اضغاث احلام لاتلبث اذا طلع عليها الصبح ان تزول وكان لم تكن ، فاتبعوا سبيل التضحية والبطولة ، وراوا ان نعيم القتل والصلب وانواع التعذيب في سبيل الحق الله واعظم من ذلك النعيم الزائف ، وان صحبة الله ورضاه والاعتزاز به اعلى واغلى من عزة فرعون وصحبته ، بل شتان مابينهما ، ولهذا تركوا فرعون قائلين **« لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا »** ولما هددهم وتوعدهم باشنع العقوبات ، وافظع الهلاك ، اجابوه جواب الساخر المستهين الذي لايكترث ولا يهتم ، والذي بلغ من بطولة الايمان وقوة التضحية ما جعله يستهين بكل ما في الحياة ، ولا يهمه الا وصول البشرية الى اهدافها العليا ومثلها السامية المثلى ، وكل ما ياتي في سبيل ذلك فهو احلى من العسل وابرد على الكبد من الثلج في اشد الحر ، ولهذا قالوا بكل هدوء واطمئنان **« لا ضير »** وقالوا : **« فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا »** التي لايهتمون ولا يعبئون بها لانهم ايقنوا بحياة اخرى تنتظرهم وهي ابقى واسعد وارقى من التي يهددون بالحرمان منها ، اما الموت فقد اضحى في نظرهم حادثة من الحوادث التي جرت بها العادة كالارتحال من دار الى دار احسن منها او كالخروج من بيت ضيق الى بستان جميل فسيح الارجاء ، وهذا الذي دفع بعضهم الى الاقدام على الموت والتسبب فيه اذا كان يبلغ مراده بالموت كما اثر عن خالد بن الوليد انه بلغ به الايثار والتضحية الى انه كان يقحم نفسه في مسازق القتال طمعا في الشهادة ، واشتهر ذلك عنه حتى اتهم بالتهور ، ومن هذا القبيل مافعله ذلك الغلام الاسرائيلي الذي اشار على الملك بكيفية قتله بعد ان عجز عن قتله . والقصة في الحديث الذي رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، وهي تفسير وسبب لقصة اصحاب الاخدود . فمن قدر الله حق قدره وعلم مقدار المسؤولية ، وما اوجب عليه وحمله من المسؤولية ، وتوفر فيه كرم البشرية وطيب عنصرها لاينظر الا الى اداء الواجب وما يرضي الرب مهما كلفه ذلك ماكلفه من تضحية كيف ماكان نوعها ، بما رسخ في نفسه انه رابح على كل حال ، لان عوض التضحية جوار الله والجنة والرفعة في الملا الاعلى الى غير ذلك مما لايقدر بقيمة من القيم

مهما عظمت . ولن يثبت اخلاص المرء ، ولن يقوم الدليل على صفاء جوهره وكرم معدنه البشري ، وامتثال اوامر ربه الذي ملكه ويملك مايملكه طول الحياة التي لانهاية لها . الا اذا ضحى في سبيل الله بما يملكه قال تعالى : « **افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون** » وقوله : « **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » وقوله : تعالى : «**ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله** » وقوله : « **احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**» الى غير ذلك من الآيات التي تدل على ان الله سبحانه يبتلي مكنونات عباده ليطلع من شاء من خلقه على اسرار مخبئات نفوسهم ويقوم ما اعوج من طبائع العباد ببطولة اولئك الابرار وروح تضحياتهم التي تضرب المثل الاقوم للسمو والعبقرية البشرية وما جبلت عليه من كرم ونبل . مما جعلها تتحدى اكبر خطر ، وتهزا بانواع القتل والتعذيب في سبيل اسعاد البشرية وانقاذها من شتى الكروب ، والزيغ والضلال ، والسير بها الى ارفع مقام واسمى منزل ، والسبب في ذلك هو الايمان الكامل بالله واتباع سبيله ، الذي مازال يامر به عباده منذ الخلق ويرسل به الرسل والانبياء . ذلك الايمان الذي يشرق على ليل الباطل فيبدده ويثور بالظلم والعتو وجميع ادران الانسان فيزلزلها ويجعلها رمادا تذروه الرياح . ان الايمان بالله هو الذي يضمد كلوم البشرية فيشفيها ويستاصل منها كل داء . واولئك المومنون هم الذين يهبون لاغاثة البشرية مابين حين وآخر ليحطموا اغلالها ويرسلوها من قيودها لتنتعش ، وترد حياض الحرية ، وتعود الى فطرة الله التي فطر الناس عليها وتنجو من العسف والاستبداد الذي يفرضه عليها الطغاة المستبدون بغية الوصول الى مطامعهم واهدافهم الشخصية ومراميهم الشهوانية .

ولست ادري اين غاب وكيف غاب هذا العنصر الطاهر من جنود الله المومنين ؟ اذ لو وجد هذا الضرب من البشر في عصرنا هذا ماسمحت لهم نفوسهم ان يروا الانسانية معذبة تئن بانواع من الويلات وضروب من الكوارث والفساد . والامن في الارض على شفا جرف هار مهدد في كل حين من قبل الماديين الطغاة الذين لم يجدوا من يراقبهم ولا من يردعهم فصاروا كالذئاب الجائعة المتأسدة تعيث في الارض فسادا ، تفتك تارة بهذه الامة وتحيك المكائد وتمد الحبائل مرة اخرى لتلك . فاين جنود الله المصلحون المحيون السنن النبوية والقائمون بروح التضحية في غابر الاعصار ، وسالف الامم ، ادعاهم الله اليه ؟ ومنعهم النزول الى الارض لقضاء قضاه في الازل بتعذيب هذا الجيل لعصيانه وبغيه ام يمهل الناس الى اجل محدود في الكتاب ؟

وقد كان المفروض ان يهب المسلمون للقيام بهذه المسؤولية ، اذ هم جنود الله المكلفون بذلك ، والماموروون به . ولذلك خلقوا وبه خوطبوا في القرآن بقوله تعالى : « **كنتم خير امة اخرجت للناس** » وقوله : « **وكذلك جعلناكم امة وسطا** » . ولكن المسلمين جهلوا واجبهم وضعفوا في ايمانهم ، واخلدوا الى الارض واتبعوا اهواءهم ، واستبدلوا الذي هو ادنى بالذي هو خير . وليس لهم من المسئولية مناص مهما تهربوا منها ، ولن ينفعهم الا ان يعودوا ويراجعوا خطاهم ، ويستغفروا من ذنبهم ، ثم يقوموا بالواجب المقدس تاركين الدعة والخمول ، متمسكين عاملين بما يدعوهم اليه القرءآن من نبل وبطولة واستعداد ، ورشد وارشاد ، والا فهم مهددون من قبل الله تعالى بقوله : « **قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره** » .

الاختلاط بين الاسلام وواقع الحياة

للأستاذ: عبد السلام الهراس

قلنا سابقا ان الاسلام يرمي في تشريعه الى مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة وانه اقام هذا التشريع على اساس الطبيعة الانسانية لان المشرع هو الخالق سبحانه وتعالى : ((**الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**)) . وقد عالج مشكلة المراة على ذلك الاساس ، وحدد موقفه منها تحديدا لا لبس فيه ولا التواء . وقد تحدثنا عن موقفه بالنسبة للتعدد ، والآن سنتحدث عن موقفه من الاختلاط ، مؤيدين ذلك بواقع الحياة التي يقررها علماء النفس والاجتماع .

ولفظة الاختلاط مرنة ، تتسع لعدة معان ، غير ان الاختلاط الذي نقصده هنا ، ذلك الذي يؤدي بطبيعته ، او من شانه ان يؤدي الى الفوضى في العلاقات الجنسية ، والحياة الاخلاقية .

ولم نفكر ، ونحن نتسلم مسؤوليات بلادنا ، في التخطيط الاجتماعي لكل من الرجل والمراة ، الامر الذي ترك الافراد احرارا ، ياخذون عن اوربا ، بدافع من حب التقليد وبدافع نفسي خاص ، هذا المظهر من الاختلاط الذي نشاهده في عواصم بلادنا ، بحيث اصبح من العسير علينا ان نحد من جموح هذا التيار الذي يشتكي منه الكثيرون ، ولكنهم لا يجدون منه مخرجا ، ويضطرون الى ان يشاركوا في تكوين اطار هذا التعفن الاجتماعي بموقف سلبي ، بالصمت ، وتغيير المنكر (بالقلب) ...

ومن المؤسف جدا ، ان يقترن مظهر الاختلاط بفجر الاستقلال ، مما زعزع في النفوس قيمته الروحية التي كنا نريد ان يكون ملهما جديدا ، وباعثا عظيما من بواعث العمل والاتحاد تحت ظل الاسلام .

فالشكوى في كل مكان من هذه الفوضى الاخلاقية التي تلاطمت امواجها في انحاء بلادنا ، ومما يحزن اكثر من ذلك اننا لا نجد اي رد فعل ، اجتماعي ، يستطيع ان يضع حدا لهذه المأساة الطاغية ، ولا ننكر ان هناك ردود فعل فردية ؛ كما نلاحظ ذلك في المقال القيم الذي كتبه الاستاذ السيد المهدي الصقلي .

وما مقالنا اليوم الا تاييد لذلك الاتجاه الاسلامي الذي نرجو ان يتكاثر اتباعه حتى يقدموا للبلاد خير واعظم علاج لمشاكله .

فالدين الاسلامي على الرغم من انه يخاطب الضمائر ، ويعتمد عليها اخيرا فانه يشرع قوانين خاصة تعتمد في تنفيذها ايضا على قوة السلطان ، يقول تعالى : ((**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون**)) الآية . وروعة الاسلام انه يعد الفرد اعدادا خاصا ليسمو به الى التخلق بآدابه والالتزام بشريعته ، فغض البصر ، امر متعلق بضمير الانسان كقوله تعالى : ((**ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا**)) الآية . لان النظر لا يعد اجراما قانونيا وانما يريد الاسلام ان يحد من الوسائل التي تؤدي الى الشر ليمنع وقوعه ، ولذلك ، اوجد نظاما اخلاقيا وقانونيا يحفظ على الناس كرامتهم ويمد لهم في سعادتهم ويبعدهم عن منابع الشقاء . والاختلاط وسيلة سريعة ، وخطيرة ، للوصول الى الشر لان المراة — كما يؤكد علماء النفس — مزودة بجهاز تناسلي خطير يسيطر عليها في بعض اللحظات فينسيها كل شيء الا الحصول على ما يطفيء تلك النيران المتاججة ، وقد تضحي في سبيل ذلك باعز ما تملكه في حياتها : « الشرف » ... وتبين لنا

قصة يوسف ، مدى قوة هذا الجهاز فقد عبر عن ذلك القرآن الكريم اروع تعبير فقال : **((وغلقت الابواب وقالت هيت لك))** . فلفظة « غلقت » ينعكس عليها الانفعال الجبار لامراة الملك ، لاجل الحصول على ماربها من غلام العزيز .

ولذلك ينهي النبي (ص) عن الخلوة بالنساء فيقول : **((اياكم والخلوة بالنساء ، والذي نفسي بيده ما خلا رجل بامراة الا ودخل الشيطان بينهما))** او كان الشيطان ثالثهما . ويقول عليه الصلاة والسلام : **((من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامراة ليس بينه وبينها محرم))**. وان كان لابد من الخلوة بامراة فيجب ان يكون ذلك مع محرم يقول (ص) : **((لا يخلون احدكم بامراة الا مع ذي محرم))** .

وقد عبر النبي (ص) « بالشيطان » لان الغريزة عندما تستيقظ في لحظة الخلوة بين رجل وامراة توسوس للنفس بهواجس مريضة ونوايا خبيثة تسيطر على الفرد وتحطم لديه كل القيم وتدفعه دفعا نحو ما لا تحمد عقباه : وقد لا تزعج هذه النتيجة من ماتت غيرتهم وتسفلت ضمائرهم وزيفت افكارهم وانحلت عقيدتهم ، ولكن الذي يجب ان يعلم هؤلاء ، هو ان هذه النتيجة تحمل الكارثة للامة ، لان فساد الاخلاق كما يقول « بيتان » هي أهم جيوش تحطم البلاد وتعين العدو .

واذا كانت المدنية تشيع وتحبذ هذا النوع من الحياة ، فلا كانت « المدنية » لانها حينئذ ، تكون مزيفة ، ضالة مضلة ، لانها تخلو من أهم عناصرها وهو الاخلاق.

وها هو الفيلسوف الانجليزي راسل يقول : « ولقد ادت المدنية (الغربية) الى اتاحة فرص كثيرة امام الزوجات للخيانة الزوجية وذلك بسبب اطراد التوسع في منح الحريات للنساء ... » لان هذه الحرية تلهب الرغبات المنحرفة ، وتوقظ النزعات المادية ، وتضع في يد الشيطان وسيلة طيعة لتخريب الذمم ، وتقويض القيم . والحق ، ان هذه الحرية المطلقة في اروبا ، تهدد كيان الاسرة ، الامر الذي ادى بالعلامة الانجليزي « طوينبي » الى ان يعلن اخيرا بان الحضارة الاروبية على وشك الانهيار ان لم تعتمد على دين .

فالحرية بالمعنى الذي تفهمه اروبا وامريكا ، قد اوجدت مشاكل خطيرة في العلاقات الزوجية ، وغيرت من نفسية الغربي تغييرا بث سمومه في النواحي العامة للحياة الاروبية ، وها نحن نرى دولة فرنسا بما تملكه من عتاد وجنود وبما تتلقاه من اعانات ومساندات تتكسر قوتها وينهار حديدها وقنابلها وسمومها امام جماعة من المؤمنين الجزائريين الذين يملكون ما يفتقر اليه الفرنسيون : الضمير ... الايمان ... فالفوضى الاخلاقية لا تخلق مشاكل في الزواج او في الاسرة فحسب ، بل انها تضعف العزائم وتمرض الهمم وتدع القوم فقراء من بواعث القوة .

وها هي الصحافة العالمية في هذه السنوات الاخيرة تتحدث عن الاجرام الخطير خصوصا في اوساط الشباب ، ولا تخلو صحيفة يوميا من خبر عن اجرام الاحداث بامريكا وعن الفوضى الجنسية المنتشرة مع ان اروبا ترمي امريكا بالتزمت .

ان جعل المراة في متناول يد الرجل عن اقرب طريق وبايسر وجه يجعله زاهدا فيها وقد احدثت هذه الظاهرة ازمة شديدة في مصر وخصوصا بين المتعلمات الى درجة ان خريجات كلية الأدب 80 في المائة منهن عوانس وان جل طلبة الجامعة ينفرون من الزواج بالزميلات. وقد دفعت هذه الظاهرة بأحد قضاة أمريكا الى الدعوة جهارا بوجوب اباحة زواج « الزمالة » اعترافا بواقع الحياة في الجامعات والمدارس الامريكية ومن طبيعة هذا الزواج ان يكون مؤقتا حتى يتخرج « الزميلات » فان شاء الزوجان الاستمرار فذاك والا فلهما ان يفترقا دون ان يترتب على افتراقهما اي اثر قانوني !

وان ما يزعمه دعاة الشر والفساد عندنا من ان اختلاط النساء بالرجال يؤدي الى تخفيف وتهذيب الغرائز واعلائها انما هو كلام يدل على عمق شديد في الجهل بالطبيعة البشرية او على تجاهل شديد مقصود ، لغاية تكمن في النفس ، بودنا لو يكون هذا الكلام صحيحا فتتهذب النفوس ، وتسمو الغرائز ، ولكن الواقع الذي يشهد به كل شاب يبين مدى خطل ذلك الراي ، هل حقيقة يؤدي تقريب البنزين من النار الى تهذيب طبائع كل منهما ؟ وهل اختلاط البارود بالنار يؤدي الى السمو بطبيعة البارود وطبيعة النار ؟ ان العالمة الكبيرة «ماريون هيلارد » ــ دكتورة في الطب ورئيسة قسم امراض النساء والولادة بمستشفى جامعة تورنتو ــ كانت تعتقد ان للمراة قدرة على ضبط نفسها وعواطفها مع الرجل ، غير ان وظيفتها وتجاربها منذ سنوات كثيرة جعلتاها تغير رايها وتقرر الواقع الذي استخلصته من المآسي الكثيرة التي كان موضوعها : « المراة فريسة الرجل » انها تقول : « ان الانوثة متوحشة ، فالانثى مزودة بجهاز

تناسلي يسيطر على كيانها وهو جهاز ذو قوة مدمرة ، تستطيع ان تحطم القيود والاغلال دون اي نذير ، وذلك عندما يشترك رجل وامراة في ضحكة خفية او تتلامس يداهما » . وترى ان كل امراة تعتقد في نفسها ليست من اولئك الفتيات اللواتي يستسلمن للرجل ويخضعن له ، انما هي واهمة خادعة لنفسها جاهلة بحقيقة طبيعتها ، لا تدرك تلك القوة الجبارة التي تنفجر لحظة اثارتها .

لقد كانت الدكتورة تعتقد ما تعتقده معظم فتياتنا اليوم ، من ان الشرف والكرامة والعزة كل هذه القيم تتغلب على اي محاولة مضادة لها ، وان الاختلاط بالرجل والانفراد به والدخول معه في تجربة « زمالة » لا ينتج اي ضرر ما دامت المراة مهذبة ، تلقت تربية اخلاقية تفهمها معنى الحدود ، تقول هذه الدكتورة الخبيرة : « اما الآن فانا اعقل وارشد ، واعرف ان هذا غير صحيح ، فهناك في العلاقة بين الرجل والمراة لحظة لا يمكن ان يتحكم الانسان اثناءها في عواطفه او يسيطر عليها ، ومن ثم يضيع شرف المراة الى الابد » .

ولعله صار من العرف العام او من الكلام الشائع المسلم ، ان كل دعوة تدعو الى عدم الاختلاط هي دعوة رجعية متاخرة متزمتة لا ترتكز على فهم صحيح للحياة الانسانية ومن الطبيعي ، ان يتخذ دعاة الفساد لافتات ، تحمل عبارات التجريح ، والشتم ، لاجل ان يبقى الميدان خاليا لهم ، ولا تخلو دعوة هؤلاء من الفاظ معسولة واساليب براقة وتزييف للحقائق متقن ، ضاربين بتعاليم الدين عرض الحائط ، فان خاطبتهم بالتجربة والعلم اتخذوا اللف والدوران سلاحا مضادا ، وليس بيننا وبينهم الا شيآن للمناقشة والمناظرة : اما الدين ، ان كانوا يؤمنون به ، واما العلم ، وليس هناك طريق ثالث الا الجهل ودواؤه الناجع في درة عمر .

وان العلم يقول على لسان الدكتورة السابقة : « اني ، كطبيبة ، لا اعتقد بامكان وجود علاقة افلاطونية بين رجل وامراة ينفرد احدهما بالآخر اوقاتا طويلة » .

والواقع يؤيد ذلك ، فالحياة السائدة في اوربا خصوصا في السويد – الذي يعد ارقى بلد في العالم – تعكس نتيجة النظام الاجتماعي الذي يقوم على اختلاط الجنسين ، فالابحاث الاجتماعية دلت على ان ثمانين في المائة من نسائه مارسن علاقات جنسية وان نسبة الطلاق 1 في كل 6 زيجات ، وان نسبة النساء غير المتزوجات ترتفع بشكل مريع ، ويتنبا الباحثون الاجتماعيون بان السويد سائرة نحو الانقراض بسبب الامراض النفسية والجسمية التي بلغت نسبتها درجة خطيرة نتيجة الفوضى في العلاقات الجنسية والادمان على الخمر حتى في اوساط الاطفال ، وان 334 مليارا من الفرنكات المخصصة للاصلاح الاجتماعي عاجزة عن مواجهة تيار الفساد .

ويقول بعض السطحيين بان الاختلاط بين الجنسين يؤدي الى تخفيف حدة الشذوذ الجنسي والحب المثلي ، وكثيرا ما سمعنا هذه الحجة من افواه بعض الشخصيات الذين يريدون ان يلبسوا لباس « التقدم» تبريرا لهذه النزعة (اي نزعة حب الظهور بالتقدم) ، او تبريرا لواقع آسن مخالف للدين لا يستطيعون التخلص منه ، وعلى كل فان كانت هذه النتيجة ، اعني تخفيف حدة الشذوذ الجنسي ، تقع على حساب شرف المراة التي تدفع الثمن غاليا ، فانها – اي النتيجة – ايضا وهمية .

فكلنا يعرف ان انجلترا تعيش في حياة يختلط فيها الرجل بالمراة ومع هذا فان الشذوذ الجنسي يزداد حدة وعنفا مما ادى بالحكومة البريطانية الى تكوين لجنة تبحث هذا المرض الهدام ، وقد درسته دراسة وافية ، واظهرت في تقريرها بان بريطانيا لا تستطيع ان تقاوم هذا التيار او ان تقضي عليه ، ولهذا فقد اوصت هذه اللجنة الدولة بان تعترف بالواقع ، فلا تعتبر الشذوذ الجنسي الواقع بين البالغين جريمة خلقية يعاقب القانون مرتكبيها .

وليت الاعتراف بشرعية هذا الخلق المنحرف ، وهذا الداء الخطير بقي فقط في نطاق رجال الدنيا والسياسة ، بل راينا تاييدا اشد واقوى من رجال يمثلون سلطة السماء في الارض ، وهم وسطاء بين الله والعباد ، نعم ، لقد راينا الكنيسة الانجليزية ، وعلى راسها العلامة الدكتور «فيشر» رئيس الاساقفة الانجليز ، تدرس هذا المرض الخطير وتناقش اعضاؤها في مشاكله : ويطرحون امره الى التصويت ، فيفوز الراي القائل بان الشذوذ الجنسي لا يعد جريمة باغلبية 155 ضد 138 ، وقد صاغ الاقتراح ووضعه السير «جون ولفندين» وهذا نصه : « ان الحل الوحيد هو ان لا تدخل في نطاق الجرائم ممارسة الشذوذ الجنسي سرا بين ذكرين بالغين تخطيا الحادية والعشرين من العمر » .

وقد نشرت بعض صحف القاهرة تقريرا خطيرا لبوليس لندن يصرح بان نسبة التلبس بهذه الجريمة بلغت 6.644 حالة فى سنة 1955 .

هذا ما وجده البوليس اللندني فى صورة علانية مفضوحة ، اما المستور فاخطر من ذلك واكثر .

وبعد تهنئتنا الباردة لرجال الدين الانجليز على جراءتهم الشاذة المريضة ، نتوجه الى اصحابنا الذين زعموا ـ وزعمهم باطل ـ بان الاختلاط بين الجنسين يخفف من حدة الشذوذ الجنسي ، فالحجة اذن : واهية ، يقصد بها الجدل المنحرف لتاييد قضية : يعتقدون بطلانها ، وان كانوا لايملكون الشجاعة الكافية للتصريح بحقيقة نواياهم وضعفهم الخلقي كالجراة التي رأيناها عند لجنة الحكومة البريطانية ولدى رجال الدين الانجليز .

والحقيقة اننا نعيش فى تطور يتجه نحو الانحدار بقيادة « المدنية الغربية » التي يعترف عقلاؤها بالخطر الداهم والانهيار السريع لها ، وهذه الحالة التي وصلوا اليها اليوم تناقض ماكانت عليه اوربا من قبل ، ولقد حدثتني امراة اوربية عجوز بان المراة كانت عندهم متسترة لايبدو منها الا الوجه والكفان وكانت حياتهن لاتسمح بهذا النوع من الاختلاط الذي يسود بلادهن الآن ، وهذا التطور ايضا قد وقع فى العالم الاسلامي قديما . جاء فى كتاب « الامتاع والمؤانسة » لابي حيان التوحيدي : « كان الرجل فيما مضى اذا عشق الجارية راسلها سنة ، ثم رضي ان يمضغ العلك الذي تمضغه ثم اذا تلاقيا تحدثا وتناشدا الاشعار فصار الرجل اليوم اذا عشق الجارية لم يكن له هم الا ان يرفع رجلها كأنه اشهد على نكاحها ابا هريرة » .

راينا اذن ان الاسلام الحكيم ، عندما منع اجتماع رجل وامراة اجنبيين استهدف مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ، والمحافظة على كيان الجماعة الاسلامية من ان يتسرب اليها الانهيار ، وكان من الواجب على أولي الامر عندنا ان يعملوا على توجيه الشبان والشابات نحو هذه التعاليم الاسلامية توجيها عمليا فعالا حتى لانظل متوجهين بعقولنا وافكارنا وعواطفنا نحو الغرب ناخذ عنه عاداته الهدامة وانحرافاته الضارة ونتبعه فى تطوره نحو الانهيار (1) : **« ان هـذه تذكرة ، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا »** .

---

1) لست فى حاجه الى التدليل على ان الغرب يتخبط فى مشاكل جنسية بسبب فتح الباب على مصراعية نحو الاختلاط ولكن الذي اريد تأكيده هو ان كل محاولة للاصلاح فى دائرة الفساد مقضى عليهـا .
ونرجو ان نتمكن من استكمال البحث فى امر الاختلاط والاخطار الاجتماعية الاخرى التي تهدد مجتمعنا الناشىء لننشره وان كانت الاوساط الشعبية تعلم الشيء الكثير عن تلك الاخطار .

اصـابـة الموضـع ...

اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضع ، فانه ليس فى كل حين يحسن كل صواب وانما تمام اصابة الرأي والقول باصابة موضعه .

عبـد الله بـن المقفـع

السينما من وجهة نظر الدين

**

حديث هام للاستاذ الاكبر
محمود شلتوت
شيخ جامع الازهر

ادلى الاستاذ الاكبر بهذا الحديث الى مجلة الاذاعة قال: ان السينما بالنظر الى ذاتها وبغض النظر عن قصصها وموضوعها وما يقترن بها ، جهاز طيب صالح لاستخدامه فى الاسترشاد بالمبادىء الانسانية التي تضمنها التاريخ والسنن الاجتماعية « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض» والواقع انه ما من شيء الا وفيه جانب الخير وجانب الشر ، فلو خلينا جوانب الشر ونحيناها واخذنا جوانب الخير وركزناها لكان لنا هذا الجهاز الصالح فى التهذيب والتوجيه والارشاد وبناء جيل قوي فى مبادئه ومناهجه واسسه وخططه ولعلك قد لمست الآن ان السينما عندنا بوضعها الحالي اداة تهدم ولا تبني ، بل وتغري بالفساد وقد تدفع اليه ، فان اكثر جمهور نظارتها هم الشباب والشباب مشبوب العاطفة متاجج النظرات يتخطف ما يروي ظمأ وجدانه او يرضي تياراته المتنازعة فى نفسه المتزاحمة تزاحما يطغى على نضوج العقل وسلامة التفكير .

وطبيعة الحياة تقضي بالا يقدم لكل انسان الا ما يناسبه فى حياته من طعام وشراب وكذلك فى جانب القراءة والمعرفة وفى جانب الاطلاع بأي لون كان ، سواء اكان فى الاذاعة او فى السينما كذلك يجب ان ينتقي له ما يناسبه ويحفظ له كل مقوماته ويأخذ بيده الى البناء لا الى الهدم ، والشباب كالمريض الذي يمر بدور النقاهة عرضة للعدوى بأي جرثومة ومن اي ميكروبة ، لذا كان لابد من اتخاذ الحيطة والحذر بالنسبة له وخاصة فى الموضوعات السينمائية التي تحتل من نفسه المكانة الاولى . فالآفة اذن هي فى الموضوع الذي يختار ليقدم لجيلنا ولمجتمعنا الذي نرجو له الخير فى كل نواحيه وكذلك فى شكل العرض وطريقة الاخراج .

وانا لا احب ابدا ان يقال ان الجيل الجديد من الشبان يتطلب كذا وكذا ويحتاج الى مسايرة المدنية ولابد ان تطوع احكام الاسلام لمقتضيات الجيل ، لا احب ابدا ان اقوله ولا احب ان اسمعه فان تطويع الدين لغير الجهة التي حددها خروج عن وضعه وافساد لتعاليمه .

وانما علينا ان نفهم ديننا فهما صحيحا ولا نحكم فيه رغباتنا وشهواتنا ، والاسلام بطبيعته ، يدعو الى التقدم الرزين والى النهضة القويمة والى المدنية السليمة ثم الى العزة والكرامة ، وحسب الفتيات عندنا والفتيان ان تغرس فيهم هذه المبادىء فتمرح بهم فى مدارج الكمال وتسمى بهم صعدا الى قمم المجد والسؤدد .

وامتنا امة ذات رسالة فلا يجوز ان تتخلى عنها ولا ان تتجاهل قيمتها ولا ان تتخلف عن حملها ، لان التخلف عن حملها يؤدي الى ايجاد ثغرة بين ماضينا الاسلامي الزاهر وحاضرنا فى النهضة المتوثبة المتوجهة الى البناء والتعمير .

ان القصص الوافدة علينا فى افلام براقة تطوي بين جنباتها سهاما قاتلة وتنفث فى مجتمعنا سموما تحطم الآمال فى هذا المجتمع الجديد وترسم فى عقول الشباب خطوط الفساد ، وقد تخط فى اذهانهم ما يدفعهم فى وقت ما الى ما يؤذيهم او يؤذي مجتمعهم وما هذه الحوادث التي تقع من كثير من الشباب الا اثر من آثار الافلام التي تعرضها دور السينما فى غير ما حياطة ولا حذر .

واننا – نحن المتعاونين في هذا البناء المخلصين فيه – يجب ان نرقب في صحو ويقظة من يرى السوء ثم لا ينحيه ، فاننا امة ذات حضارة وذات دين وذات موقف خاص في الوسط الدولي الاسلامي فيجب الا ننأى عن مقاييسنا ومبادئنا وقيمنا بل نظل على الحفاظ عليها والتمسك بها ، وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله .

القصص والموضوعات التي ارشحها

السينما التاريخية الاخلاقية التي تجمع امجاد المسلمين من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا كل من رسم خطا من خطوط النهضات الاصلاحية المتوالية، والموضوعات الاخلاقية لها من الاثر في دعم مجتمعنا دعما يقوم على الاسس السليمة حتى يصبح مجتمعنا مجتمعا قويا صنع من فولاذ من الايمان الذي لا تهده عواصف ولا تزعزعه صواعق ولا اعاصير ولا مبادىء هدامة وافدة ، وان القصص التي تعرض من النوع التاريخي الاخلاقي سبيل للدعوة الى احياء الوعي التاريخي الخلقي بشرط ان تنقى مما يثير الغرائز وان توجه عواطف الشباب بما يتفق مع الدعوة الى مكارم الاخلاق

كما اننا نرى ان تكون سبيلا من سبل التعليم ونشره ، فان التطبيق العلمي في كل شيء مدعاة الفهم الصحيح ، ومتى فهمت الموضوعات فهما صحيحا استطعنا ان نحل مشاكلنا .

واما الافلام التي شاهدتها فهي افلام تتصل كل الاتصال بما رسمنا وما نرجوه للافلام المعروضة ، ولقد شاهدت قصة ظهور الاسلام وهي تعريف بما ينبغي ان تعرفه فانه من التاريخ الموجه الذي يبين مزايا التضحية وآثار العقيدة الصالحة القوية في بناء المجتمع ودعمه وكيف يستسهل الصعب في سبيل الفكرة السليمة والايمان العميق . لقد لمسنا فيه التعبير عن مبادىء الاسلام من الحرية والمساواة وانعدام العصبية ان الناس جميعا سواء لا فضل لاحدهم على الآخر الا بالعمل الصالح والايمان المنتج ، وشاهدت كذلك قصة خالد بن الوليد واشتركت في وضع اصول كثيرة من مشاهدها ، مثل هذه الافلام التي تبرز المبادىء وتوضح المثل هي التي نحتاج اليها ويجب ان نحرص عليها ، لقد اصبح المشرفون على الافلام الوافدة والمنتجون للافلام المحلية لا يعنيهم من امر شبابنا ولا من امر جيلنا شيء من فكرة الاصلاح التي يجب ان تكون رائدنا وهدفنا .

ان لمجتمعنا مشاكل لو انها عولجت عن طريق السينما لحلت هذه المشاكل ولغدت السينما جهازا قويا موجها وبانيا ولاعتبرت حقا جزء من مدنية يجب ان نخلقها نحن ونضع اسسها لنخرج الى الناس مدنية تفيض بمبادىء الاسلام وتوجيهاته .

وليس يعنينا ان تكسد صناعة السينما او تنجح ، فنجاح مجتمعنا هو الذي نرجوه ونتشده ونحرص عليه وكل فكرة لا تحرص على ذلك فانها فكرة غير صالحة ينبغي ان نطرحها ولا نعاون عليها وان جمعت لصاحبها ما جمعت الدنيا لقارون .

وكلمة عامة صريحة ، يجب تنقية الاذاعة والصحف والسينما من كل ما يؤذي مجتمعنا او يسبب انتكاس القوى التي ترفع شأنه وتقوى لبناته من افراد وجماعات ، تقوية تجعل بناء المجتمع بناء مثاليا فاضلا .

وهذه دعوتي وتلك نصيحتي اوجهها الى اخواني موجهي هذه الاجهزة والمشرفين عليها فانهم بعملهم ووطنيتهم شركاء في الدعوة الى الله وبناء امتنا ومجتمعنا بناء على اساس الحق والقوة ، هدانا الله جميعا الى الحق والى الطريق المستقيم .

عن مجلة « الازهر »

الصوم والانتاج القومي

للأستاذ : التهامي الوزاني

الى متى سنبقى جاهلين بروح الاسلام ؟ هـذا سؤال يبدو لاول وهلة ان الجواب عنه عسير ، غير انه لا عسر فيه ولا غموض ، والذي جعله سؤالا غامضا محرجا ، لم ياته ذلك الا من الصورة التي يحملها فى نفسه للاسلام . ولعل الذين توقفوا ، فاختصروا الطريق ، وناداهم منادي الهداية من مكان قريب، بحيث اصبحت صورة الاسلام فى نفوسهم هي صورة الحياة الصحيحة المثلى ، لن يتوقفوا فى الجواب عن السؤال السابق، فيجيبوا عنه بقولهم : اننا سنظل جاهلين بروح الاسلام ما دمنا نحسبه دينا على هامش الحياة لا ارتباط بينها وبينه ، ا وبينهما رباط هزيل ضعيف فى حين ان كل شيء فى الاسلام ينادي بانه هو الاطار الذي وضعه احكم الحاكمين ، لتوضع فيه صورة الحياة فى سائر اعصرها وجميع امكنتها ، ولن يستوعب اطرافها الا هذا الاطار المحكم الصنع البديع الوضع : فان الحياة بكل ما فيها من فعل القدير الحكيم ، وان القرآن كلام العليم المدبر ، و لاصورة اصدق للكون من الصورة القرآنية ، ولا تطابق بين قول وفعل كهذا التطابق الدقيق التام الكامل ، الا ان تطبيق جزئيات القول على جزئيات الصنع امر لا يدركه الا اولو الالباب. ولو ان ربانا ماهرا من ربابنة الغواصات عثر على خارطة لاعماق البحار ، وتأكد من انها كاملة تامة ، وكان واثقا من نفسه فى القدرة على تطبيق التصميم، لتمكن من خوض اعماق البحر فى غير ريب ولا حذر ، اما لو شك فى احد الشطرين لفارقته الطمانينة ولتملكه الهلع والجزع ، ويحق له ان يجزع لانه سيخوض بحرا محتاجا الى سلاح من اليقين ، متربلا باثقال من الشك والهلع ، اما المومنون غير المتبصرين بالحياة فهم كمن وضع تصميما معقدا فى صندوق واخذ يتحدى من قرب ومن بعد بان الصورة الصحيحة للحياة هي معه ، فاذا طلب منه توضيحها قال كل شيء الا الصواب الذي لايقال بالفم قبل فقه القلب ؛ واما الذي ادرك جانبا من واقع الحياة ، وهو يحمل فى نفسه للقرآن انه كلام غامض مستحيل التطبيق والمقارنة ، فانه كالرجل الذي يبحث عن وثيقة هامة ، فيطلبها فى كل مطلب ، الا الجهة التي هي فيها ؛ ولو قلت له : ان الوثيقة التي تطلبها هي هذه القريبة منك ، السهل ماخذها ، المتيسر فهمها لاعرض ونأى بجانبه، لان فى نفسه عقدة فكرة العسر .

وعلى هذا فان الانتاج القومي لا شك انه حقيقة من حقائق الحياة ، ولا يمكن ان لا يكون حقا بأي وجه من الوجوه ، ومع ذلك فان الدين يوجب على العامل المنهمك ان ينتقل عن عمله ليؤدي صلواته فى اوقاتها ، ويظهر باديء الامر ان فى اداء الصلوات لوقتها توقيفا للانتاج ، بحيث لو استمر عاملا لانتج اكثر ، هذا ما يبدو لاول وهلة ، ولكن الحقائق الواقعية اكبر شأنا من ان يحكم عليها حكما ارتجاليا لا يسبقه درس ولا جمع للملابسات وتنسيق النواحي الحيوية فيما بينها ، واذا جاز ان نقول ان العامل باقامته لصلواته يتصرف عن عمله ، جاز كذلك ايضا القول بانه عندما يجلس لطعامه وشرابه وراحته ، وعندما يذهب ليلا الى سريره فان ذلك يوجب توقف عمله ، وكان الاليق ان يظل عاملا طيلة اليوم والليل ، وهذا صحيح من الوجهة العملية ، الا انه مستحيل من الوجهة الواقعية، فان العامل لن يطالب بأكثر من ان يقضي ثمانا واربعين ساعة اسبوعية فى العمل فى حين ان عدد سوائع الاسبوع 168 ساعة .

وواضح ان 120 الفاضلة لابد ان توزع بين عدة حركات وليس حظ الصلوات من ذلك الا نحو ست ساعات بل ان فى الصلوات افضل وجوه الاستجمام وتطهير الجسم والعقل .

ومنزلة الصوم فى الحياة منزلة سامية ، فان الانسان عليه ان يتربى ويتعود على ان يأخذ من نفسه بعض ما تحسبه انه لها ، لكي يبقى بذلك على حقوق الآخرين : فالمال فيه الزكاة ، وهي نقصان من حرية التصرف فيه ، ومس النساء محدود بالزواج الحلال ، ومحظور فيه الحرام ، ابقاء على حريات الآخرين ، والصيد مباح ، ولكنه ممنوع فى البلد الحرام ، حتى اذا ما حرمت الحكومات الاصطياد لوجه من وجوه المنفعة وجد المسلم نفسه معدة لقبول هذا المنع ، حيث انه تعود على أن يمتنع عن الصيد فى حالات وامكنة خاصة ، واحل الله البيع وحرم الربا لتعتاد النفوس أن تنقاد للقوانين الحكومية فى تضييق حريات التجائها عندما تقتضي المصلحة ذلك .

وفى الصوم اعتياد على سلوك نظام التقتير الذي تفرضه اوقات العسر والحرج ، فكما يكف المسلم نفسه عن طعامها فى شهر رمضان كذلك يمكنه ان يكفها عن الاستسلام لشهواتها فى اوقات التقتير الذي ترتكبه الحكومة تلافيا للمجاعة وغلاء الاسعار ، وحماية الانتاج القومي .

حتى اذا ما تعارض الصوم ومصلحة اخرى ، كان الاسلام فى جنب المصلحة ، فاجاز فطر المسافر ، والمريض ، والحامل ، والمرضع ، والشيخ الهرم ، واذا كان صيام شخص موجبا لان يضيع جوعا شخص آخر فان انقاذ النفس مقدم شرعا على الصوم

ان الذين يظنون فى الدين تعارضا مع حقائق الحياة ، لا يختلفون عن الذين يحسبون أن الدين فى واد والدنيا فى واد ، واذا جاز انيكون فى دين منالاديان هذا القلب والمسخ — ولا نظن ذلك — فان الاسلام بريء من ذلك ، بل انه حريص على ان يجعل من العمل الدنيوي عبادة ، ويكون الدرهم درهما دنيويا ما بقي ميتا فى يد صاحبه ، فان انتقل ليروج فى المصالح تحول من نقد تبادل الى حسنات ودرجات ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

اضنن بدينك وعرضك ...

ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك وانصافك ، واضنن على كل احد بدينك وعرضك .

عبد الله بن المقفع



ان الاديان جميعها تهدف فيما ترمي الى مقاصد شتى والى فوائد مختلفة تلحق جسم الانسان وروحه والمجتمع الذي يعيش فيه . وكان سعي العلماء فيما مضى ابراز طبيعة هذه الاديان واهدافها وعلاقة كل ذلك بالتقوى وارضاء الله عز وجل من جهة ثم اظهار مدى التأثير الذي يلحق الكائن الحي من جهة اخرى . وعبقرية اي دين هو مقدار احتوائه على هذه المفاهيم التي يتبدل شكلها من زمن الى آخر دون مس للجوهر اوتحويل للاصل الاصيل - وفضل الاسلام على الاديان الاخرى هو خصب محتواه واصالته وانفراده بسيمات وصفات انسانية عميقة لاتنضب بل نرى لها وجها جديدا كلما تقدم العلم واتسع افق تفكير الانسان غير ان حقيقة الدين السامية قد يجهلها الناس او يتجاهلونها اندفاعا مع السلوك الجاري او تقليدا لفلسفة الحادية عرجاء لاتقوم على عمق البحث ولا على الروح العلمية الحقيقية - في مثل هذه الظروف يتحتم على المرشدين والدعاة وعلى المختصين بدراسة وتدريس الاسلام أن يحسنوا الدفاع وان يتقنوا الشرح والتفسير مستعملين في سبيل ذلك احدث الوسائل وان يعرضوا الاسلام عرضا جديدا حيا قائما على معطيات العلم الحديث وعلى النظريات الفلسفية المعاصرة والا يكتفوا بالطرق القديمة التي تقوم على المهارة اللفظية والتعصب الاعمى وضيق الافق .

واليوم ، ونحن في شهر رمضان المبارك ، يتحتم علينا أن نمعن النظر فيه وان نتفهمه تفهما جديدا بعد أن صاح المغرضون بعدم جدواه وبفوات اوانه في عصر الذرة والاقمار الصناعية وهم لو فكروا قليلا لراوا فيه باعثا حيا على الانتاج والعمل وحافزا على عظائم الامور كثر الحديث حول فوائد شهر رمضان الطبية منها والخلقية ولم تستطع النظريات الحديثة الا ان تنحني اجلالا للمغزى الطبي العميق الذي يتضمنه الصوم ولاثره الفعال على صحة الانسان وعلى المعدة وهي بيت الداء كما يقولون ، ولم يكن المعنى الاخلاقي اقل شأنا من المغزى الطبي يكفي مافي الصيام من مشاركة حقيقية لألم الفقير وللحرمان الذي يصيب الضعفاء الذين لايجدون لقمة العيش ..... كل هذه المعاني طرقها الكتاب قديما وحديثا - ولكن قل منهم من درس الصوم من مضمونه النفسي وحلل عناصره تحليلا نفسيا ، واشار الى التربية النفسية التي تتحقق بفضل الصوم ثم عمق اثر الجوع على شخصية الانسان وعلى مصيره في المستقبل - ونحن لو حاولنا هذه المحاولة لوجدنا ميدانا خصبا ووجها جديدا يتبدى لشهر رمضان المبارك .

وهنا اريد ان ادرس عنصرا واحدا من هذه العناصر النفسية العديدة وهو المفهوم الارادي للصوم ، ولا يخفى علينا ان الحضارة الحالية كثيرة التعقيد متباينة الاوجه عديدة المطالب والعروض . وكل هذا من شأنه ان يجعلنا نحتار ونضطرب ولا نقدم سريعا على حاجة معينة الا بجهد وتردد شديد ، وهذه المشتتات الذهنية المختلفة من شأنها كذلك أن تضعف الارادة وتكلل الشخصية وتحط من قدر المواهب النفسية الاخرى . اذا الانسان المعاصر اصبح في حاجة اكيدة وماسة الى تربية جديدة تمس أول ماتمس الارادة الخائرة لاننا نعلم جيدا أن العباقرة الذين تركوا اثرا عميقا في حوادث التاريخ وسير العلم كانوا ذوي ارادة حديدية وعزم قوي يدفعهم الى العمل دفعا وليس الصيام الا تدريب عملي وواقعي على اكتساب تلك المهارة العميقة

ومن المعلوم في علم النفس ان العمل الارادي لايكون عملا اراديا تاما حتى يخرج الى حيز الوجود والتطبيق ، وان النية او العزم لايكفيان بل لابد من

الشروع فى التنفيذ ، والصيام يماشي هذه الفكرة اذ لايكفي أن المؤمن بالصيام يكتفي بمجرد الايمان والاعتقاد بل لابد من الصوم والانقطاع عن ملذات الجسد انقطاعا حقيقيا ، والعمل الاداري يجب ان يكون عملا واعيا حتى يكون اراديا انسانيا ، لان الحيوان يعرف الارادة والتصميم الا انها اردة عمياء تقوم على الغريزة والاندفاع الحيوي لا على التبصر والفهم . ونحن نعرف ان الصوم لايكون صوما حقيقيا حتى يكون صاحبه معتقدا مؤمنا شاعرا بالمعنى المقصود والفائدة المرجوة وان الحسنات تضاف الى فعل الصائم كلما كان صومه حافزا على الخير والاحسان والعطف على الضعفاء والفقراء .

تمتاز النظريات النفسية قديما فى نظرتها الخاصة لفعاليات الانسان ، ان نظرة تتصف بالفصل بينها ودراستها دراسة مجزاة — كما هو الشان فى العلوم المادية التي تذهب من الجزء الى الكل ومن الذرة الى الجسم الكامل — وكانوا يعتقدون ان هذه الطريقة تدني علم النفس الى العلوم التجريبية ، غير ان هذا المنطق تغير تماما بعد نظريات مدرسة الجشتالت الالمانية التي اثبتت أننا لانستطيع فصل الطاقات النفسية الكامنة فى الانسان واننا لانفهمها مالم نربطها بالانسان ككل . فنحن مثلا لاندرك العملية النفسية العميقة للذاكرة مالم تبين علاقتها مع الارادة والذكاء والتخيل ، وان هذه النظرة الشاملة هي التي تكشف الجوانب الخفية للذاكرة — وهذه الفلسفة عرفها الاسلام قبل العلماء النفسانيين فى القرن العشرين اذ ان الصوم مثلا ليس الا عاملا او حافزا على اثارة الطاقات النفسية الاخرى . فالصائم يضبط عواطفه ويتحكم فى نزعاته ويعمل عقله لتفهم فلسفة الصيام كل هذا بالاضافة الى التأثير على الجسم والسلوك العام . فالصوم شرارة او دفعة صغيرة لتحريك الانسان وتنبيه كل النواحي النفسية الاخرى للقيام بواجبها وبوظيفتها التي خلقت من اجلها .

وكما أن علم النفس الحديث اصبح اليوم يهتم بتربية الشخصية الانسانية لاتربية طاقة نفسية واحدة ، كذلك الصوم فهو تثقيف وتهذيب واحياء للشخصية الكلية ، فالصوم يطلعنا على ما اصاب الشخصية من ثلوم ويجعلنا نلمس نقط الضعف فيها فكان الصوم جرس الانذار وسفارة الخطر لاصلاح ما اصاب الانسان فاذا كان ذا ارادة قوية وتغلب على الجوع والعطش ومغريات الجنس والنزعات الشريرة فكانه اجتاز امتحانا صعبا وصعد الى مصاف الكبار من الناس وان ضعف وهان فشهر رمضان فرصة لاعادة التثقيف واصلاح مافات ثم الاستعداد الى حياة جديدة فاضلة ، لان الرجل العظيم لايكتفي بالتغلب على من سواه من الاعداء فقط ولكن يجب أن يتغلب على نفسه أولا وأن يسيطر على الميول التي قد تدفعه الى الهلاك ، وبذلك يصبح أكثر استعدادا لمقابلة البيئة الفاسدة واصلاحها والتأثير فيها

ويعتقد البعض أن الامساك عن الاكل يسبب التعب والالم ، وهم لو علموا لادركوا ان الالم من مستلزمات حياة جديدة بأن تعاش ، ومن ملاحظة اولية نرى ان الرجل الضعيف لايطيق تحمل الالم وان الرجل العظيم يصمد امام الالم نفسيا كان او جسمانيا. فالالم مقياس الرجولة او الخور والضعف ، وشهر رمضان محاولة لتعويدنا على تحمل الالم لنكون اقوياء امام صعاب الحياة ولكي ننتصر فى معركة الوجود ويجب ان نميز بين الالم المعروف فى الفلسفة الهندية « اليوغا » وبين الالم الناتج عن الصوم ، ففي «اليوغا» نرى الصوم والالم الناتج عنه يهدفان الى التخلص من سيطرة الجسد والحط من قيمة مادية الجسد ، الالم هنا هدام يقضي على وجود موجود لاسبيل الى نكرانه اما فى الاسلام فالالم بناء انشائي لانه اعداد نفسي يرمي اولا واخيرا الى سعادة الفرد وسعادة المجتمع المكون من افراد اقوياء . ويرى آخرون ان الالم يجعل بعض القلوب قاسية وأن الحرمان يسبب الثورة والبؤس وهذا كلام صحيح اذا كان الالم مرتبطا بالشعور بالظلم والاهانة أو الكبت فنحن نثور حينما يحال دوننا ودون خيرات الوجود المشروعة بقوة السلاح وقوة السلطة الغاشمة اما اذا كان الالم اراديا ، اي الالم الذي نريده بكل حرية واختيار فهو الم يكون فى انفسنا عادة الصبر وتحمل المشاق فى سبيل نيل حياة افضل ولتوفير مستقبل ارغد وهذا مايهدف اليه الصوم وما ترمي اليه اغلب العبادات . عندنا مثال حي يعرفه الكثير منا عن الاثر الكبير الذي قد يتركه فينا الالم والحرمان ، وهي شخصية السيدة « هيلين كيلر » تلك العجوز الصماء البكماء الخرساء التي تجيد اكثر من لغة وتتذوق الموسيقى والتي حصلت — رغم حرمانها من حاسة السمع والنطق والبصر — على دكتوراه فى الفلسفة ، هذه السيدة تغلبت على حظها السيء بفضل الارادة وبفضل العزم . ومن هنا نرى

ان الارادة قد تحقق المعجزة وقد تتغلب على صعوبات من المستحيل الانتصار عليها بشخصية واهية ، فماذا كانت تستطيع فعله « هيلين كيلر » وهي مقطوعة عن بيئتها الخارجية انقطاعا تاما فلا هي ترى حتى تتعلم عن طريق المرئيات المحسوسة ولا هي تسمع حتى تتعرف على اصوات او صدى الماديات ولا هي تتكلم حتى تتصل بنا ونتصل بها ، ومع ذلك تمكنت بفضل ارادتها القوية ان تشاركنا وتتمتع معنا بالحياة وبكل مافيها من روعة وجمال .

ان الم الجوع يؤثر على جانب آخر من كيان الانسان ، هذا الجانب الحيوي هو العقل بكل مايشتمل عليه من دوافع نفسية شعورية ولاشعورية . ان الصوم مثير ومنبه خارجي فعال يجعل العقل يتساءل عن الهدف من الصوم وعن معناه وعن فوائده ودوره فى المجتمع ، اسئلة عديدة فى صميم حياة الانسان اذا اجاب عنها كان سلوك الانسان منظما غير متضارب واذا كان السلوك له خطة وطريق واضح يسعى فيه تآزرت فعاليات الانسان بكاملها فتتحقق بذلك الفائدة المرجوة من الصوم وهي التفكير العميق فى فلسفة الوجود والحياة وما بعد الحياة ثم التصرف حسب هذا المعتقد . ولعل هذا الغرض الفلسفي هو المقصود من الصوم لانه متى فكرنا فيه وآمنا به كانت حياتنا كلها حياة المؤمن الواعي البصير .

من الممكن ان تستخرج من شهر رمضان معاني نفسية كثيرة لايضبطها مقال واحد ولا يحصرها كتاب برمته لان الصوم يشتمل على كل طاقات النفس البشرية ، وعبقرية الاسلام انه استطاع ان يربط كل العبادات بالجوهر وبالعقيدة الاساسية ثم بالحياة الخارجية العامة ، واذا اردنا ان نتعمق فى معنى الصوم لتطرق بنا الحديث الى الاسلام بكامله والى الحياة بمختلف اوجهها والى الوجود بأسره ، فالصوم فرصة او فترة تدعونا للعودة الى التفكير فى انفسنا وفى غيرنا وفى الله . . . واذا فهم الناس هذا المغزى العظيم من شهر رمضان كانت لهم حياة اسعد وتحقق لهم مصير افضل .

ومع كل ذلك يجب ان نقوم بتجارب عديدة على مختلف الاحاسيس التي يشعر بها الصائم وان نجري الاختبارات العلمية على تطور الشعور والسلوك منذ الامساك الى الغروب والى مابعد الغروب حتى تكون النتائج اكثر وضعية ، وللاسف ان هذا الاختبار لم يجر بعد وكل ماقيل وما يقال لم يتعد الملاحظات العامة والآراء الفلسفية والحكم الفردي الذي قد لايوفق الى التعبير عنه تعبيرا دقيقا وعلميا .

على علماء النفس المسلمين ان يلتفتوا الى دراسة الصيام ليكتشفوا آفاقا جديدة ، وليردوا على المغرضين المفندين ردا علميا يقوم على التجريب والتحقيق الصادق .

ونحن ان فعلنا هنا نكون قد اسدينا خدمة علمية ووطنية ندفع بها الشبهات التي تحوم حول ظن خاطىء وآراء ارتجالية .

وظيفة المخ

ان وظيفة المخ هي تمكيننا من النسيان لا من التذكر

هنري برجسون

نحو توحيد الصوم في العالم الاسلامي :

المالكية زعماء توحيد الصيام في سائر الاقطار

الاسلام لا وطن له الا حيث توجد العقيدة الاسلامية

للأستاذ عبد الهادي التازي

عاد رمضان من جديد ، وغدا سنستقبل موسم الحج مرة اخرى وسنقع حتما فيما وقعنا فيه فى السنوات الماضية : صوم فى المشرق وافطار فى المغرب ، ووقوف بعرفات وغياب هنا ، وعيد هنالك وصوم هنا ، بل ونسمع ـ كما اعتدنا ذلك ـ بصوم فى الجزائر وتونس وبفطر هنا فى المغرب ونحن على قاب قوسين . . . والحق ان علماءنا منذ زمن بعيد شعروا بهذا التناقض فراحوا يكتبون ويحررون وفيهم من حدا فى الكتابة طريق التحقيق وبعد النظر لكن فيهم من اكتفى بترديد آراء لعلماء تقدموه ممن تأثروا فى تلك الآراء بظروفهم الخاصة بهم ، واعتقد ان الوقت حان اكثر من ذي قبل الى ان يتخذ علماؤنا موقفا موحدا يهدف فى روحه ومعناه الى تحقيق اغراض الشارع الحكيم من تعاليمه وسننه .

لقد كانت المملكة الاردنية الهاشمية اقترحت عقد مؤتمر يضم علماء الاسلام من مختلف البلاد لبحث توحيد ايام الصوم والاعياد ، وكان مجلس الجامعة العربية وافق على ذلك فى دورته الرابعة والعشرين فهل تم هذا الاجتماع ؟ لقد راوا ان من المفيد ان يتقدمه تبادل وجهات النظر بين علماء المسلمين فى مختلف الجهات حتى يكون ذلك تمهيدا لاخذ قرار فى الموضوع ، ولقد قرات ـ فيما قرات ـ تقريرا اعده احد العلماء المشارقة هو الاستاذ شكري التاجي الفاروقي تقدم به الى فضيلة شيخ الازهر من اجل عرضه على انظار علماء العالم الاسلامي ، وقد تضمن هذا التقرير بالفعل اجوبة طائفة من علماء الازهر عن اسئلة مشابهة وردت عليهم من مختلف البلاد الاسلامية وهي تتلخص فى « ان القول الصحيح عند المالكية والحنفية والحنابلة انه متى ثبت رؤية الهلال فى اقليم وجب على اهل الاقاليم الاخرى ان يعملوا بها فى صومهم وافطارهم متى بلغهم ثبوتها على طريق موثوق به » ولم تأبه هذه الفتاوي مطلقا بمسالة (البعد جدا) بين البلاد التي اعتصم بها بعض العلماء (1) الاقدمين كمبرر لعدم شمول الرؤية سائر اطراف العالم الاسلامي ، وليس الغريب ان يعتمد مثل ابن الماجشون على ان بعد المسافات مما لايساعد على التعميم فان وصول الاخبار من خراسان الى الاندلس ـ وبينهما مسيرة شهرين ـ كان بالفعل مما يتعذر ولذلك فكان من الحيف ان نحمل الناس المشاق ونكلف هذا الجانب بما كلفنا به الجانب الآخر ، فكان الحكم اذن خاضعا لظروف خاصة ، لكن الذي لايقبل بحال هو ان تردد اليوم صدى ـ البعد جدا ـ ونحن نعلم ان الذي حدا باولئك الى اعتباره عدم توفرهم على وسائل التبليغ فى الوقت المناسب .

اذكر انني كنت منذ ايام اعطي محاضرة حول « الاجماع » كعنصر هام من العناصر التي اعتمد عليها الاسلام وكنت رددت قولة العلماء فى انه اي الاجماع كان قصير الاجل محدودا ولم يكن كالقياس خالدا مدى وجود الفكر والعقل (2) ، ذلك ان الاجماع تعذر بالفعل بعدما تفرق الصحابة فى اواخر خلافة عثمان فى الامصار وبعد ما امسى من غير الممكن اجتماعهم للتشاور . . . وبينا انا بصدد ابداء المقارنات والمفارقات اذ بسؤال يتوجه الي من احد الطلبة : (ترى لو اصبحنا فى عصر تيسرت معه وسائل الاتصال هل يصح ان يعود الاجماع للظهور ؟) ولم يكن فى وسعي ان اتجاهل أن « الحيثية » التي ادعينا بمقتضاها اختفاء الاجماع ، قد بطلت فلم لايعود اذن ونحن نرى العلماء صباح مساء يتبادلون الراي من اقصى البلاد الى

---

1) بداية المجتهد الجزء الاول ص 169 . 2) المدخل العام للفقه المجلد الاول ص 36 .

اقصاها دون ماحرج أو عنت .. ؟ ولماذا بعد هذا نتمسك دائما بفقرة (البعد جدا) كأنما هي لفظ لايحتمل المناقشة والتعليل ؟

الواقع ان مبدا وحدة الصوم بعد المؤلفات الطويلة المفصلة وبعد البحوث المستوعبة (3) لاينبغي ان يبقى محل نقاش لكن النقطة التي نريد اليوم أن تكون محط البحث والتي نريد ان نعرض اليها في هذه المناسبة هي ان هذه الوحدة المنشودة تضع سؤالا لامفر منه وهو : ما هو البلد الذي نعتبره مركزا لرؤية الهلال ؟ وبعبارة اخرى فكما اعتبر الغربيون نقطة توقيتهم بقرية جرينيتش فهل جدير بنا لتحقيق هذه الوحدة ان يقع اختيارنا على بلدة معينة لتكون مصدرا لانطلاق النبأ ؟ أم يكفي لتحقيقها ان نكتفي بالقول انه متى ثبتت رؤيته في بلد من البلاد الاسلامية كان على البلاد الاسلامية الاخرى ان تقتفي هذا الاثر ؟ في « الموحدين » من لايهمه امر تعيين مركز ما ويلح فقط على فكرة التوحيد ، وهكذا فسواء لديه اثبت الهلال في بلاد الهند او بلاد المغرب . لكن الفكرة المعروضة اليوم هي ابعد من هذا وادق ، فهي تقترح ان يجعل (البلد الحرام) هو المركز الرئيسي لهذا الهلال ، فمتى تحقق فيه ظهور الهلال عم سائر البلاد ، ومتى تحقق العيد هناك تحقق في باقي البلاد .

وهكذا تشمل الرؤية جميع من يوجد من المسلمين شرق مكة الى جزيرة فورموزا (4) ومن يوجد غربها الى داكار ، ومجموع هذه المنطقة يبلغ تقريبا تسع ساعات : خمس ساعات في الجهة الشرقية من مكة واربع ساعات غربها ... وثمت سؤال يمكن ان يوضع بهذه المناسبة وهو انه : فيما اذا لم ير الهلال في مكة لسبب ما من الاسباب فاي نقطة تعوضها ؟ وهنا يلجأ العلماء المناصرون للمركزية الى ان المشكلة لاتوضع ايضا فان الاعتماد يكون في واقع الامر على « العمليات الحسابية » وجدير بهذه الظروف التي تتوفر فيها على المراصد والتي لم تعد فيها الاعتبارات كما كانت ايام الاسلام الاولى اقول جدير بها ان تقتنع بالحساب كوسيلة قوية من وسائل العلم ، وجدير بها ان تعتمده كعنصر من عناصر اليقين والاطمئنان النفسي الذي تقصده تعابير الاسلام بالمشاهدة والرؤية .. وقد قرات بحثا علميا للاستاذ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي كان صدر منذ سنة 1939 يدعو فيه الى الاعتماد على الحساب بل ويقدم نتائجه على الشهود متى تعارضت اقوالهم مع معطياته ، والبحث في الحقيقة كان ترجمانا للقولة المشهورة عن الامام السبكي (5) الذي لايرى حرجا في تقديم الحساب المبني على الارصاد والتجارب التي لا تحتمل الطعن ، على شهادة الشهود ، وبقيت مسألة اخرى هل هناك مايبرر هذه (المركزية) من تعاليم القرآن والسنة ؟ وهنا ايضا تتوالى حجج المثبتين ... فان القرآن الكريم في الآية الشريفة « **يسألونك عن الاهلة هل هي مواقيت للناس والحج** » اقول ان القرآن في تخصيصه الحج بالذكر في هذا المقام بعد العموم انما هو اشارة دقيقة ، الى اعتبار اصل التوقيت الزماني متصلا بمكان واحد (6)؛ مكان الحج وهو مكة ، على ان السنة ايضا لاتخلو مما يشير الى هذه المركزية فقد روي عن النبي ص انه قال : « **عرفة يوم يعرف الامام والاضحى يوم يضحي الامام والفطر يوم يفطر الامام** » .

هذه تقريبا ايضاحات فكرة الداعين الى « المركزية » ... وهي على ماتعتمد عليه من مبررات جغرافية وحسابية ، وعلى ما تستانس به من الايات والاحاديث الشريفة بل وعلى مانشاهده من استسلام المؤمنين لها في جبل عرفات على اختلاف السنتهم والوانهم سواء فيهم الواردون من افريقيا او الصين او مدغشقر وطاشكاند ، اقول مع كل هذا فان من الراي ان لانتخذ بلدا معينا لاعتبار الهلال بل يكفي في نظري ان يظهر في اي جزء من اجزاء « العالم الاسلامي » ليسري مفعوله على باقي الاطراف ، وهكذا نكون قد اخذنا براي التوحيد من جهة ، واحترمنا الرؤية من جهة ثانية ثم اننا من ناحية ثالثة تنظر بعيدا الى « الاسرة الاسلامية » « كحلقة مفرغة لايدرى أين طرفاها » وحقا فان الاسلام لاوطن له الا حيث توجد العقيدة الاسلامية ... هبنا رأيناه في الباكستان او مدغشقر فان علينا ان نصوم ، وما دام الهدف فقط هو التوحيد فقد حصل بهذا الاعتبار ، لكنا بالاضافة الى هذا حرصنا على ان لانوثر هذا الركن او ذاك ... صحيح ان لمهبط الوحي اعتبارات مكانية لايجهلها احد بيد ان الامر لايقتضي ان نجعل منه « جرنيتش » لعالمنا الاسلامي . فان في ذلك اقصاء لحقيقة الوحدة التي ننشدها والتي نريد ان نتصور حدودها في روحنا وعقيدتنا وليس في شيء آخر .

---

3) منها (توجيه الانظار) ومنها رسائل عديدة لمؤلفين آخرين ..
4) تقرير الاستاذ شكري .
5) فتاوي تقي الدين السبكي جزء 1 ص 219 — 220 ، وتاليف للاستاذ الصبيحي .
6) (اوائل الشهور العربية) للاستاذ احمد محمد شاكر .

نظرة الاسلام في التمثيل والافلام السينمائية حسب أثر ذلك في المجتمع

للأستاذ محمد الطنجي

ان هذا الموضوع شائك، حيث ان تيار حضور الروايات التمثيلية والافلام السينمائية غلب على جانب كبير من الجمهور ، فشب عليه الصغير وشاب عليه الكهل ، وقد اعتقد الكثير ان التمثيل والسينما من الفنون الجميلة في المجتمع التي يقال عنها انها ترقي الشعور ، وتهذب العواطف ، وعلى هذا فالكلام عليها بالنقد للتحبيذ والتزييف قد يعده البعض فضولا من القول ، بل يعده نوعا من اللغو ، لان القافلة سائرة ولا تتوقف ، والتيار جارف لا يوقفه صاد ولا رادع ، ولكن كلامنا في هذه الاحاديث مع من يعترف بان للاسلام مبادىء عالية تعتبر ميزانا للكرامة الانسانية ، بحيث يكون الوزن بها للترغيب في الصالح والتنفير من الفاسد تاييدا للقيم الروحية التي هي قوام رقي المجتمعات ، ومن طبعت نفسه على الفطرة القويمة نظر الى الحقائق واللباب دون القشور والمظاهر

وعلى هذا فلا ينبغي لفقهائنا ان يبقوا جامدين امام المصلحة ، كما لا يجوز للشبان ولعموم الجماهير ان يبقوا مندفعين متهورين في ظلام المفسدة ، لان الاخلاق الفاضلة هي عصمة المجتمعات من الانحلال ، كما قال الشاعر شوقي :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ومن المعلوم ان التقليد من طبيعة الانسان ، وانه يتاثر بما يسمعه ويراه من حوادث سواء منها ما يصدر في واقع حياة الناس او ما يفرض وقوعه وتمثل ادواره فرضا وتمثيلا يحاكي بهما الواقع في قصة ورواية تمثل ويشاهد القائمون بها على المسارح احياء ، او تسجل في افلام وتشاهد صورهم اشباحا .

والتقليد والتمثيل يكون في الشر ويكون في الخير ولكل حكمه ، فقد كانت في الجاهلية شجرة عند العرب ينوطون بها اسلحتهم اي يعلقونها عليها تسمى ذات انواط فقال بعض الصحابة للنبي عليه السلام اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال : الله اكبر ، قلتم كما قال قوم موسى لموسى: اجعل لنا الاها كما لهم آلهة، فهذا تقليد في الشر نهى عنه النبي عليه السلام ونفر منه .

وهناك تعليم بالمثال وارد في قصص القرءان ينبغي الاقتداء به . قال الله تعالى في قصة ابني آدم عليه السلام **(فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه)** فقد جهل ابن آدم قابيل ما يصنع باخيه هابيل بعد ارتكاب جريمة قتله فبعث الله هذا الغراب لتعليمه ، قال ابو حيان في تفسيره : (والظاهر انه غراب بعثه الله يبحث في الارض ليري (أي يعلم) قابيل كيف يواري سوأة اخيه هابيل فاستفاد قابيل ببحثه في الارض ان يبحث هو في الارض فيستر فيها اخاه) ه .

وعلى هذا الاساس يمكن الحكم على التمثيل والافلام فقد تكون الرواية السينمائية علمية تفيد مشاهديها علما وخبرة في الطب او الصناعة او الفلاحة وطرق استصلاح الاراضي واستغلالها ، وما شابه ذلك حتى ان بعض المعاهد العلمية تلقى فيها دروس علمية بواسطة التشخيص السينمائي كما ان هناك انواعا من الروايات السينمائية اخلاقية تشيد بالوفاء والامانة والعفة والسخاء والتفاني في خدمة المثل العليا ؛ فالرواية العلمية والاخلاقية مفيدة وفيها مصلحة للامة ليس فيها ما يمنعه التشريع الاسلامي الذي يدور مع المصالح الحقيقية للعباد وجودا وعدما ؛ نعم يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الظلام كما هو الحال في المسارح سدا للذريعة، وهذا ضرر يمكن تلافيه بتخصيص جانب للنساء وحدهن وجانب للرجال وحدهم كما حصل ذلك في مدينة طنجة قديما .

ولكن توجد انواع من الروايات هي اقرب الى الاجرام وافساد الاخلاق وهي روايات اللصوصية وطرق الاحتيال لسلب الاموال ، وهتك الاعراض ؛ وروايات رقصة البطن والرقص الخليع ، والتهتك

التشنيع ، وقد شوهدت آثار سيئة في كل المجتمعات التي تمثل فيها هذه الروايات الغرامية التي تشحذ الغرائز الجنسية فتنطلق في ميدان الاباحية تقتل المروءة والعفة قتلا يندى له جبين الانسانية خجــلا ، والتشريـــع الاسلامي الذي يراعي درء المفاسد يمنع قطعا عــرض هذه الافلام التي تدفع المجتمعات الى هوة سحيقة مـن الانحلال ، ولذلك نرى من الواجب على الامم الاسلامية جمعاء ان تفرض رقابة اخلاقية على عرض جميع الافلام والروايات ، ولا تبيح عرض ما يخل بالمروءة والشــرف والكرامة الانسانية .

وقد كان البطل محمد عبد الكريم الخطابـــــي استنكر في مصر هذه الروايات الخليعة ، وبعد مدة زار الملحق بسفارة الجمهورية المصرية باسبانيا الاستـاذ عبد المنعم النجار شمال المغرب فاستفسرته بمحضـر زعيم حزب الاصلاح وكاتبه العام الاستاذين عبد الخالق الطريس والطيب بنونة عن موقف الجمهورية المصريـة من مراقبة هذه الروايات ، فاخبر بتاليف لجنة لمراقبتها ولكن يظهر ان اللجنة لم تقم بعملها او تكونـت ممـن لا يهمهم مراعاة القيم الاخلاقية في فن التمثيل فبقيت دور الافلام في مصر تنتج ما يكثر رواجه ، وان ظهر ضـرره واعوجاجه واضر ذلك ببلدان العروبة ايما ضرر .

وقد وجد نوع شعبي من التمثيل في بلاد العرب قديما يتوخى فيه تشجيع المخلصين العادلين وترهيب الخائنين الظالمين فقد نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد عن العتبي قال : سمعت عبد الرحمن بشرا يقول : كان في زمن المهدي رجل صوفي وكان عاقلا عاملا فيجـد ليجد السبيل الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكــر ، وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين الاثنين والخميس فاذا ركب في هذين اليومين فليس لمعلم على صبيانـــه حكم ولا طاعة فيخرج ويخرج معه الرجال والنســـاء والصبيان فيصعد تلا وينادي باعلى صوته : ما فعــل النبيئون والمرسلون اليسوا في اعلى عليين ؟ فيقولون نعم قال هاتوا ابا بكر الصديق فأخذ غلام فأجلس بين يديه فيقول جزاك الله خيرا ابا بكر عن الرعية ، فقـد عدلت وقمت بالقسط ، وخلفت محمدا عليه الصـلاة والسلام في حسن الخلافة ووصلت حبل الدين بعد حل وتنازع وفرغت منه الى اوثق عروة واحسن ثقة اذهبوا به الى اعلى عليين ، ثم ينادي هاتوا عمر فاجلس بين يديه غلام فقال جزاك الله خيرا ابا حفص عن الاسلام ، فقد فتحت الفتوح ووسعت الفيء وسلكت سبيــل الصالحين ، وعدلت في الرعية اذهبوا به الى اعلى عليين بحذاء ابي بكر ، ثم يقول هاتوا عثمان فاتى بغلام فاجلس بين يديه فيقول له خلطت في تلك الستين ولكن اللـه تعالى يقول : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليه . ثم يقول اذهبوا به الى صاحبيه اعلى عليين ثم يقول هاتوا علي بن ابي طالب فاجلس غلام بين يديه ، فيقول جزاك الله عن الامة خيرا ابا الحسـن ، فانت الوصي وولي النبي بسطت العدل وزهـدت في الدنيا واعتزلت الفيء فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وانت ابو الذرية المباركة وزوج الزكية الطاهرة ، اذهبوا به الى أعلى عليين الفردوس ، ثم يقول هاتوا معاويـــة فاجلس بين يديه صبي فقال انت القاتل عمارا وخزيمة ابن ثابت ذا الشهادتين وحجر بن الادبر الكندي الـذي اخلقت وجهه العبادة ، وانت الذي جعل الخلافة ملكـا واستأثر بالفيء وحكم بالهوى واستبطر بالنعمة وانـت اول من غير سنة رسول الله ونقض احكامه ، وقـام بالبغي اذهبوا به فاوقفوه مع الظلمة ثم قال هاتوا يزيد فاجلس بين يديه غلام فقال له يا كذا انت الذي قتلت أهل الحرة وابحت المدينة ثلاثة ايام وانتهكت حـرم رسول الله (ص) واويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله (ص) وتمثلت بشعر الجاهلية :

ليـت اشياخـي ببـدر شهـدوا
جـزع الخـزرج مـن وقع الاسـل

وقتلت حسينا وحملت بنات رسول الله (ص) سبايا على حقائب الابل اذهبوا به الى الدرك الاسفل من النار ، ولا يزال يذكر واليا بعد وال حتى بلغ الى عمر بن عبد العزيز فقال هاتوا عمر فاتى بغلام فاجلس بين يديه فقال جزاك الله خيرا عن الاسلام فقد احييت العدل بعد موته ، والنت القلوب القاسية وقام بك عمود الدين على ساق بعد شقاق ونفاق ، اذهبوا به فالحقوه بالصديقين ثم ذكر من كان بعده من الخلفاء الى ان بلغ دولة بنـي العباس فسكت فقيل له هذا ابو العباس امير المومنين قال فبلغ امرنا الى بني هاشم ؟ ارفعوا حساب هـؤلاء جملة واقذفوا بهم في النار جميعا) .

فهذه حلقة من فن التمثيل الشعبي الهزلي لابد ان تكون لها اخوات وهي تعطينا فكرة عن حرية النقـد في ذلك العهد لان ابن عبد ربه نقل ذلك القول الجافي في حق معاوية وذريته وهو في مقر الاموية بالاندلس كمـا اصدر ذلك الصوفي رايه ضد العباسيين وهو في بلـد حكمهم وكلامه يدل على معرفته بالاوضاع السياسيـة والنصوص الشرعية وتوجيه التهم التي تدعم الحكـم الصادر في حقهم كانه في محكمة الثورة وان تدرع وتستر بركوب القصبة واستصحاب الصبيان وعلى كل حـال فان شريعة الاسلام تفرض على المسلمين ان يلتزمـوا اخلاقه وآدابه وتقاليده الصالحة حتى لا تنحل رابطتهم والله ولي التوفيق .

أبحاث ومقالات

قيمة الوضوح في أساليب الفلاسفة وأهل العلم والأدب .

للأستاذ :
محمد كاظم سباق

ان قرأت لكاتب شيئا اختلط عليك معناه والتبس مفهومه فالامر لايخلو من احدى ثلاث : ان الكاتب فلسفي النزعة عالي التفكير ، فهو يكتب للخاصة ولا يعبأ بايضاح كلامه للعامة — فغموضه عن تهاون ، أو أنه ضعيف الملكة ناقص الاداة ، يدور حول فكرته ولا يوضحها ، ويحاول قيد خياله الآبد ولا يستطيع — فغموضه عن عجز ، أو هو من المعجبين بالرمز ، الزاعمين خطأ ان أعلى مراتب الكلام أن يجل عن فهم الجمهور ، فهو يعقد كلامه ابتغاء العمق ، ويعمي خياله قصد السمو — فغموضه عن عمد !

وبدل النظر في كلام طوائف الكتاب من العلماء والادباء على أن أكثر أهل القلم غموضا هم الفلاسفة ، وقل منهم من كتب شيئا يفهمه القارىء الوسط ، واكثر كتب الفلسفة ان نظرت فيها وجدتها مغلقة مستعجمة ، والسبب في ذلك ، ان تأملت ، ليس مقصورا على أن الفلسفة تعالج مابعد الطبيعة وما شاكله من المواضيع الفنية الصعبة ، بل هو راجع ايضا الى ان معظم الكتب في موضوع الفلسفة قد صنعت باسلوب مرتبك غامض ينفر منه المبتدىء ، وقد قيل انه لم يأت احد بعد افلاطون (347 قبل المسيح) بكلام يمتاز بالإبانة والوضوح في فلسفة الحكم الا روسو الفرنسي (1778 م) . أما هذه الفترة الطويلة بينهما فلا يوجد فيها من فلاسفة الحكم من يبلغ شأوهما في البيان ، وقد يحتج للفلاسفة بأنهم لايكتبون لعامة القراء وانما يكون مخاطبهم اهل العلم وذوي الفكر والرأي ، لذلك هم في سعة من العذر اذا لم يعنوا بتهذيب كلامهم ايضاحا للمقصود ، ولكن اصحاب هذا الرأي ينسون ان الفلاسفة مازالوا يقفون من الناس موقف الهداة والمصلحين ، وان المجتمع الذي لايكون بيده اصول مجمع عليها في شؤون الدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد يكون فيه من واجب الفلسفة وحدها ان ترشد الفكر الانساني ، ولكن اي غناء يمكن أن يغني الفلاسفة في هذا الارشاد مادامت تهابهم الدنيا ولا تتوجه اليهم لغموضهم ، وبحق نصح الويكونت سموئيل (1) لفلاسفة هذا العصر في خطبته الرئيسية التي القاها على المؤسسة الفلسفية البريطانية أن ينزلوا عن علوهم الفكري الى حيث يستطيع ان يفهمهم الجمهور ، والا يكتبوا باسلوب يقال له : « الفلسفة بعرق القربة » ، وقد رأي الويكونت ان الفلسفة اذا شعرت باهمية الاسلوب كما فعلت على عهد افلاطون ، استردت ولا شك بعض النفوذ الذي كان لها بين اليونان ، واخرجت الدنيا الحاضرة من فوضى الفكر والرأي الى الاستقرار والنظام ، —

فالفلاسفة كما رأيت اصحاب الطائفة الاولى التي لاتعنى بايضاح كلامها وهي قادرة عليه .

يأتي بعدها الطائفة الثانية التي يمثلها ناشئة الكتاب والادباء بين طالب في الجامعة وكاتب في القسم ومحرر في الجريدة ، وهؤلاء لكونهم في عهد التمرن بعد ، تضعف ملكتهم البيانية فكثيرا ما يأتون بافكار مضطربة في كلمات لاتبين وهم في أكثر الاحيان يركبون العجل ، فيحاولون تدوين الفكرة قبل ان يعالجوها في اذهانهم حتى تنضج ، فاذا خرجت فجة مستبهمة عادوا يبطونها بكلام مسهب لايزيد الفكرة الا تعقدا ، وما من كاتب او شاعر او اديب الا وقد جاز هذه المرحلة في عنفوان حياته الادبية ، وقد اتى عليه حين من الدهر كان يعجب بكل مايخطر في نفسه من خاطرة ، فيقيدها كما هي ويظن انها من ابلغ مايقال في الموضوع .

1) رئيس جمعية اللغة الانكليزية لسنة 1941

واذا قلم الحمرة بيد الاستاذ او بيد رئيس التحرير يكذب ظنه ويحد من أمله الواثب حدا .

اما الطائفة الثالثة الاخيرة فلم نعرف لها فى تاريخ ادبنا الماضي الا افرادا وآحادا ، وانما طلع علينا بها فى صورة طائفة هذا الزمن الاخير ، وانت ان تصفحت ارقى مجلات الادب والفن اليوم فلا يفوتك آثار ادبية اذا وقفت امامها ، راقك العنوان وراعك الموضوع واعجبك حسن الطبع والاخراج ، ولكنك متى دخلت فى مطالعتها ، فاذا انت بعد قطعتين او ثلاث منها فى بيداء ضلال لاتدري اين المخرج منها ، تكاد لاتعرف ماذا يريد الكاتب ان يقول ، وأي ارتباط منطقي يوجد بين جملة واخرى ، وبأي معان شاذة وردت اكثر الكلمات التي لها فى اللغة معان أخرى لاتلائم هذا المقام .

هذه بدعة ادبية قد ابتلينا بها فى يومنا هذا ، وكما ان اصحاب البدع فى الدين مازالوا يقنعون الناس بأن ما ابتدعوه من الطرق والعادات والتقاليد هي الاصل فى الدين ، كذلك جاءت هذه الطائفة توهم الناس ان الغموض فى الكلام عبارة عن الدقة والعمق ، وهما كمال الفن ، واذا تحدى احدهم ناقد بصير ان كلامه بلا معنى وانه لايستطيع ان يفسره حضرة الكاتب نفسه ، هز كتفيه كمن لايبالي بامر وقال : على الكاتب ان يكتب ، وعلى القارىء أن يفهم او يتأول ، مثل هذا الراي ابدى الشاعر الانكليزي المشهور ت ـ س ايلات (12) حين قابله بعض النقاد عقب ظهور مسرحيته (دعوة الخمر) لاول مرة بايدنبرا ، وقد وجدت المسرحية منطبعة بطابع الدقة والغموض ، فقال الشاعر : ان الكاتب لا الزام عليه ان يكون واضحا فى كل حال وانما هو يعرض افكاره واحاسيسه على الناس ، وللناس ان يفسروها ويستخرجوا منها المعاني حسب ذكائهم ، كأني بأصحاب هذه الطائفة يظنون ان نتاج كل كاتب منهم يكون (حاملا) بالمعاني ابدا ، يجب على القارىء ان يقعد منه مقعد القابلة ليستخرج منه الجنين .

ولم يمض كثير من الايام على انني مررت فى مجلة ادب عال تصدر من بعض مراكز الثقافة والادب العربي بقطعة ادبية هي كالشعر الوجداني غير الموزون ، بعنوان (كاس) فاستوقفني العنوان وشوقني مظهر القطعة فى زاوية من صدر المجلة الى ان امتع بها نفسي ، فاذا الكاتب الاديب يقول :

هنا فى قعر كاسي رؤى لاتنضب ، رؤى يحيلها فراغ الكاس ، احيانا ، مآتم شفافة تعول فيها غصات من زمن مبتور ، وتعربد حولها بقايا صلوات مجت التحنط ثم الالتصاق بجدران هياكل داب لبناتها التثاؤب والتغامز ، غير ان فى الانفاس الشاردة التي تطوف فى فراغ كاسي تطواف محموم ... ضحكات لاهبة تذيب امسي الذي كنته وغدي الذي احياه الآن ويومي الذي مازال يتسكع الظلمة بقدم واحدة وبنصف عين ، تذيب هذا الكل فى صيغوغة من جمال تضايع بالف لون ولون ، فأصبح وكاني والقعر والامس والغد رشفة صادرة لحلم لايعرف الفجر وليقظة لاتفقه اليقظة .

قرات القطعة مرة وثانية وثالثة واقفا عند كل كلمة من كلماتها وفى خاتمة كل جملة من جملها لعلي اجد منها المنفذ الى دنيا الكاتب الاديب فاحلق معه فى سماء الشعر والخيال ، ولكني اشهد اني لم اوفق ، واذا جاز ان احد قارئنا من الطراز الوسط قد قرا فى ادب اللغتين : العربية والانكليزية ما ان لم يكثر لم يقل فتساءل النفس : من ذا الذي كتب له الكاتب الفاضل هذه القطعة الادبية اذا لم يكتب لي ؟ النفر من قراء الطبقة العليا ؟ او لنفسه هو دون سواه ؟ .

على ان (كاس) موضوع شعري واسع الافق ، قد يبدع فيه الفنان ويبتكر آيات من حسه وخياله ، فان قرات تحت هذا العنوان قطعة نثر هي فى ابهامها وظلمة جوها كقطعة شعر وجداني ، فللكاتب بعض العذر ، ولكن ماذا يقول المرء دفاعا عن كاتب يكتب فى موضوع علمي فني كاللغة المثالية للقصة العربية المعاصرة ويأتي بمثل الكلام الآتي مترجما عن الفرنسية :

ان قانون الفن الحق الذي لاسبيل الى مخالفته ، هو ان يستمد الفنان من الطبيعة ولكن شريطة ان ينتخب ويختار التفاصيل الاساسية ويكسبها وجها جديدا ويجمعها « ويبنيها » وفق ايقاع بديهي وأن يوحي واقعا ايحاء اشد تعبيرا واعظم توترا من الواقع الطبيعي ، ان الفن ليس هو الحياة ، وليس هو صورة دقيقة من الحياة ، ان مهمته ان « يعيد الحياة » ان يؤلفها من جديد ، أن يحملها نزعة شاعرية ما ، ان الفن يتغذى من الحياة ليخلق شيئا آخر ، هو « الاثر » ، وان الاثر لايتم عن غير اختيار ، وتضحيات وتجارب وجهود من غير انقطاع سابق عن الحياة يتموضع الفنان بفضله فى

صعيد آخر . ان الحقيقة في الفن تكمن حيث تتجاوز الحياة الى سمو ، وان عبقرية القصة تحيي الممكن ، ولا تحيي الواقع مرة اخرى » .

لا اتهم هذا الكلام بانه غير مفهوم البتة ، بل قد يكون هناك من القراء الاذكياء من يهتدي الى مغزاه لاول قراءة ، ولكني اعترف باني لم استطع ان افهمه تماما حتى بعد قراءته مرارا متعددة .

*

ان الوضوح في التعبير من ابرز محاسن العبارة واهم اركان الاسلوب ، وعلى الكاتب واجب نحو القراء لاينبغي ان يغفله بحال ، هو أن يكون واضحا في كلامه ولا يكلفهم من كد النظر وتعب الفكر ما يشق عليهم . والوضوح في التعبير لايعني السذاجة في الكلام ، فاذا دعونا اليه فلا ندعو الى ان ينزل بالكلام الى درك السهل المبتذل الذي يفهمه الغبي والذكي على السواء . وفي تاريخ الادب العربي كثير من الادباء والكتاب كتبوا باسلوب عال هو ابعد شيء عن السذاجة ولكنه لم يجد الغموض اليه سبيلا ، فاسلوب الجاحظ من القدماء واسلوب الابراهيمي والزيات — مثلا — من الاحياء يمتاز بجزالة اللفظ وفخامة التركيب ورونق الديباجة . ولكنه اسلوب واضح في كل حال ، تتجلى فيه عرائس المعاني ظاهرة للعيان ، ولا يكلفك فهمه واجتلاء جماله الادبي كثيرا من الجهد والعناء ، وفي الادب الانكليزي نعرف شكسبير وملتن وبرك ورسكن ممن كتبوا بأسلوب محكم جزل لايمكن أن يوصف بالسذاجة والسهولة ولكنه لايمكن كذلك ان يوصم بعدم الوضوح.

ومن اصحاب الاسلوب المتانق رجال شعروا بواجبهم ذلك نحو القراء شعورا تاما ، فكلفوا انفسهم مشقة التهذيب ليكفوا قراءهم مشقة التفسير والتاويل ، وقد قال الاستاذ سعيد العريان عن نابغة كتاب العرب المغفور له مصطفى صادق الرافعي : انه كان قد اتخذني عقلا متوسطا من القراء ، فكان يملي علي العبارة من مقاله ثم يسالني ماذا فهمت مما كتب ، فاذا كان مافهمت يطابق مافي نفسه ، مضى في املائه والا عاد الى ما املاه بالتغيير والتبديل حتى — يتضح المعنى ويبين المراد ، كذلك يعرف عن القصصي الفرنسي موليير انه كان يقرا مسرحياته على طاهيه قبل ان يسلمها للنشر ، ومثل ذلك واظب عليه سوفت الكاتب الانكليزي المشهور ، فكان ناشر كتبه فوكنار يقرا من ملازم كتبه عليه وعلى اثنين من خدمته ، فكل ما لم يفهمه الخادمان منها ، يستبدل به .

ومن اظرف ما يحكى في هذا الصدد قول احد الفرنسيين لاستاذ انكليزي : انه في فرنسا هو الكاتب الذي يتحمل كل العناء ، وفي المانيا هو القاريء الذي يتحمل كل العناء ، اما في انكلترا فالامر مشاع بين الكتاب والقراء . هذا القول الظريف وان لم نستطع ان نصدقه على اطلاقه ، الا انه لايخلو من الصدق تماما ، وقد يستدل به على بعض الاسباب التي مازال النثر الفرنسي لاجلها على تلك الدرجة العليا .

هذا في النثر ، وتماثله الحالة في الشعر ، فأجزل الشعر العربي واعلاه لغة لدينا هو الشعر القديم ، ولكنك اذا تأملت معانيه وجدتها صافية كجو الصحراء ساذجة كطبع البدوي ، لايماطلها تفلسف ولا يعقدها اغراب ، وكل الصعوبة في الشعر الجاهلي هو في الاسماء والمفردات ، فكثير من الالفاظ قد امست متروكة بتراخي الزمن ، وكثير من اسماء الامكنة والجبال والمياه قد اختصت بزمان الشاعر وبيئته فلا يعرفها القاريء العربي اليوم ، فالمرء اذا قرا اليوم قول امرء القيس — مثلا — في صفة ناقته التي ركبها في سفره الى بيزنطة :

« كأن صليل المرو حين تشذه
صليل زيوف ينتقدن بعبقرا »

ولم يفهم معناه كله لاول وهلة فمرد ذلك الى اشكال المفردات ، ولو انه علم ان (عبقر) اسم مكان زعموا انه تسكنه الجن ثم نسبوا اليه كل دقيق من الصناعات والاعمال ، وان « المرو » : الحجارة التي تعرف بالصوان ومنه المثل : قرع الدهر مروته ، و (اشذه) كلمة غريبة بمعنى اقصاه ونحاه ، لو انه علم هذا كله لتجلى له قول الشاعر واضحا كالشمس ليس دونها غمام ، وهو ان صوت الحجارة حين تفرقها وتطيرها الناقة بسرعة سيرها كصوت الدراهم المزيفة التي ينتقدها الصيرفي بعبقر .

ولكن هل مثل ذلك يقال في الشعر المعاصر ؟ الحقيقة ان الامر على العكس من ذلك ، فأكثر شعرنا المعاصر مغلق لا لغرابة الالفاظ وشذوذها بل لخفاء المعنى وغموضه . وغموض المعنى لا شك أشد واصعب

من غرابة الالفاظ ، وقد ادى ذلك الى هذا النفور المتزايد من المنظوم ، مما أصبح به باب الشعر في مجلة آخر مايلتفت اليه من الابواب ، وهذا لايخص الشعر العربي ، بل الشعر الانكليزي ايضا قد آل الى هذا الهوان لا لشيء الا ذلك الغموض والتعقيد الذي تنبو عنه اسماع القراء ، ومنذ أمد غير بعيد احتج الناشرون للكتب في لندن انه ماعدا شاعرين او ثلاثة لاتروج دواوين الشعراء عامة ، والقيام بنشرها في هذا العصر مدعاة للخسارة المالية الباهظة ، وقد قلق لهذه الحال نفر من الشعراء الانكليز فتقدموا الى مجلس الفنون يستنجدونه في هذه النكبة ، ، وغدا المجلس يفكر كيف يمنع هيكل الشعر من التداعي والانهيار ، أهو يطبع الشعر على حساب الاموال العمومية لديه ، ام يلتمس للمشكلة حلا آخر .

واذا عيب على الشعراء هذا الغموض في نتاجهم الشعري فان دفاعهم عن انفسهم يختلف ويتباين . فمنهم من لايعترف بالغموض في شعره اصلا ، بل هو يلوم القراء على انهم لايسبرون غور معانيه العميقة بجد وعناء ، ومنهم من يعترف بغموض كلامه ، ولكن حجته في ذلك ان هذه الدنيا التي نحن نعيش فيها اليوم هي بنفسها غامضة متعقدة بمشاكلها النفسية والخلقية والاقتصادية والسياسية ، لذلك كل من صدق تأثره بها فلا بد أن يكون غامضا ، فالاول ينكر عيبه وتقصيره ولا يأتي على ذلك بدليل ناهض ، والآخر يعترف بقصوره الادبي ولكنه يبرر ذلك بحجة لاتستقيم ، وبطلانها ظاهر ، وذلك انه اذا ازدادت حياتنا اليوم عقدا ومشاكل وجب ان يكون رد فعله الادب الصافي النير الذي يغذي الروح وينير الطريق لا الادب الغامض المبهم الذي يزيد ظلام حياتنا ظلاما ونفسنا الحرجة ضيقا واضطرابا .

*

ان الغموض يتطرق الى الكلام من جهتين : 1) من جهة التاليف و 2) من جهة الترتيب ، اما من جهة التاليف فان تتنافر المعاني والكلمات ، فتكون المعاني سامية والالفاظ بسيطة لاتساوي قيمتها ، وهذا ما يقع فيه الفلاسفة واولوا الفكر السامي في الاغلب . او تكون المعاني غثة والالفاظ جزلة منمقة تعثر فيها المعاني وتحتجب ، وهذا ما يسقط فيه هواة الزخرفة البيانية والصناعة اللفظية قدماء كانوا أو محدثين او تكون المعاني اجنبية والالفاظ عربية لايبالي الكاتب أن يزاوج بينهما بالبراعة والحذق ، وهذا يغلب على اكثر المثقفين بثقافة الغرب اليوم ، واما من جهة الترتيب فان تضعف الصلة بين جملة واخرى . وبين معنى وآخر ، وبعبارة اخرى يضمحل في الكلام ارتباط منطقي هو من لوازم البلاغة والوضوح .

والغموض الفاشي في كلام الكتاب العصريين هو من جهتي التاليف والترتيب كليهما ، وقد بلغ من سيطرة المدنية الحديثة والافكار الغربية على اذهان الجيل الناشىء انهم أصبحوا يفكرون بالذهن الغربي وبلغة الغرب ، فاذا دعتهم الضرورة الى ان يعبروا عن فكرهم بلغة الضاد التي تنقص فيها بضاعتهم لقلة المزاولة وضؤولة المطالعة وفساد الذوق جاءوا بكلام اوربي في لباس عربي ، وقد مر انموذج من ذلك فيما اقتبسناه آنفا ، واحسن هذا النوع من الكلام لايعدو ان يكون ترجمة من احدى لغات الغرب الى اللغة العربية ، ومن ثم يصدق قول الاستاذ النحوي الكبير تقي الدين الهلالي المغربي : « قد اصبحت امة العرب كلها مترجمين »

وضعف الترتيب في المعاني والافكار مبثوثة امثلته على صفحات الجرائد والصحف لهذا العصر . ولولا خوف الاطالة لسردنا امثلة من الكلام الذي يأتي غموضه من قبل تشوش الافكار وعدم ترتيبها .

والوضوح في التعبير ليس عسير المنال ، انه يتطلب شيئا واحدا هو التمني والعمل وتحري خدمة الناس دون التعاظم في اعينهم ، وذلك ان يتكلف المرء بعض الجهد في الكتابة ويتجنب ارسال الكلام على عواهنه ، وانا نعتقد ان معظم الكتاب لعصرنا هذا لايدخل في كلامهم الغموض لضعف اداتهم او نقص ملكتهم ، بل لكسلهم وفرارهم من كد التهذيب ، ولو انه يضع احدهم نفسه موضع القارىء لم يرض بكلامه المرتجل الغامض واحس من نفسه الحاجة الى تهذيبه وتبيينه .

وبينما كان اعراض بعض الكتاب عن التروي في الكتابة آتيا من طبيعة هذا العصر الآلي المعجول الذي قلما يدع للمرء من هدوء الخاطر أو فراغ الوقت ما يمكنه من القيام بعمل جدي يتطلب الصبر ، اذا هناك اناس يقدحون في تلك العناية بالاسلوب ذاهبين الى ان كل عمل على التجويد لاجرم يسلب الكلام طبيعته وسذاجته ويورثه بدلا منها الزخرفة التي تخالف روح هذا العصر ، وبجانب هؤلاء اناس يحسبون التروي والتعمل في الانشاء عنوان العجز وضعف الملكة ، ولكن كلتا هاتين الطائفتين بعيدة عن الصواب ، يفند زعمهما ما اطلعنا عليه من عادات بعض العباقرة الافذاذ في الكتابة .

فهذا اناطول فرانس صاحب الاسلوب الفرد باللغة الفرنسية ، قيل انه كان يكتب القطعة من النثر مرتين وثلاثا واربعا حتى يطمئن قلبه بانها بلغت الكمال الفني ، ثم ياتي كلامه بعد هذا التعمل سلسا كالمطبوع المرتجل ، وشاتوبريان امير النثر الفرنسي غير مدافع كان يبديء الصفحة ثم ينظر فيها مرات وفي كل مرة يحرر ويغير ويحذف ويضيف ، ويقول بسكال انه حرر بعض فصول البروفنسيات خمس عشرة مرة ، وفي شبه القارة الهندية عرف الامام ابو الكلام الدهلوي (1) بروعة بيانه وسحر كلامه باللغة الاردية كتابة وخطابة ، كان البيان طوع يده يصرفه كيف يشاء ، وان قلنا فيه انه لم يكتب احد باللغة الاردية باسلوب اجزل وافخم من اسلوبه لم نبالغ ، قد بلغنا عن هذا العبقري انه كان يكتب العبارة ثم ينظر فيها ثانيا ويستبدل بجملة منها جملة اخرى يكتبها فوقها ، ثم ينظر ثالثا فينسخ الجملة الثانية ويأتي بخير منها يكتبها فوقها ، حتى اذا شغل فراغ ما بين السطرين كله الصق على الموضع قطعة بيضاء من الورق ومضى في عمل التهذيب والتشذيب على هذا النحو ، ولربما يغير الامام عباراته وهي قد طبعت وجاءته ملازمه للنظر فيها ولكن كلامه على رغم كل هذه الصنعة والعمل متى نشر ، فاذا هو مشرق كالشمس متسلسل كالماء المنحدر ، لاترى عليه مسحة من الصنعة والزخرفة ، بل هو في بهجته وصفائه كانه تنزيل من سماء البلاغة والبيان ، ومن أصدق قولا في صنعة الكتابة من الدكتور جانسن ، ذلك العملاق اللغوي الانكليزي الذي ناق اهل زمانه في اللغة والادب ، فقد قال : «كل مايكتب بدون مشقة وجهد يقرا بدون متعة ورضى » . ورأى آخر ما هو متصل به وقريب منه فقال : « ان لم يكن الكاتب نشيطا في كتابته لم يكن القاريء نشيطا في قراءته » .

على اننا لاننكر ان هذا الجهد المندوب اليه في عمل الكتابة يجب ان يعالج بالحذق والبراعة والاحتياط ، حتى لايظهر اثره واضحا على الكتابة ، بل ينبغي ان يبدو الكلام كانه انتجه الكاتب بدون مشقة وتعب ، واذا ظهر التعمل والجهد في نتاج الكاتب فظهر التكلف البادي والزخرف الكاذب فذلك هو الخرق بعينه ، وذلك هو العي الذي ليس بعده عي .

*

اما بعد فلعل الكاتب اوضح المراد بكلمته الموجزة هذه في مدح الوضوح والحض عليه والترغيب فيه ، ولم يكن من الذين يحضون غيرهم على عمل خير هم انفسهم راغبون عنه او متهاونون فيه ، مصداق قول الله عز وجل : **« أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ؟ »**

---

(1) توفي بدهلي قبل سنتين وهو وزير المعارف في الهند .

من الفلاسفة العرب الذين كانوا يتعمدون ايجاز الكلام الفيلسوف المراكشي ابو العباس المعروف بابن البنا العددي صاحب التآليف في علم الهيئة وغيره .

ومن شعره في هذا المعنى .

قوله :

قصدت الى الوجازة في كلامي ، لعلمي بالصواب في الاختصار

ولم احذر فهوما دون فهمي ، ولكن خفت ازراء الكبار

فشأن فحولة العلماء شأني ، وشأن البسط تعليم الصغار

عطلة اليوم الآخر من شعبان

للعلامة الاستاذ : عبد الله كنون

امر جلالة الملك نصره الله بتعطيل جميع الادارات والمدارس ومصالح البريد في يوم السبت 29 شعبان احتفاء بمقدم رمضان المعظم واستعدادا لمراقبة هلاله ؛ كما كانت العادة في المغرب الى الامس القريب ، وكما هي العادة في البلاد الاسلامية الاخرى الى يومنا هذا ، فكان هذا الامر الكريم بردا وسلاما على قلوب المومنين الذين كثيرا ما تألموا لما يرونه من التهاون بأمر الدين وطمس المعالم التي يظهر منها ان البلد بلد اسلامي ما يزال اهله يتمسكون بعقيدتهم ويحرصون على اداء شعائرهم الدينية بكل خشوع وايمان .

وتعطيل يوم التاسع والعشرين مع احتمال عدم رؤية الهلال في ذلك اليوم ، هو تاكيد للفكرة وتصميم على تنفيذها لان اليوم كان يوم السبت ، ويوم الاحد يوم العطلة الاسبوعية الرسمية – مع الاسف – في هذه البلاد العربية الاسلامية ، فلو اخرت العطلة الى يوم الثلاثين في هذه الحالة ، لما كان لها مظهر خاص ولا اثرت التاثير المشهود في نفوس الكبار والصغار على السواء . على انه لا مندوحة من جعل العطلة يوم التاسع والعشرين ولو لم يكن يوم السبت مادام امر الهلال مغيبا عنا فالقصد هو مراقبته والاستعداد لدخول الشهر الكريم ، وتوقفت بعض الادارات والمدارس حتى بلغها الامر من مراجعها الخاصة ، ولست اريد ان انتقد عليها وانما اريد ان استخلص من ذلك عبرة للذين يهرفون كثيرا بما لايعرفون ؛ وهي انه كثيرا ماكان ياتي الخبر برؤية الهلال في ناحية ما ، فتتوقف السلطات الشرعية عن الاذن بالصوم او الافطار حتى يثبت لديها بموجبه ، ولكن المتاهلين ينتقدون عليها هذا التثبت ويصفونها بالتحجر ، فهذا التحجر ايها السادة هو من قبيل تحجر تلك المؤسسات وتثبتها في عدم التعطيل حتى ياتيها الامر ممن تخضع له مباشرة من المراجع العليا .. هذا مع مراعاةالفرق بين امر الصيام او الافطار وأمر العطلة ..

ومن ذكريات كاتب هذه السطور انه ولد في مثل هذا اليوم عشية وكان يوم السبت ايضا الا انه يوم الثلاثين ، وكان الناس يستقبلون شهر رمضان وهلاله بما لامزيد عليه من الفرح والسرور فالرجال يتبارون في اطلاق البارود ، والصبيان يشعلون الحراقيات ، والنساء يزغردون فوق سطوح المنازل ، ويضربن الدفوف والمزاهر ، فضلا عن نزهات شعبانة التي كان الطلبة وغيرهم يقيمونها في كل مكان ، ولذلك لما اخبر جد الكاتب بولادة حفيده قال فيما تتحدث به الاسرة : ان هذا الولد جاء « يشعبن » . .

وبعد فما اقصده بالتعليق على عطلة اليوم الآخر من شعبان هو القول بان هذا الدين ، وكل دين كان قبله ، والمباديء السامية ، والمثل العليا ، وجميع القيم الانسانية ، انما تتمهد وتتوطد ، وينتشر امرها ويعلو شانها بالحماية والنصرة وتاييد الدولة ؛ وهو معنى القول المانور : ان ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن . فلو تركت هذه المعاني وشانها من غير ان ترعاها السلطات الحكومية حق رعايتها ، لما خفقت للدين راية ، ولما ارتفع للفضيلة ذكر ، لان النفس امارة بالسوء ، والشر يعدي كما يعدي الجرب ، فالامة لسلامتها من الآفات الاجتماعية لابد لها من وازع قوي يكبح جماح المبطلين ، ويضرب على ايدي العابثين والا استشرى الفساد ، وهلكت البلاد والعباد ، واظن ان هذا هو المقصود من حديث السلطان ظل الله في الارض ؛ لا ما الصقه به المتنطعون من معنى تيوقراطي توسلا الى مهاجمة حكومة الاسلام من هذا السبيل ؛ وقد فهم المسلمون دائما ان مهمة الخليفة هي السهر على حفظ الكيان الاجتماعي والسياسي للامة وعبر الشاعر قديما عن ذلك اصدق تعبير في هذا البيت الحكيم الذي جرى مجرى الامثال :

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل
وكان اضعفنا نهبا لأقوانا

لذلك كنا وما زلنا نرى ان الاعتماد على وسيلة الوعظ والارشاد وحدها فى اصلاح المجتمع لايكفي ، وانه لابد من سن قوانين لحماية المجتمع من عوامل الفساد ، وانزال العقوبات الصارمة بمن تسول له نفسه مخالفة تلك القوانين ، مع اسناد الرقابة فى ذلك الى اناس من ذوي المروءة والنزاهة ليلا يقع غض الطرف عمن يستحق العقاب ، والحاق الضرر بمن لاذنب له ، والا فان وعظ الوعاظ لم ينقطع فى يوم من الايام ، والخطباء الجمعيون بحت اصواتهم من الارشاد الى طريق الرشاد ، وكم كتب الكتاب المصلحون فى هذه المجلة وغيرها معلمين ناصحين ، وموجة الالحاد مع ذلك لاتزيد الا طغيانا وعفن الاخلاق لايفتا يسمم المجتمع يوما بعد يوم فيقضى على الطهر والعفاف ويلطخ الدمم والاعراض ، ولا غرابة فان المسؤولين عن اشاعة الفساد ، والمكتين لزحف المبادىء الهدامة على البلاد ، هم ممن لايترددون على المساجد ، حتى يسمعوا دروس الوعظ والارشاد ، او خطب الجمعة ، بل ان معظمهم ولا اقول جميعهم لم يدخل مسجدا قط ، وها هو ذا العدد العديد منهم ، ومن ذوي الزعامة فيهم ، يقسم الناس انهم لم يروه قط فى مسجد ، لا فى مناسبة خاصة ولا فى عيد ولا جمعة ، بله سائر الايام فلمن الوعظ اذن ؟ واما مايكتب فى الصحف من هذا القبيل فان هؤلاء القوم لايلتفتون اليه ولا يمرون به ولو مر الكرام ، وانما يعتبرونه تخريفا ورجعية ، ويستهزئون به وبكتابه سرا وعلنا ، حتى صارت كلمتا الوعظ والارشاد عندهم مما يتندر به على كل دعوة اصلاحية وادب هادف لان غير الاباحية والفجور لايجد الى نفوسهم مساغا . . .

فمن اجل ذلك وجب حماية جمهور المسلمين من اذى هذه الطائفة ، وتنحيتها عن مراكز القيادة . وعدم اناطة اية مسؤولية بمن كان على غرارها فى عدم احترام شعور الامة وشعائرها الدينية ، اعتبارا لحق السواد الاعظم فى تسيير امره حسب ارادته وما يعتقده صوابا كما تقضي به — على الاقل — اصول الديموقراطية التي نتبجح بها فى كل مناسبة ، ان لم يجر الامر على ما تقضى به اصول الشريعة السمحة احياها الله .

ولسنا نطمع فى حسم مادة الشر ولا فى استيصال جرثومة الفساد ، فان هذه غاية لم تتحقق حتى فى زمن النبيئين والمرسلين صلوات الله عليهم ، ولكننا نريد ان توقف حملة الاستهتار بالمقدسات ، وان يقمع التجاهر بالسكر والفسق ، ويمنع المسلمون من المبيعات الحرام ، وان تحترم ، الشعارات الدينية باحترام الشرع لها والناس ، فلا يقال فى السكير انه لم يوذ احد فلذلك لايتعرض له ، ولا فى المسلم يبيع الخمر والخنزير انه ينمي اقتصاد البلاد ، ولا تعطل المدرسة فى (الاسنيون) وتشتغل يوم (المعراج) (1) الخ . . .

هذا مانريد او بعض مانريد ولسنا بباليفه بمجرد الكلام ، ولو تكلمنا الليل والنهار ، وانما يجب ان تتضافر الجهود من دعاة الدين والفضيلة ، ورجال الحكم والادارة ، فتوضع خطط الاصلاح وقوانين التطهير ويقع السهر على تنفيذها بقوة وعزيمة ، حتى يهتدي الضال ويرشد الغوي ، وتطمئن نفوس المومنين على مصيرهم ومصير اولادهم من بعدهم .

ولسنا فى حاجة الى اعطاء مثال على نجاح هذه الطريقة المضمون ، مادام مثال عطلة اليوم الآخر من شعبان قائما امام اعيننا ، فلقد كان الأمر الصادر بها من جلالة الملك اعظم من الف خطبة والف درس والف مقال يكتب فى الصحف والمجلات ، ولقد جاء جوابا مسكتا لكل متنطع ، ولقد اوقف سيل التعليقات المغرضة عند حده ، وما احسن الاشياء تجيء فى ابانها ، وفى مثل هذا المقام يقال : قطعت جهيرة قول كل خطيب .

انها تظاهرة مولوية تدل على غيرة عظيمة على الدين ، وتضامن مع الشعب المسلم الذي لايقبل المساومة فى عقائده وشعائر دينه باي عرض كان **(تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة)** وانها لفاتحة عهد جديد بحول الله يعلق فيه المخلصون آمالا كبارا على العاهل الكريم فى تجديد شباب الحكومة الاسلامية الآخذة بكل اسباب التقدم العصري والمحافظة فى نفس الوقت على شعاراتها وشعائرها المقدسة .

---

1) ان الاسراء والمعراج مما اتفقت عليه الامة الاسلامية وان اختلفت فى تاريخه ، ولكن المسلمين اليوم مجتمعون على اعتماد 27 رجب لتاريخه ناهيك ان مؤتمرا اسلاميا ينعقد فى القدس كل سنة من اجل فلسطين فى هذا اليوم .

صلة العربية بالفارسية في الجاهلية

للأستاذ محمد بن تاويت

ترجع صلة اللغة العربية باللغة الفارسية الى اقدم العصور التي لايمكن ان نحددها بالضبط . ولكننا نجدها قوية واضحة في العصر الساساني : وهو العصر الذي نطمئن فيه الى هذه النصوص العربية التي خلفتها لنا هذه الاشعار الجاهلية بالخصوص . اما فيما قبل فلا نجد لهذه الصلة الا بعض الاصداء في قصص الشهنامة مثل قصة الضحاك التي هي من أهم القصص في الشهنامة . ومع هذا فلا نطمئن اليها : لانها ربما كانت من اختراع صاحبها الفردوسي وليست من تلك القصص التي كانت شائعة في القديم وجمعها الفردوسي في كتابه بعدما كان سالفه الدقيقي قد جمع منها بعضها ...

ومهما يكن فمن المقرر في التاريخ ان اليمن والعراق كانا من ولايات فارس وان الاسلام وجدهما كذلك عندما افتتح هذين الاقليمين من الجزيرة العربية . .

وكلمة العراق نفسها كلمة فارسية فهي (ايره) اب الايرانيين كما ان الحيرة نفسها هي الكلمة الفارسية بعينها وفي اليمن وجدناهم يستعملون اداة التعريف الفارسية التي اختفت من الفارسية نفسها ولم تبق ماثلة الا في كلمات قليلة مثل (امروز) اليوم و (امشب) الليلة و « امسال » السنة — والتعريف للاشارة — . اما اليمنيون فقد احتفظوا بهذه الاداة ومن الاحاديث النبوية ماوردت فيه اداة التعريف هذه عند خطاب اهل اليمن مثل قوله ص **« ليس من امبر امصيام في امسفر »** ... اي ليس من البر الصيام في السفر ...

ولعل اتصال الفرس بالعرب كان على عهد ان كانت قبيلة طيء صاحبة الشهرة في الجزيرة ، بالاضافة الى انها كانت اقرب من غيرها الى التخوم الفارسية .

ولهذا مازال الفرس حتى الآن يطلقون على كل عربي كلمة (تازي) أي طائي . والزاي معروفة في النسبة الى مثل هذه الكلمات مثل مروزي

وهذا بالضبط ما حصل من العرب انفسهم فانهم اطلقوا كلمة فارسي على كل ايراني ولو انه لم يكن من اقليم (بارس) لانهم اتصلوا بهؤلاء حين كانت (بارس) هي المسيطرة على باقي الاقاليم الايرانية بحكم العاصمة بها . .

وهذا لاغرابة فيه فاليونان والرومان من هذا القبيل . وما زال الاتراك يطلقون على المغربي كلمة (فاسلي) اي فاسي . ولو ان اتصالهم بالمغرب كان على عهد السعديين الذين كانت عاصمتهم مراكش الا انهم فيما بعد اتصلوا بالمغرب اتصالا اوثق حينما كانت عاصمته فاس وخصوصا على عهد المولى محمد بن عبد الله . .

لنعد الى التاثير الفارسي في العربية ايام الجاهلية . ونقف عند هذا التاثير من ناحية الفارسية في العربية آنذاك ولا نتعداه لتاثير العربية في الفارسية على ذلك الحين : لان النصوص التي بأيدينا من الفارسية لاترتفع الى تلك المرحلة من التاريخ ولان طبائع الاشياء آنذاك تقضي الا تكون الفارسية قد اخذت من العربية اخذا ذا بال . . .

اما التاثير الفارسي في العربية فنستطيع ان نلمسه في عدة قصائد عربية خصوصا في قصائد عدي بن زيد العبادي والاعشى وميمون اليمامي والنابغة الذبياني . .

اما عدي بن زيد فقد كان من قاطني الحيرة ومن الذين كانوا يحسنون الفارسية لدرجة ان عمل للفرس

كاتبا وصاحب بريد وهو العربي الوحيد الذي تولى هذا المنصب كما يقول ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الاغاني . .

وهذه نماذج من اشعاره التي نجد الاثر الفارسي فيها . يقول في احدى قصائده :

تلوح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

فكلمة (دخدار) كلمة فارسية مؤلفة من كلمتين : تخت اي الصوان الذي يصان فيه الثياب ودار من مادة داشتن للملكية . بمعنى انه صاحب تخت او ذو تخت من الثياب . وهو علم جنس على نوع من الثياب البيض ثم يقول في نفس القصيدة :

ففرت عليهم لما التقينا بتاجك فوزة القدح الاريب

فكلمة (تاج) فارسية كما ان مرادفها (اكليل) معربة من اليونانية . وهذا طبيعي فالعرب لم يعرفوا التيجان الا في اماراتهم التابعة لغيرهم من فرس وروماں . اما الامراء المستقلون فلم يكونوا يتخذون هذه التيجان لانها اجنبية عنهم ولان طبيعة الامير العربي وموقفه من جماعته والبيئة التي يحكمها كل ذلك لايتناسب مع لبس التيجان . ومن المعروف في التاريخ ان المتوجين هم التابعون لغيرهم في حكم اماراتهم . .

ويقول في قصيدة اخرى :

متكئا تخفق ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب

فكلمة (كوب) فارسية مثل (كوز) و (كول)

ويقول في اخرى :

رفعها من بنى لدى قزع المزن وتندى مسكا محاربها

فكلمة المسك فارسية هي (مشك)

وقد وردت هذه الكلمة في ابيات اخرى له مثل قوله :

زانهن الشفوف ينضحن بالمسك وعيش مفانق وحرير

وقوله :

كان ريح المسك في كاسها اذا مزجناها بماء السما

وقوله :

ينفح من اردانك المسك والهندى والغار ولبنى تقوص

ثم يقول في القصيدة التي اشرنا اليها :

بعد بني تبع تجاورة قد اطمأنت بها مرازبها

فكلمة تجاورة جمع (تاجور) وهي مؤلفة من تاج×ور اي صاحب التاج . وفي البيت كذلك كلمة اخرى فارسية وهي جمع «مرزبان» وهذه ايضا مؤلفة من مرز بمعنى التخوم وبان بمعنى الحارس ، وعرفت عند العرب بمعنى رئيس الفرس . . .

ويقول من اخرى :

وغصن على الحيقار وسط جنوده
وبيتن في فاداشه رب مارد

وكلمة « فاداش » هي (باداش) بمعنى الاصحاب وهي مؤلفة من « با » بمعنى القدم وداش من مصدر داشتن اي يملك ومعناه القائم على الشيء .

ثم يقول في نفس القصيدة :

سلبن قباذا رب فارس ملكه وحشت بكفيها بوارق آمد

وقباذ ملك فارسي معروف

ويقول من اخرى :

وذي تناوير ممعون له صبح
يغذو اوابد قد افلين امهارا

فالامهار جمع « مهر » وهو فارسي

ويقول من اخرى :

فسل الناس اين آل قبيس
طحطح الدهر قبلهم سابورا

فقبيس تصغير قابوس الملك الفارسي المعروف وهو (كاوس او كيكاوس) وكذلك سابور . وهو مؤلف من شاه بمعنى امير وبور بمعنى ابن ويقول من قصيدة له معروفة :

اين كسرى كسرى الملوك انو شروان ام اين قبله سابور

فاسم كسرى انما هو تعريب لاسم (خرو) الملك الفارسي المعروف . وكذلك انو شروان لقب هذا الملك . فهو مؤلف من انو بمعنى جديد وشير بمعنى الاسد وروان بمعنى المصور . صيغة حالية من رومادة رفتن بمعنى الجري . .

وفيها يقول :

وتبين رب الخورنق اذ اشرف يوما وللهدى تفكير

فالخورنق قصر كان النعمان قد بناه لاحد اولاد

كسرى السالف الذكر . وهو مؤلف من خرن بمعنى الاكل والشراب من مصدر خوردن مادته خوروكاه بمعنى المحل . ونص الجواليقي على انه كان يسمى هكذا : خرنكاه . .

وفي هذه يقول ايضا :

سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير

فكلمة السدير مؤلفة من سه بمعنى ثلاثة ودير محولة عن دلي بمعنى غرفة . أي القصر ذو الغرف الثلاث وكان هذا القصر قد بناه المنذر الاكبر لبعض ملوك فارس . ودلالة القصر على تعدد الحجرات معروف في الفارسية مثل ايوان جمع ايو ويقول من قصيدة اخرى :

زجل عجزه يجاوبه دف لخوان مادوبة وزمير

فنطق بالخوان الفارسي كما ينطقون به مفخما
ويقول ايضا :

فظل يعرى جله عن سراته يبذ الجياد فارها متتابعا

فكلمة جل فارسيتها (جول) وهو مايستر به الافراس من الثياب . وقد وردت هذه الكلمة في شعره مجموعة في قوله :

والاباريق عليها قدم وجياد الخيل تجرى في الجلال

وفي هذا البيت كلمتان فارسيتان أيضا : الاولى اباريق مفرد ابريق وفارسيته (آب×ره) بمعنى مصب الماء ومجراه والثانية فدم جمع « فدام » بمعنى المصفاة . . ويقول :

اصبح القوم قهوة في الاباريق تحتذى

وقد ورد الابريق مفردا في قوله :

ودعا بالصبوح يوما فجاءت قينة في يمينها ابريق

ويقول من اخرى :

لسان لعوبة ذو ولفة تولع في الريف بالهندمة
والهندمة مشتقة من الهندام وفارسيته (اندام) بمعنى تقدير الاشياء واصلاحها .

ويقول من اخرى :
صالحا قد لفها فاستوثقت لف بازى حماما في سلم

والبازي نسبة الى (باز) وهي فارسية مثل الشاهين . . .

ويقول من اخرى

ينصفها نستق تكاد تكرمهم
عن النصافة كالغزلان في السلم

ونستق فارسي بمعنى الخدم : نوشته ويقول ايضا :

ولنا خابية موضونة جونة يتبعها برزينها

فبرزين فارسي . وهو نوع من انواع الآنية . .

الى غير هذه الالفاظ التي وردت في شعر عدي ابن زيد ولسنا نزعم انه اول من استعملها في شعره وانما ندعى انه اكثر من استعمال الفارسية فيه والا فكلمة المسك مثلا وردت في شعر من سبقه مثل امرىء القيس .

والآن ناتي — كنماذج — من شعر الاعشى ميمون ببعض الابيات التى وردت فيها الفاظ غير التي وردت في شعر عدى بن زيد

فمن ذلك كلمة (مهرق) في نحو قوله :

ربي كريم لايكدر نعمة واذا يناشد بالمهارق انشدا

واصل الكلمة (مهره) اي المصنوعة من خرز او المصقولة به لانهم يصقلون ثيابا يكتبون عليها . .

ومن ذلك كلمة (دست) للصحراء في نحو قوله :
قد علمت فارس وحمير والاعراب بالدست ايكم نزلا

واصل الكلمة (دشت) بالشين وقد رويت الكلمة كذلك بالشين في هذا البيت . .

ومن ذلك كلمة (الجلسان) و (البنفسج) و (المردقوش) او (المرزجوش) و (السوسن) وغيرها الواردة في قوله :

لنا جلسان عندنا وبنفسج

وسيسنبر والمرزجوس منمنما

وآس وخيرى ومرو وسوسن
اذا كان هنزمن ورحت مخشما

وشهسفرم والياسمين ونرجس
يصبحنا في كل دجن تغيما

ومستق سينين وون وبربط
يجاوبه صنج اذا ما ترنما

فالجلسان اصلها (كل × شن) وهي قبة كانوا يصنعونها ويجعلون عليها الورد أو هي الروضة والبنفسج كذلك فارسي أصله (بنفشة) والسيسنبر اصله (شيشان×بر) بمعنى النمام وقد سماه العرب الريحان النمام وكذلك المرزجوس فأصله مرزنكوس او (مرده×كوش) اي الميت الاذن لان مرده اسم مفعول من مصدر (مردن) وكوش : اذن وكذلك الآس فاصله كما هو مثل الخيرى والمرو والسوسن أما الهنزمن فهو عيد من اعياد الفرس

والشاهسفرم والياسمين والنرجس كلها فارسية مثل الزهور الاخرى

واما مستق فهو نوع من القراء الطوال الاكمام فارسيته (مشته) والون آلة من آلات الطرب فارسيته (ونه) وكذلك البربط بمعنى العود فهو مؤلف من (بر) (بط) اي صدر البط تشبيها له به في شكله . .

واما الصنج فهو فارسي أيضا واصله « جنك »

ومن ذلك كلمة ديابوذ الواردة في قوله من القصيدة :

عليه ديابوذ تسربل تحته
أرندج اسكاف يخالط عظلما

وهو ثوب ينسج على نيرين فاصله الفارسي مؤلف من (دو×بوذ) ودو معناها اثنان وبوذ بمعنى نير وفي البيت كلمة أرندج وهي جلود البارش السود مثل اليرندج وفارسيته (رنده)

ومن ذلك كلمة هامرز الواردة في مثل قوله :

فجاء القيل هامرز   عليهم يقسم القمما

وهو اسم بعض مرازبة كسرى كان على ميمنة جيشه يوم ذي قار

ومن ذلك كلمة ارجوان الواردة في قوله :

وحشن الجمال يسكهن بالبا   غزو الارجوان حمل القطيف

وهو صبغ احمر فارسيته « ارغوان » الى غير ذلك من الفاظ فارسية استعملها الاعشى في شعره

وهذه نماذج اخرى للنابغة الذبياني الذي كان كذلك على صلة بملوك الحيرة . فمن ذلك هذه الابيات :

وظل سبعة منها لحقن به   يكر بالروق فيها كر اسوار

فالاسوار هو (سوار) بمعنى الفارس . .

بالدر والياقوت زين نحرها
ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

ففي هذا البيت نجد اولا كلمة (الياقوت) و (اللؤلؤ) و (الزبرجد) وجميعها فارسي . وقيل ان الياقوت يوناني . .

وقارفت وهي لم تجرب وباع لها
من الفصافص بالنمي سفسير

ففي البيت كلمة (الفصافص) جمع فصفصة واصلها الفارسي (اسبست) وفيه أيضا كلمة (سفسير) ومعناها الفارسي سمسار وأما النمي فهي فلوس رصاص كانت تتخذ أيام المناذرة بالحيرة ولعلها فارسية ايضا . .

ولا زال ريحان ومسك وعنبر
على منتهاه ديمة ثم هاطل

فالمسك تقدم انه فارسي معرب وكذلك العنبر معرب عن (انبر)

اذا فضت خواتمه علاه   يبيس القمحان من المدام

وكلمة المدام فارسية الاصل مؤلفة من (مي×دام)

تلقى الاوزين في اكناف دارتها
بيضا وبين يديها التبن منثور

فالاوز كلمة فارسية مثل البط

فدوخت العراق فكل قصر
يجلل خندق منه وحام

وتقدم ان كلمة (خندق) هي كنده الفارسية بمعنى الحفير اسم مفعول من مصدر كندن اي الحفر

كأن التاج معصوبا عليه   لأذواد اصبن بذى ابان

وكذلك التاج تقدم انه فارسي معرب عن (تاك)

وان تلادى ان ذكرت وشكتي
ومهري وما ضمت اليه الانامل

فكلمة المهر فارسية الاصل كما تقدم

فهذه أمثلة من الالفاظ الفارسية التي غزت العربية في جاهليتها والى جانب الالفاظ فهناك تأثير آخر تجده في الاسلوب القصصي الذي يبدو الى حد ما في شعر عدي والاعشى بالخصوص وقد عرفت الجاهلية قصصا فارسية مثل قصة رستم وسفنديار وغيرهما .

مربي الشعب محمد الخامس

للأستاذ: محمد المكي الناصري



من ظواهر التاريخ والاجتماع التي تبدو على مسرح الحياة بين آونة واخرى شخصيات قوية بارزة، ذات رسالةهادية، وروحانية ملهمة، لا تلبثان تنكشف في الافق حتى يحس الناس بنورها المتوهج ، واريجها العبق ، وجاذبيتها المنعشة .

وهذا الطراز الفريد في نوعه لا يتكون نتيجة جهد واكتساب يبذلهما اي شخص عادي ، وانما هو ثمرة انتخاب طبيعي وفطري تشرف عليه العبقرية الخالقة والمبدعة لهذا الكون في طي الغيب !

واذا وجد رجل من هذا الطراز بين شعب من الشعوب فانه يعادل آلاف المفكرين والمصلحين ، ويؤثر في بيئته ووسطه بمفرده ما لا يؤثره كل هؤلاء مجتمعين .

والشأن في هذا الطراز من الرجال ان يثبوا بشعوبهم واتباعهم وثبات سريعة ، ويخطوا بهم خطوات واسعة ، في قليل من الوقت ، وبقليل من العناء ، مما لا يصلون بدونهم الى مثله او قريب منه في عدة قرون. وقد يفارقون شعوبهم واتباعهم بعد فترة قصيرة او طويلة . ولكن الرجة القوية التي ايقظوا بها شعوبهم والشعلة المضيئة التي وضعوها في ايدي اتباعهم لا تزال ترسم لهم طريق السير زمنا طويلا ، والوجهة المثلى التي وجهوهم اليها تظل هدفهم الاكبر ، بل الاوحد قرونا وقرونا . فهؤلاء الرجال الاحياء الخالدون — رغم انف الدهر — يصح ان يعتبروا احدى قوات الكون الخارقة دون ادنى مبالغة ولا شطط ، وهؤلاء بحق هم (صانعو التاريخ) ، وهداة الامم وروادها عبر القرون والاجيال ..

ومن حسن حظ المغرب ان الله وهب له — في ادق فترة من حياته واقسى ازمة من ازماته — نموذجا حيا من هذا الطراز الانساني الكامل في شخص (محمد الخامس) الذي اخرج شعبه من بين الانقاض ، ونفخ فيه من روحه ، وفجر في قلبه اسمى المشاعر الانسانية واعمقها واصدقها ، وطبع حياته الخاصة والعامة بطابعه — المحمدي — الخاص .

ولعل ابرز ميزة امتاز بها محمد الخامس انه (مرب) فطري وشعبي صميم ، يؤمن باسلوب التربية الصحيح ، القائم على التجاوب التام بين عاطفتي الابوة والبنوة . وقد فضله على غيره من الاساليب الشائعة ، لانه اسلوب الانسانية في اصدق معانيها واطهر صورها ، بعيد كل البعد عن روح التسلط والتصنع والانتهازية والتهريج . وبذلك اتسعت دائرة النفوذ الروحي لمحمد الخامس ، فشملت جميع طبقات شعبه ، ووسعت كافة ابنائه ورعاياه ، واصبح لا يوازيه ولا يدانيه في المغرب اي شخص آخر من رجال التربية او رجال السياسة العاديين . فهو بحق (اب) المغرب الجديد ، ومربيه الاعظم ان لم يكن مربيه الوحيد .

محمد الخامس هو فى المغرب مربي الجماهير ومربي النخبة . مربي الشعب ومربي الزعماء . مربي الحاكم ومربي المحكوم . مربي الفرد ومربي الجماعة ، وهو اكثر من ذلك مربي اليوم ومربي الغد . اجتمع فيه فى تناسق وانسجام وبنسب متعادلة ما لم يجتمع فى غيره ، فهو ثائر ومتطور ، وهو محافظ ومتحرر ، وهو متدين ومتحضر ، يلتقي عند قلبه وفى فكره الشرق والغرب، والروح والمادة ، دون اي تناقض او اضطراب ، وهو فوق ذلك انساني كبير ، يثق بالانسان ، ويؤمن بالانسانية ، ويفكر فى مصير الحضارة والمدنية تفكير الذين ساهموا فى خلقها وبنائها ، واقامة دعائمها على وجه الارض ، فهو سليل سلالة عريقة لها فى سجل الحضارة مقام مرموق .

محمد الخامس اكبر مرب مغربي ، فقد وسع توجيهه ووسعت تربيته جميع مناحي الحياة المغربية ، الروحية والفكرية والمادية . ما من منحى فى هذه الحياة او وتناوله بالراي السديد ، وعالجه بالتوجيه الرشيد، وامده بنور كشاف ما عليه من مزيد .

خاطب المدنيين كما خاطب العسكريين ، وخاطب الحضريين كما خاطب القرويين ، وخاطب المثقفين كما خاطب الاميين ، وخاطب الاغنياء كما خاطب الفقراء ، وخاطب العمال كما خاطب رجال الاعمال ، وخاطب الرؤساء كما خاطب المرؤوسين ، وخاطب الشباب كما خاطب الشيوخ ، وخاطب الرجال كما خاطب النساء . له فى كل ميدان جولة ، وله فى كل مشكلة موقف ، وله فى كل موضوع كلمة ، ولكنها كلمة بريئة كل البراءة من اللفظ النابي والراي الفطير، وليست كلمته مطبوعة بطابع التطرف، ولا طابع التردد، ولا طابع الارتجال ، ولا طابع الهوى والغرض .

محمد الخامس فى كل جولاته ومواقفه وكلماته مثال الزعيم الروحي والحاكم (المربي) الذي يدعو الى مبدئه بالحكمة والموعظة الحسنة ، واللهجة الصادقة ، والقول الثابت ، والذي يتخذ من سيرته وحاله ، اكبر ظهير مؤيد لمقاله ، اذ هو فى سلوكه الخاص والعام، وفى حياته الداخلية والخارجية ، صورة صادقة طبق الاصل للمبادىء الثابتة والخالدة التي ينادي بها ، ويدعو اليها، منذ اكثر من ربع قرن .

وهذا الصدق مع نفسه ومع الناس ، وهذا الاخلاص المهيمن على كيانه ، والمنبثق من عميق ايمانه، مما مكن حبه فى قلوب شعبه ، ورفع مكانته فى قلوب عارفيه جميعا من كافة الشعوب ، وجعل كلمته الممتازة بالبساطة والطهر كلمة مقدسة ، ذات مفعول سحري ، وتاثير سريع وعميق ، لا فى الجماهير الشعبية وحدها ، ولكن حتى فى نخبة النخبة من رجال الفكر والقلم ، داخل المغرب وخارجه . فهو لا يتكلم بروح التكلف والجدل ، ولا يلجأ الى المغالطة والسفسطة ، ولا يتوسل الى الاسماع والقلوب بما يتوسل به عادة « محترفو السياسة » الذين كثيرا ما يخادعون الشعوب .

ان محاولة تحليل فلسفة محمد الخامس وتوضيح المبادىء التي قامت على اساسها تربيته الشعبية ، النظرية والعملية ، فى ضوء احاديثه وخطبه وتعليقاته ومواقفه ، لامر فوق الطاقة فى هذه العجالة القصيرة المحدودة زمانا ومكانا . غير ان المحور الذي تدور حوله (التربية المحمدية) كان وما يزال هو العلم والعمل ، والاخلاص والاستقامة ، والكفاح والثبات والعزة والكرامة ، والعدل والاحسان ، والتعاون والتسامح ، والاخاء والوحدة ، والامن والنظام ، وخدمة الصالح العام ، وتحقيق الوئام والسلام .

على ان شعب المغرب لا يزال يسرع فى الخطى لاهثا ، ليلحق ركب زعيمه الروحي ومربيه الاعظم . اذ لم يقف بعد على رجليه وقفة راسخة متمكنة ، يستطيع ان يساير بها خطوات محمد الخامس الواسعة، ووثباته السريعة ، خطوة خطوة ، ووثبة وثبة . فقد رزق قائدا روحيا فريدا ، وزعيما عبقريا ، يتمتع بطاقة روحية وفكرية هائلة هي اكبر منه بكثير .

ومهما يكن من امر ، فسوف تدرك الاجيال المغربية القادمة لا محالة مدى رسالته الكبرى الى هذا الشعب ، وتحقق مفاهيمها الصحيحة على الوجه الاكمل ، الذي يرضيها ويرضيه ، لخير المغرب وخير الانسانية جمعاء .

اتجاهات جديدة في التعليم الثانوي

للاستاذ محمد العربي الخطابي

مما لاشك فيه ان التقدم الكبير الذي سجلته الاعوام الاخيرة فى ميادين العلم والتكنولوجيا ، وتنافس الامم الكبرى فى هذا السبيل ، قد احدثا اثرا عميقا فى مجالات الحياة والثقافة المتشعبة ، وعملا على تغيير كثير من القيم والاساليب ، ولم يسلم ميدان التربية والتعليم – بطبيعة الحال – من هذا التغيير ، ويمكننا ان نذهب بعيدا فنقول انه قد حدثت ثورة حقيقية فى هذا المجال اجتاحت الدول الغربية ، فاخذت بسبب ذلك ، تستجمع قواها وتعيد النظر فى اساليب التعليم ومناهج الدراسة وطرائق التربية واهدافها .

وسابسط فى هذا المقال وجها من اوجه هذه الثورة الحادثة فى ميدان التربية والتعليم ، وهي ثورة هدفها التعليم الثانوي : طرقه ومناهجه وغاياته .

فى ربيع سنة 1958 عقد بضاحية (سيقر) البارسية مؤتمر اوربي تحت رعاية اليونسكو ، تدارس فيه المجتمعون حالة التعليم الثانوي فى العالم المعاصر ، واتفق معظمهم فى النهاية، على ان مناهج الدراسة الثانوية وانظمتها الحالية لاترضي حاجات العصر فى المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والفنية ، واوصى هذا المؤتمر باعادة تنظيم التعليم الثانوي على اساس جديد .

وقد حصر الاستاذ (مونيير) (1) العوامل الجوهرية التي توجب تغيير انظمة ومناهج الدراسة الثانوية فى النقط التي الخصها فيما يلي :

اولا : الثورة العلمية والتقنية ، وما تحدثه من اثر فى التفكير وطريقة المعاش .

ثانيا : الثورة الديموقراطية التي تجعل جميع الناس ، من حيث المبدا ، سواسية مسؤولين اكفاء لفهم المشاكل القومية والدولية الحاضرة وابداء الراي فيها ، واتخاذ موقف فردي ازاءها .

ثالثا : اتصال العالم نتيجة لانظمة المواصلات التي لاتزداد الا تحسنا ، مما يفرض على جميع الامم الحاجة الى اكتساب معلومات اوسع بعضها عن بعض ، والى تعليم يتجه نحو تفاهم مشترك .

رابعا : وصول عامة الجماهير الى ممارسة مهام ومسؤوليات كانت ، الى مدة قريبة ، وقفا على اقلية من الناس .

خامسا : تضاعف عدد الطلاب الذين يتابعون مختلف انواع الدراسات فوق مستوى التعليم الابتدائي .

سادسا : تعقد الحياة وتواصل الانتاج .

سابعا : تعدد وتشعب المهام والاعمال التي يتعين على التعليم الثانوي ان يعد لها طلابه . وكان فى الماضي يقتصر اقتصارا يكاد يكون كليا على اعدادهم للمهن الحرة والثقافة الفكرية المحضة .

ثامنا : الحاجة المتزايدة الى التخصص فى شتى فروع العلم والتقنية .

تاسعا : مساهمة بعض العلوم الجديدة فى التعليم نفسه ، مثل : علم النفس ، وعلم الاجتماع ، والبحوث التربوية .

---

1) M. Monnier من مقال مجلة التعليم الثانوي فى سويسرا Gymnasian er Helveticum 1958. وقد اعتمدته فى كتابة هذا المقال .

ويمكننا ان نضيف الى العوامل المتقدمة عاملا يعد جوهريا بالنسبة لكثير من دول الغرب ، وهو تفوق الاتحاد السوفييتي المدهش فى ميدان العلم والتكنولوجيا ، ووصول التعليم فى جمهوريات الاتحاد الى مستوى مثالي من التقدم والازدهار والاستقرار بحيث لايكاد يوجد له نظير فى الدنيا حسب شهادة السيد نهرو اذ يقول (2) : ان نظام التعليم فى الاتحاد السوفييتي يعد ، على الارجح ، احسن نظام فى العالم ... وان انتشار التعليم انتشارا واسعا بسائر اشكاله ومراحله يكون قوة تحريرية هائلة » .

وقد علق احد رجال التربية فى الغرب (3) على التفوق السوفييتي فى ميدان العلم والاختراع بهذه العبارات التي تنطوي على كثير من المرارة ، فقال : « كان الاقتناع السائد هو ان المجتمع المتحرر الذي تطبعه الفردية هو الشرط الاساسي لتقدم العلم ، غير ان السبق فى ميدان التكنولوجيا اصبح من نصيب الرجال الذين يعملون فى مجتمع لايتمتع بالحرية » .

ولنعد الى مؤتمر (سيقر) فنقول ان الاعضاء المشتركين فيه لخصوا اهداف التعليم الثانوي فيما يلي :

— تكميل الثقافة والتعليم العام الموسومين للدراسة الابتدائية .

— الارتقاء بالتلاميذ ، تدريجيا وبثبات ، الى مستوى اعلى واكثر تخصصا .

— اعداد الطلاب اعدادا مهنيا ، مباشرة او بطريق غير مباشر .

— ضمان تكوين العناصر المسؤولة عن النشاط الحيوي فى كل قطر تكوينا مبكرا وتدريجيا فى مواد الاقتصاد والادارة والعلوم والتقنية والشؤون الاجتماعية .

— نشر الثقافة المدنية ، وتكوين الانسان المواطن ليصبح كائنا اجتماعيا فى تمام قواه الجسمية والعقلية والخلقية .

يتضح من هذا ان مهمة التعليم الثانوي ليست « حشو » ادمغة الطلاب بالمعلومات والمعارف ، بل ان مهمته اعداد ، وتكوين ، وخلق : اعداد للحياة العملية ولفهم مشاكلها المتعددة واعطائها الحل المناسب . وتكوين الطلاب من النواحي الاجتماعية والمدنية والانسانية ليصبحوا قادرين على تحمل المسؤوليات ايا كانت ، عن جدارة وتبصر ، وخلق عناصر قادرة ومتوفرة على الخبرة الضرورية لمواجهة تكاليف الحياة العصرية المعقدة والمشاركة الفعلية العاقلة فى عمليات الخلق والانتاج . ان الثقافة — كما قال احد الاعضاء الذين شاركوا فى مؤتمر (سيقر) — يجب ان ترضي حاجتنا الى المعرفة والفهم ، وان تتحول ، فى نفس الوقت ، الى اداة للعمل اليومي .

ويمكن استخلاص النتائج الآتية من المناقشات التي جرت خلال المؤتمر المذكور .

اولا — تنحصر رسالة التعليم الثانوي فى تقديم ثقافة عامة ، والمقصود بالثقافة العامة اكتساب قدرات فكرية وانمائها ، لاتكديس معلومات . ويجب ان تتسم الثقافة العامة بطابع انساني ، وان تتيح للفرد السيطرة على الوسائل التقنية .

ثانيا — يجب ان تتجرد مناهج الدراسة عن الصبغة الموسوعية التي تثقلها . وعلى التعليم ان يعمل على انماء العادات الذهنية ، وتقوية مناهج العمل والقدرة على اكتساب معارف جديدة .

ثالثا — يجب ان يشمل منهاج الدراسة ، بالاضافة الى مواد التخصص ، مواد رئيسية مشتركة بالنسبة لجميع مراحل التعليم . كما يجب على المدارس الثانوية ان تلقن بعض مواد التخصص ، وذلك بان تصير بعض المواد التي تعتبر رئيسية كالرياضيات ، والعلوم التجريبية ، والاقتصاد — مواد تخصص .

---

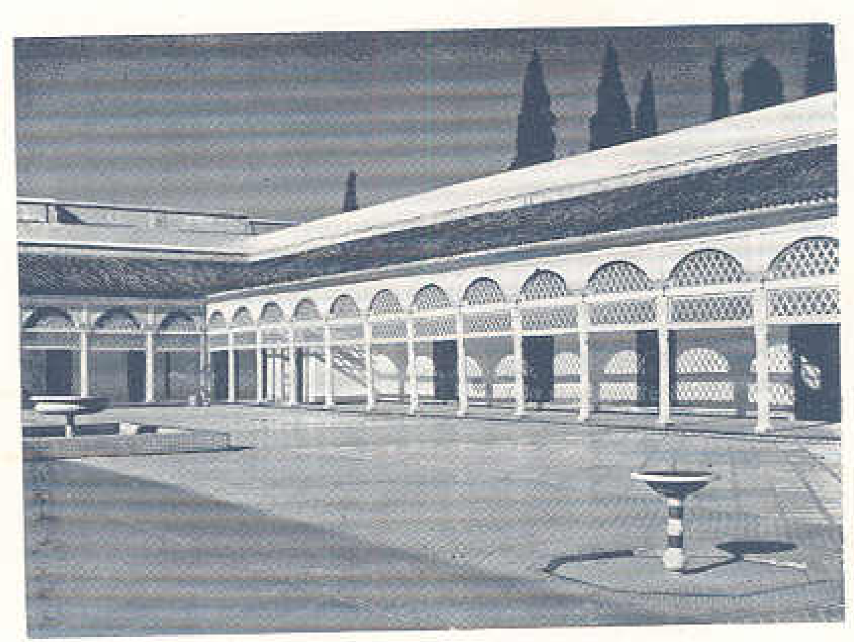
(2) من مقال نشرته مجلة (كراسات) التي يصدرها فى باريس مجلس حرية الثقافة

(3) الدكتور نيكلاند ، من جامعة كلاسكو ، من مقال نشر فى مجلة التربية باسكوتلاندا (3 يناير 1958)

ومما تجدر الاشارة اليه ان المدربين فى الاتحاد السوفييتي والديمقراطيات الشعبية يعتبرون التعليم التقني فى حد ذاته – تعليما عاما – كما يفهم من تقرير أعده فى همبورغ معهد التربية التابع لليونسكو – ويشمل هذا التعليم دراسة المبادىء الاساسية للكهرباء والميكانيكا وعلم الحرارة وعلوم البصريات ، والمبادىء الاساسية التي تتحكم فى تركيب الآلات وسيرها ، ومبادىء علم الحياة والكيمياء وتطبيقهما على الصناعة والفلاحة كما تشمل دراسة اساليب العناية بالماشية كل هذا بالاضافة الى المواد الادبيـة .

والخلاصة ان العصر الذي نعيش فيه يتطلب ان يرتفع مستوى التعليم العام تبعا لارتباط الانتاج بالآلات ، وان تستغل كل امة الطاقات المتعددة الكامنة فى طبقات الطلاب ، وان يصبح التعليم اداة للحياة وفهم مشاكلها المتشعبة ، واعطائها الحل المناسب ، وان تتاح الفرص لمختلف المواهب والقدرات ، وذلك عن طريق تجديد مناهج الدراسة واساليب التربية واهداف التعليم ، واذا كان هذا الامر ضروريا بالنسبة للامم التي تعد راقية متقدمة فهو بالنسبة لامة فتية كامتنا الزم وآكد . وهذا يحتم علينا ان ناخذ من الانظمة اصلحها ، ومن الاساليب احدثها واجداها ، لايضرنا « من اي وعاء خرجت »

والامل عظيم فى اننا سنستفيد من تجارب العصر الذي نعيش فيه ، لبناء امة وتكوين شعب على اسس صالحة منتقاة .



الساحة الكبرى لقصر الباهية بمراكش

حول تتمة المحلى "لابن خليل ايضا"

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني

في صيف سنة 1957 ألقيت بمؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين المنعقد بمدينة مونيخ بالمانيا الغربية حديثا عن الجزء الاول المخطوط من « كتاب المورد الاحلى في اختصار المحلى » المجهول المؤلف، والذي وقفنا فيه لاول مرة على خبر كتاب « القدح المعلى في اكمال المحلى » لابن خليل ، الذي لم نقف له على ترجمة ولا ذكر في محل ءاخر .

(وقد كانت مجلة « دعوة الحق » نشرت النص الكامل لهذا الحديث في العدد السادس والسابع من سنتها الاولى 1377 هـ 1957 / 1958 (ص 21 / 26 وص 35 / 36) كما نشرته ببعض اختصار مع مقدمة (المورد الاحلى) مجلة معهد المخطوطات بالجامعة العربية في الجزء الثاني من المجلد الرابع 1958 ص 309 / 344 ونشرت مجلة اسبيريس (Hesperis) التي يصدرها معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط نصه العربي مع ترجمته الى الفرنسية بقلم المستعرب الاستاذ ا . فور ، في العدد الثاني من الصادر سنة 1958 ص 298 / 327 ، كما نشر ملخص له بالفرنسية ترجمة الاب قنواتي في سجل اعمال مؤتمر المستشرقين الدولي المذكور الذي اشرف على نشره المستشرق هيربير فرانك (Herbert Franke) في مدينة ويسبادن (Wiesbaden) ص 311 / 312 .

Akten des vic Runds Wansiosten. International Enoriontalisten Kongresses Munchen

وقد عثرت ـ بعد ذلك ـ على ذكر (القدح المعلى) عند الشيخ طاهر الجزائري 1368 / 1338 هـ 1852 / 1920 م في كتاب (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن) ص 97 طبع المنار 1334 ، ولكنه نسبه لابن حزم نفسه ، وقال انه تتميم (للمجلى) وتابعه على ذلك الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني مدرس علوم القرآن وعلوم الحديث بتخصيص الدعوة والارشاد بكلية اصول الدين بالجامعة الازهرية ، في كتابه (مناهل العرفان) ج 1 ص 268 الطبعة 3 سنة 1373 هـ 1954 دار احياء الكتب العربية ، ولكنه اقتصر على الجزء الاول من اسم الكتاب ، مع ان السيوطي (849 ـ 911 هـ 1445 \ 1505 م) في الاتقان نسب الى ابن حزم في (المحلى) نفسه ما نسبه الشيخ طاهر الجزائري وتابعه محمد عبد العظيم الزرقاني الى (القدح المعلى) الاتقان ج 1 ص 99 المطبعة الموسوية بمصر سنة 1287 هـ وهو كذلك عند ابن حزم في (المحلى) ج 1 ص 13 مطبعة النهضة 1347 هـ .

وقد استفدنا من هذا النقل ان الشيخ طاهرا الجزائري رحمه الله كان له نوع معرفة بكتاب (القدح المعلى في اكمال المحلى) وهو الخبير بالكتب الواعية لاخبارها ـ وان اخطا في نسبته لابن حزم ـ فلعله قد قرا عنه شيئا ، او وقف على النقل عنه فبقي اسمه في ذاكرته .

ثم اني وقفت في رحلتي في الصيف الماضي الى ايطاليا بمكتبة الامير كايتاني 1286 / 1345 هـ 1869 / 1926 في اكاديمية لينش بروما على مجلد من (الوافي بالوفيات) للصلاح الصفدي 696 \ 764 ـ 1296 1363 به ترجمة لابن حزم ليس فيها شيء جديد الا قوله : .

(وله كتاب « المجلى » وشرحه « المحلى » ولم يكمله ، وكمله تلميذه ابن خليل ، رايت هذه التكملة في ثلاث مجلدات ، بخط ابن خليل ، عند ابن سيد الناس) .

وهذا النص من معاصر لصاحب (المورد الاحلى) ذو اهمية لا تخفى ، ـ رغم قصره ـ فهو الى جانب ما فيه من تاكيد لما استفدناه ـ لاول مرة ـ من مقدمة المورد « الاحلى » قد تضمن معلومات زائدة :

1) (فتكملة ابن خليل) كانت عند الحافظ ابي الفتح ابن سيد الناس اليعمري 671 / 734 ـ 1273 / 1334 الذي كانت عنده امهات من الكتب احضرها ابوه

ابو عمرو 645 / 705 – 1247 / 1305 معه الى الديار المصرية – ومنها كتاب المحلى لابن حزم الصفدي الوافي ج 1 ص 393 وقال ابن حجر ان جلها حضر اليه من تونس : الدرر الكامنة 4 ص 208 ابن شاكر فوات الوفيات 2 ص 345 الشوكاني البدر الطالع 3 ص 249 .

ويظهر ان نسخة المحلى التي كانت عند ابي الفتح ابن سيد الناس لم تكن معها تتمة ابي رافع الفضل بن ابي محمد ابن حزم .

2) فان الصفدي لم يشر الا لتكملة ابن خليل التي رآها عند شيخه ابن سيد الناس .

3) بخط مؤلفها ، ونحن لا ندري هل هي نفس النسخة التي وقف عليها صاحب المورد الاحلى ووعد ان يضيفها الى كتابه عند فراغه من اختصار المحلى فهو في طبقة تلامذته – ان لم يكن تلميذه بالفعل – أم انه وقف على نسخة اخرى غير هذه ، لانه لم يشر في مقدمته الى شيء من هذا .

4) وتقع تكملة ابن خليل في 3 مجلدات – وليست رسالة من بين رسائل يضمها مجموع – كما قيل – .

5) وابن خليل اندلسي كما توقعناه .

وهي كلها فوائد زائدة على ما استفدناه من (مقدمة المورد الاحلى) .

6) واما قول الصفدي عن ابن خليل انه تلميذ ابن حزم ، فهو امر لا يتفق مع ما ورد في الفصل الثالث من مقدمة القدح المعلى لابن خليل حسبما اوردها صاحب المورد الاحلى من الاشارة الى احراق كتب الفروع بقوله: كما فعل بعض من ولاه الله من اقطار ارضه امرا ، فجزاه الله خير الجزاء .

والمعروف ان احراق كتب الفروع وقع على عهد الدولة الموحدية ، ايام يعقوب المنصور 555 / 580 / 595 – 1160 / 1184 / 1199 وقد شاهدها عبد الواحد المراكشي 581 / بعد 620 – 1185 / 1223 وهو يومئذ بفاس – يوتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار . المعجب ص 171 ط سلا 1357 هـ وكان دخول عبد الواحد المراكشي لفاس اول مرة سنة 590 – 1193 عندما كان سنه 9 سنين فلم يزل بها الى ان قرا القرآن وجوده ، ثم عاد الى مراكش فلم يزل مترددا بين المدينتين ص 232 .

ويريد عبد الواحد المراكشي ان محو مذهب مالك وازالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث كان مقصدا به – يعني ابا يعقوب يوسف 533 / 558 / 580 – 1138 / 1163 / 1184 – وجده – يعني عبد المومن بن علي 487 / 524 / 558 – 1094 / 1130 / 1163 الا انهما لم يظهراه واظهره يعقوب هذا . المعجب ص 171 .

وعند ابن ابي زرع المتوفى حوالي 726 هـ 1326 في القرطاس وتابعه الناصري 1250 / 1315 – 1835 / 1897 في الاستقصا ان عبد المومن امر سنة خمسين وخمسمائة بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى طلبة المغرب والاندلس والعدوة . القرطاس ص 138 ط فاس 1305 الاستقصا ج 2 ص 113 ط دار الكتاب 1954 ، فاذا تذكرنا ان ابن حزم توفى سنة ست وخمسين واربعمائة علمنا ان تلميذه لا يمكن ان يدرك حادثة احراق كتب الفروع على عهد يعقوب المنصور ، بل ولا الامر باحراقها سنة خمسين وخمسمائة حسبما عند صاحب القرطاس لاننا اذا فرضنا انه تلمذ – وهو صغير السن – لابن حزم في اواخر عمره ، وانه عمر الى سنة خمسين وخمسمائة فسيكون سنه اذ ذاك قد تجاوز المائة بكثير ، وهو ليس السن الذي يشتغل فيه المرء بالتاليف ، ولو عاش هذا العمر الطويل لكان ذلك وحده كافيا لحمل اصحاب الطبقات على الترجمة له وعدم اهماله ، اما سنة تسعين وخمسمائة او بعدها فلا يمكن ان يكون احد تلاميذ ابن حزم بقي حيا اليها .

ومن العجيب ان الصلاح الصفدي الذي وقف على (تكملة المحلى) في ثلاث مجلدات ، لم يكلف نفسه مشقة الترجمة لابن خليل هذا في النسخة التي وقفت عليها من الوافي بالوفيات لا في محمد بن عبد المالك ، ولا في ابن خليل .

*

* *

ومهما تكن ضآلة هذه المعلومات التي استفدناها من نص الصفدي هذا ، فانها على كل حال تفيدنا حلقة مفقودة تضم الى ما كنا عرفناه بواسطة (مقدمة المورد الاحلى) مؤملين ان تساعد زملاءنا الباحثين – في الشرق والغرب – في العثور على معلومات اوسع وارقى .

أفكار للمناقشة :

قضية الأدب عندنا

للأستاذ : محمد الكتاني

لاغنى للباحث فى اسباب عقمنا الادبي عن ان يتجه فى بحثه اتجاهات مختلفة ، واحيانا متباينة ، وقد تكون هذه الاتجاهات بالقياس الى عدة باحثين مختلفة شديدة الاختلاف ، متباينة شديدة التباين ؛ نتيجة للمنطق الذي يسير عليه كل باحث ، او قل بالاحرى ، نتيجة او تبعا للمنحى النفسي لكل باحث ، ولذلك اختلفت طرائق هذا البحث عندنا اختلافا بعيدا ، وانطلق الناس فيه قددا شتى ، وخضعوا لمستويات متفاوتة ، بيد انه على تنوعه ، وغنى اسبابه لم يتصل بالظواهر الاجتماعية والنفسية التي نعيش فيها ، فهذا العقم الادبي كما نسميه لايمت الى سبب واحد ، او عدة اسباب مما تعارف عليه الباحثون فى شؤون الادب ، وما يعتوره من حالات الجمود والعقم ، او يعوزه من عوامل الثورة والتجدد ، لان تلك الاسباب التي اصطلح عليها النقاد والباحثون فى هذا الميدان تكاد تكون عامة ، تنطبق على عدد من البيئات ولا تنطبق على واحدة منها بالذات ، والواقع ان لكل شعب قضاياه وظواهره الخاصة ، وهي التي تميزه عن باقي الشعوب فى جميع مجالات نشاطه ، وهكذا يكون العقم الادبي عندنا ــ وهو ظاهرة لاشك فيها ــ متصلا بواقعنا الاجتماعي والنفسي من ناحية ، ومتصلا بوضعنا الثقافي من ناحية اخرى ، وكلاهما عندنا امتداد لاحوال واسباب تتصل بالسياسة والتاريخ الذي نعيشه والذي عشناه مع ما يسوده من قيم ومثل خاصة ، ولا بد للباحث عندنا اذا ما اراد محاولة واعية فى بحث قضية الادب عندنا من ان يلج كل باب ، وان يستجلي كل سبب ويمحص كل اتجاه ليخلص الى النتائج التي يمكن وصفها بانها موضوعية ، وانها جدية.

ولن نستطيع ان نقف على حقيقة الوضع الذي يتخبط فيه ادبنا ، الا اذا استطعنا ان نقف على حقيقة انفسنا فى معتركها الفكري والمادي ، وان نقف بالذات على مختلف مقومات هذه الحياة ، ما كان منها يدعو للخلق والتطور ، وما كان منها يشدنا الى العقم والاجترار .

واولى المشاكل فى هذا الباب مشكلة المفاهيم عندنا ، وانا لا اتجاهل هذه المفاهيم الغريبة ولا ادع سبيلا يذكرني بها كل حين ، لافسر على ضوئها الاحداث المتعاقبة ، والظواهر العابرة ، ذلك لان هذه المفاهيم المادية والمعنوية هي فى الواقع التصاميم التي تجتمع اليها خيوط الظاهرة الادبية على أي صعيد وضعت ، وتفسر لنا ولو الى حد يسير ذلك الفراغ المهول الذي يسود عالمنا الادبي .

ونحن نعلم ان هناك مفاهيم متضاربة فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وان هناك مفاهيم متناقضة فى شؤون الفكر والعلم والفن ، واخرى متلاحية ، او متعادية فى شؤون الدين والاخلاق ، ونعلم ايضا ان هذه المفاهيم تختمر فى عقلية اجيالنا ، وترتمي ظلالها على حاضرنا ومستقبلنا ، فتشدنا الى الشك والفوضى ، وتجعل بعضنا عدوا للبعض ، ولكم هي اشبه بالقول : انها تفرق بين المرء وزوجه ، وآية ذلك عندنا اننا نتميز اليوم بفترة من الشك والارتباك يقذفنا بعيدا عن صميمة الوضع الى هوامش الاحداث فنظل نجتر فيها الاقاويل ، ونظل نحوك حولها وحول انفسنا عناكب واهية ، تلك هي مشكلة اضطراب مفاهيمنا كلها فى شؤون الفكر والحياة ، وحظ الادب ، والحياة الادبية عندنا من ذلك غير يسير ؛ فالمفاهيم

الادبية التي يقوم نسفها على بلورة قضايا الحياة الانسانية ، ويقوم مضمونها على استقرار او اقرار مفاهيم لهذه القضايا ، ويقوم شكلها على اعتبارات جمالية وفنية آخذة بالتجديد والتطور ، هذه المفاهيم عندنا لايدري الباحثون عنها اليوم شيئا ، او لايدرون عن قيمتها وخطرها شيئا .

اننا نفكر ونحيا خارج المناهج العلمية ، وخارج الآفاق الفلسفية ، أي خارج عصرنا كله ، لا لاننا نتجاهل هذا كله ، او لاننا يئسنا من نتائج المذاهب الموضوعية ، بل لاننا نجهلها من ناحية ، ولاننا ننشد الراحة من ناحية ثانية . راحة البحث حين نبحث ، وراحة الكشف حين نحاول ان تكشف ، اننا نريد راحة ، ونؤثرها على التعب حتى في استعمال الفكر . وما ظنك باناس يؤثرون كسل الحياة على متاعب العمل والتفاعل مع الحياة ، لذا كان من الحتم ان نتناول قضية المفاهيم المتداولة عندنا ادبيا ونحن بصدد بحث عقمنا الادبي من بعض الوجوه .

واول مفهوم مضطرب عندنا مفهوم الحياة الادبية ، فهو لايصدق عندنا على وجه معين من اوجه النشاط الفكري ، فهل نريد بهذه الحياة ان تثار عندنا قضية او عدة قضايا فكرية يناقشها الناس ، ام نريد حركة صحفية متصلة تملأ الصحف وتشغل رجال الطبع والنشر ، حركة يتاح لنا من خلالها مطالعة انتاج مغربي مهما يكن نوعه وقيمته ، أم ترانا نستهدف بهذه الحياة ادبا في مستوى الاصطلاح الذي تتداوله الدراسات النقدية الادبية اعني ادبا مستوي الخلق ، ادبا واعيا لذاته ، لايتمنع حين يحدث عنا ، ولا يوارب حين يكشف لانفسنا عن انفسنا ، ولا يتخاذل حين تنظر اليه النظرة التقييمية الفاحصة ، ادبا يزخر بالاصالة والقوة ، ويجرف كل ماتراكم فوق انسانيتنا من صدا وعفن ، وكل ماران على قلوبنا من ظلال الارتباك والجبن ، وبالتالي ادبا كفكرنا وارادتنا عزما وتوقانا ؟ ؟

ويبدو لي اننا لانقصد شيئا من هذا القبيل ، وكأني بقائل يقول : وما لنا ولهذا التعقيد ؟ اننا نريد حياة ادبية تشغلنا ، تملأ سمع السامع ، وبصر القارىء ، وقاطع المتحلى ، نريد هذه البضاعة المسماة الادب ، كما لغيرنا منها ، لنؤلف حياتنا تأليفا متكاملا ، فيه مايؤكل وما يسمع وما يقرأ ، وما يثار من اجله ، وما يعبث به ، وما يملأ الفراغ ويقتل الوقت من كل لون وصنف تجد الحضارة في تقديمه للناس .

نريد فقط ان نستوفي حظنا من كل شيء ، وجدنا الناس يستوفون حظوظهم منه ، وهكذا فلن يكون استهلاك الادب عندنا ابعد قيمة من استهلاك الطماطم ، ولن يكون تذوقنا الفني اكثر اهتزازا من تذوقنا الصور المتحركة ، وقس على ذلك قضية العلم والاخلاق ، وكل القيم ، ان فئة قليلة تظل يحرقها الشوق الى الامثل من كل شيء ، والحقيقي من كل شيء ، وتظل مشكلة الادب عندها في اطار الاشكال العام للحياة ولقضية الفكر ، وليس من الحق ان يزعم زاعم ان قضيتها قضية العامة .. ؟

واضح اننا لانقصد مفهوما ما للادب ، فيما نحن نحرص ان يكون لنا ادب ، وتلح على كتابنا ان ينتجوا ادبا ، لانقصد مفهوما قديما ولا حديثا للادب ، وهذا ثاني المفاهيم المضطربة عندنا ، ان السبب في ذلك هو اننا لم نتمكن بعد كتابا وقراء من تحديد مفهوم للادب في سياق التطور الذي نعيشه ، واستجابة للتطور الذي نمارسه ، وينبغي ان الاحظ بهذه المناسبة اننا لم نساهم حتى في خلق هذه المفاهيم التي نتبناها اليوم . هذه المفاهيم التي استوردناها من الخارج ، وتلك احدى ظاهرات شللنا الفكري ، واذا كان الكتاب الشرقيون يشكون قضية الاستيراد الفكري اليوم ، فماذا نقول نحن الذين نستورد منهم احيانا ، السنا من فضائل الانسان المجتر ؟

ان ادباءنا – ان كان لنا ادباء – مختلفون جميعا في فهم قضية الادب اختلافهم في اذواقهم ومشاربهم الثقافية ، مختلفون لانهم متباينون في اسلوب قراءتهم ، ومختلفون لانهم متباينون في نوع مايقراون ، ومختلفون ثالثة الاثافي ، في مناهجهم التيتخرجوا عنها في دراستهم للادب كاختلاف الصدف التي عملت على توجيه كل منهم في هذا الميدان ، واقول الصدف ، لانني اعلم ان تكويننا الادبي في هذه البلاد كان محض صدفة كسائر وجوه نشاطنا المادي تقريبا ، ولهذا فمحاصيل هذه الصدف كبيادر الف تربة ، لاينبت زرعها غير الف لون ولو في ائلام واحدة .

كان احدنا يتلقى من دراسات الادب مايراه الآخر غريبا مغرقا في الغرابة ، ويتلقى بعضنا من شؤون الادب ما يجده البعض الآخر متطرفا موغلا في التطرف ، وهذا مدلول لفظ الادب يكفي للدلالة على ذلك ، فبين المفهوم الذي يتلقاه الطالب عندنا في الجامعة وبين المفهوم الصاعد الف بون .

وهذه اجيالنا يشد بعضها الى عمدة ابن رشيق ، والمقدمة ، وبعضها الى التآليف المدرسية الحديثة وبعضها الآخر الى المذاهب النقدية الحديثة ، وبعضها الى التشكيك في كل شيء ، فاي مدلول سيخصب عقولنا ، ويكهرب بلفح صدقه قلوبنا ، ان اصحاب الادب الرجعي عندنا لايعلمون شيئا ولا يريدون ان يعلموا ان هناك مفاهيم جديدة استلزمتها تطورات الحياة ، وتطور وظائف العلم والفن والادب في واقع المجتمعات ، وان هذه المفاهيم تنطلق اليوم من ثورات علمية واقتصادية بعيدة كل البعد عن جثث الادب القديم المحنط ، الذي لاوظيفة ، لمعظمه الا اغناء المعاجم ، وشواهد الاستعارة والمجاز ، والجناس والطباق ، ومختلف ضروب الفن الشكلي للقرون الوسطى .

وسيزعم زاعم ان اختلاف مفاهيم الادب شيء شائع حتى في اوربا ، والواقع ان اختلاف مفاهيم الادب في اوربا ينطوي على مغزى آخر ، فاذا كان هذا الاختلاف يعني في بيئة اخرى انه مظهر لتطورها المستمر واخذها بمختلف تيارات الفكر الانساني ، فانه في بلادنا لايعني اكثر من اضطراب وارتباك شكليين ، مصدرهما تعدد ينابيع ثقافتنا ، وتناقض مقوماتها بين شرقية وغربية ، وسطحية اتجاهاتها بصفة عامة ، فلنبحث اذن عن مفهوم حقيقي او على الاقل واضح للادب قبل ان نبحث عما يمكن ان نسميه ادبا ، وانا لا ازعم للقراء ان من شروط وجود حياة ادبية خصبة ان يتداول الناس تعاريف للادب في مختلف اشكاله ، ولا ان يتفق الادباء حول تعريف او تحديد ما لمهمة الادب شكلا ومضمونا ، كما يمكن ذلك في النطاق العلمي ، ذلك ان الادب هو البحث المتطور عن مفهوم متجدد من ناحية ، وهو اعلاء هذه المفاهيم الحية الآتية باعلاء غاياته من ناحية اخرى ، بل لعل الادب هو ذلك التوقان الدائم الى الخروج عن اطارات التحديد والتعريف ، وبالرغم من ذلك فلا بد له ان يخضع لمفهوم تجيش به الحياة في حقبة من الحقب وتنصهر فيه ابداعات تحتفظ لذاتها بالفروق الفردية في اللقطات الحسية ، والمنحنيات الموضوعية ، ولا ضير على الادب والادباء من ان ينقلب هذا المفهوم بعد ذلك وان يتطور ما دام قد استجاب لحاجات الذين عاشوه ، وصدروا عنه في فترة من الفترات ، بل ان الضير كله الا ينقلب من المفهوم ولا يتطور مسايرا الانقلابات والتطورات الدائبة في واقع المجتمعات والافراد .

ان الذي اريده مبدئيا توحيد مضمون هذه الكلمة في مفهوم يعنون هذه الحقبة ، ويصوغ انتاجها تحت شعار جديد ، ليكن الالتزام او ليكن الفن لذاته ، او ليكن الفن للحياة ، ليكن مايقتضيه واقعنا ان يكون ، فمن اين لنا بهذا المفهوم ؟ هل نستورده هو ايضا ؟ انه لايسوغ الزعم مطلقا اننا يجب ان نستورد افكارا ومفاهيم ، أو اننا بالفعل يجب الا نستورد هذه الآراء والمفاهيم فكلا الفعلين في حد ذاتهما يعكسان موتنا الادبي ، وانما الذي يجوز ان نستورد لنطالع ، ونتمثل ، ونقيس ، ونحتكم الى واقعنا واهدافنا ومنطق التطور ومعنى ذلك في سياق الفعل ان تكون لنا حياة ادبية ، او ثورة تضمن لنا الوصول الى ذلك المفهوم ، وهذه الحياة الادبية ليست لغزا أو مشروعا اقتصاديا ، أو مخططا فلسفيا ، وانما هو ان نتلاقح والتراث العالمي دون تحرج ، وان نتمثل ما نقرا ونسمع ، وان نقيس ، ونحتكم الى واقعنا والتطور الذي نريده ، وعندما تقول كلمة ما في هذا الصميم ، عندما يتحدث لنا الروائي والفنان والشاعر والكاتب عن ذلك في اشكال مختلفة سنعطي للمفهوم الذي ننشده مضمونه الواقعي في دنيا الانتاج ، ان هذا المفهوم وذلك المضمون لايتمان نتيجة طفرة ادبية او عبقرية حتى ولو كانت فذة ، لان المفهوم الادبي ومضمونه نسبيان دائما ، ومن ثم كان لابد ان ينبثقا عن تصميم جماعة مفكرة يستهدف القلم والفكر عندها توظيف انتاجها في اغناء جيلها بانتاج واع صادق مشبع بالجمال ، وسوف لا اتمكن الآن من ابداء رايي في المفهوم الادبي الذي ينبغي أن نحقق مضمونه في ادبنا ، ولكني سارجيء ذلك الى مناسبة اخرى .

اننا حين نريد انتاجا ادبيا لانعدو اننا نطلب من ادبائنا انتاجا منوعا بين قصص ومقالات وقصائد ومسرحيات — اذا شئنا ان نقنع بالمفهوم السطحي في الانتاج الادبي — وهنا ساكون قد غاليت جدا حين ظهرت بمظهر من يحرص على توفير مجموعة من القواعد الشكلية او الموضوعية قبل الانتاج ذاته ، والواقع ، اننا نشكو فقرا في مادة الانتاج قبل ان نشكو فقرا في مادة النقد والقيم الادبية ، وانا اعتقد زيادة على ذلك ان انتاج الاديب لايتوقف على المامه او معرفته بهذه القيم والقواعد الموضوعية ، بيد ان تجاهل هذه العلاقة الى حد بعيد ، بل ان تجاهلها ولو على نحو يسير يجعل من الانتاج ميدانا للانشاء تختلف قيمه وتتضارب ، وينزع فيه كل كاتب الى المقومات الشكلية او المضمونية التي يصدر عنها في تكوينه ، ويصبح

واقعنا الادبي على النحو الذي عليه الآن ، وبين ظهرانينا اليوم الكاتب الذي مازال على تراث القاضي الفاضل يسحب وجدانه وتفكيره ، والذي حلق فى طفرة غير واعية الى رومانتكية اجترأت قيمها الشكلية ولم يبق له منها الا عبارات والفاظ هي فى حكم اطلال الشعر القديم ، وعندنا ذلك الشاعر الذي يزخر راسه باصداء الشعر الحر فى المشرق فيهذر بها عن غير وعي لاية تجربة تستدعي صوره تلقائيا ، وذلك الذي مازال يغرف من بحر وينحت من صخر ، خاضعا فى مفهومه لهذا المقياس الذي يجب ان يسكن صاحبه « اطلال برقة ثهمد » .

على الكاتب او الشاعر او القصاص عندنا ان يتمثل القيم الادبية الجديدة ، ويستوعب الشروط الفنية التي تجلى تجربته فى شكل فني ، فاذا لم يفعل تاه فى ذاته ، وبالتالي اذا لم يجد كاتبنا وشاعرنا امامه الابعاد الفنية ، والابعاد الواقعية التي يصرف اليها خياله وشعوره فسيظل هائما ، وسيظل ضالا ، وسيظل شاعرا وكاتبا فى داخل سديمه ، او فى حاجاته الضيقة ، وهواياته الفردية ، وهنا تتجلى خطورة رسالة النقد عندنا — وهي لحد الآن مجهولة — ان على النقد عندنا ان يتحسس مواهبنا الادبية الكامنة وينعش براعمها من ناحية ، والا يترك هذه المواهب طليقة من ناحية اخرى لاتعرف الابعاد الحقيقية لرسالتها فتنمو كالعليق غير هادفة تاصيل ذاتها او توظيف ذاتها .

ان النقد عندنا لايزيد عن كونه تعليقات صحفية تخدم الغرض والعاطفة ، ولا تنزع عن ثقافة او تذوق اصيل ، وما دام الامر كذلك فهو تسميم أو تزييف ، وكلاهما يعمل على كبت الاصوات الحقيقية للفكر والعاطفة .

ان الانطلاق الذي ننشده فى حياتنا الادبية يعتمد حتما على التسليم بقيم سائدة ، وتحديد ابعاد واقعية للكفاح الانساني يستطيع الكاتب والشاعر فيها ان يحدد واجهته ، ويحتضن جزءا من رسالة الانسان فى ذلك الكفاح ، وهنا اعود بالحاح لاسأل : هل عندنا هذه القيم ، هل حددنا ابعاد نضالنا الانساني ، هل عرف الفكر والوجدان عندنا واجهتهما من المعركة التي نخوضها جميعا ، وهل عندنا تقييم ادبي ، او نقد ادبي يلح على طاقتنا الادبية ان تلتزم رسالتها ، ويحثها فى طريقها ، بل بالاحرى هل عندنا مفهوم ما للادب ؟ ؟

سيقول قائل : ان هذا الكلام لايخلو من الغلو فى التحامل على ادبنا ، او من التحذلق احيانا ، بل لايخلو من تحكم فى حرية الاديب ، هذه الحرية الغالية التي ترفض كل مايخرج عن نطاق طبيعتها ، وماذا يبقى للاديب من حرية بعد ان نتحكم فى اتجاهه ، وفى انطلاق موهبته ، وفى القيم التي يؤمن بها ، وفى القوالب والاشكال التي يختارها لتجاربه ؟ وانا سأوافق هذا القائل فى زعمه اذا كنت لا ابتغي من وراء الحياة الادبية كهذا القائل سوى كتابة ترهق القارىء وترهق المستمع ، وترهق قبلهما رجال المطابع والناشرين ، بل سأذهب ابعد من ذلك الى القول بانها ترهق كاتبيها قبل هؤلاء جميعا ، اعني ادبا متسكعا زائفا ، ادبا يتراكم فى طريق القراء على مر الزمان ولا يفتح لنا طريقا جديدة فى توعيتنا مشاكلنا على الصعيد الانساني، مثلما يفعل العلم حين يفتح طرقه الجديدة فى الفضاء ، وفى الطبيعة ، وفى القوى البشرية ، ان قضية الادب فى هذا المنعرج الخطير من حضارتنا بالقياس الى الصعيد العالمي كله توشك ان تفضي الى اعتبار خطير على الادب نفسه ، وهذا الاعتبار هو طرح رسالة الادب وراء اهتماماتنا الثقافية باعتبار انه سخافة تتحدث عن امراض الوجدان ، انني انذر هنا اولئك الذين مازالوا يحترمون الاجداث والجثث المحنطة تاركين الزمن يتخطاهم فلا يبنون لانفسهم وللاحياء صروحا عتيدة ، ولكنهم يفعلون كالاطفال اذا وصفوا بغير ما يشتهون .
وان كتابا كثيرين يجيدون فن الكتابة ، ويحترفون التعبير عن شهوات الجماهير ودغدغة غرائزها ، ان هؤلاء جميعا لايغيرون طبيعة المشكل كثروا أم قلوا ، بل ربما كانوا يسيئون الى وظيفة الادب من ناحية ، ويسيئون الى الجماهير فى صرفها عن الحقيقة الاجتماعية والانسانية فى النضال القائم ، من اجل ذلك فاني اؤكد ان الادب الذي اريد والذي ينبغي ان يكون موازيا لانتصاراتنا الانسانية هو الادب الحق الذي يحقق مضمون الثورة والتطور ، ويخدم القيم الانسانية ، ويلتزم الصياغة الجمالية ، وهو الادب الذي سيظل الى جانب العلم موازيا لتطورنا ، صاعدا بذواتنا ، متساميا بوجداننا كاشفا كياننا لانفسنا .

اما ما يعرفه الناس حتى اليوم عن الادب ، وعن انه صناعة الكلام ، او فن التعبير فقط ، فقد تخطاه الزمان الى ان الادب مضمون انساني كبير يوائم بين الانسان وعالم المثل بطريقته الخاصة ، وسيظل الادب كذلك مانبض القلب بحب ، وهام الفكر بمثل ، وصلى العقل فى محراب حقيقة .

ان النتيجة التي اخلص اليها بعد كل هذا هي اننا متسكعون في حياتنا الادبية ، متسكعون كتابا وقراء ، لاننا نقرا حين نقرا لملء الفراغ او قتل الوقت ، ما يملأ الفراغ ويقتل الوقت حقا ، ولاننا نكتب حين نكتب استجابة للعادة او ارضاء لغرض ما ، وليسمح لي الذين يسمون عن هذا الحكم — كل عادة او أي غرض ماعدا الاستجابة الفكرية السامية النزيهة او الوجدانية الصرف ، وهب اننا نكتب لنثير مشكلا او او نحاول حقا فاننا لانفعل حين نفعل الا لاننا نحترف هذا النوع من الكتابة ، ولانه مما يحب القراء ان يقرءوا ، ولان الكتابة النافقة والصحافة النافقة هي التي يكفيها ان تضع عنوانا تحريريا لامعا او ثوريا ملتهبا ، ثم تقول كل ما تشاء غير التحرير وغير الثورة .

ان الثورة ، وان التطور والتحرير ، لاينبثقان من اقلام معروضة للبيع ، ولو انها تبيع للناس كلاما عن الثورة والتطور والتحرير ، ومن ثم فان ادبا تنتجه هذه الاقلام ليس مما يغير من احكام الموضوع القائم شيئا ، اما قراؤنا — وما اقلهم — فهم يقراون بالصدفة ، او بالهواية او بحكم العادة ، وتلك هي المراتب التي يرقون فيها تدريجيا : وان كان الذين يقراون بالعادة او يدمنون على القراءة لايتجاوزون الاصابع عندنا ، لان مشاغل الحياة ومباهجها وملاهيها ، بل لان اعداء القراءة كثروا في حضارتنا ، وقلما ينجو من شباكهم الادباء انفسهم احرى المستضعفون من القراء ، وما دام القراء يعكسون رغباتهم سامية او مبتذلة على دنيا الكتاب ، فان هؤلاء يسفون معهم تأثرا بالقاعدة الاقتصادية ، اما الذين يقراون بالصدفة فهم لاينتمون الى القراء الا بكونهم قابلين للقراءة عندما تسعى الصحف والمجلات الى منازلهم او ايديهم ، واما القراء بالهواية او بالعادة فأغلبهم لايتمثلون ما يقراون ، ولا يخصبون عقولهم وقلوبهم بهذه القراءة ، وهكذا تتحول قراءة قراء من هذا النوع الى اجترار وتوظيف آلي ، والظاهرة التي تؤيد ذلك — وان كانت بسيطة في حد ذاتها — هي اننا لانستجيب للاصداء التي تتردد في عالمنا الادبي ، الا ما كان من الصحفيين الذين يهتزون بشكل مفتعل لهذه الاصداء والاحداث بحكم مهنتهم ، وانا لا اشك ان كثيرين عندنا يقراون كثيرا ، وان كثيرين ايضا قد تعودوا ان يقرأوا نوعا من الكتاب او نوعا من الكتابات الادبية حتى تكون لديهم مايجب اعتباره سعة اطلاع في هذا الباب أو ذاك ، بيد أن السؤال الذي يوضع هنا بقصد اختبار نضج قراءتنا وحرتيتها لذواتنا هو : الى اي حد يستطيع قاريء طه حسين أن يحدثنا عن طه حسين بشكل ما عميق الفهم ، والى اي حد يستطيع آخرون رسم تخطيط فكري للعقاد او توفيق الحكيم في آرائهما وفلسفتهما في الحياة ؟ واذا صح ان هناك اشخاصا يستطيعون هذا النحو من التجاوب والتفاعل مع كتابهم فما يحجبهم عنا نحن القراء ؟ .

انني لا اكاد اشك في فراغنا الادبي الناتج عن اجتواء طاقتنا الادبية ، فلا نحن نعبر عن ذواتنا ، ولا نحن نتجاوب مع الاصداء المنطلقة عن الذوات الاخرى ، لانحن نكتب ، ولا نحن نقرا على النحو الذي نريد ، وانني لا اكاد اشك ايضا في اننا متسكعون في حياتنا الادبية ، وواهمون باننا متجهون لهدف ما ، ولا اشك مطلقا في ان سبب ذلك يرجع الى اسباب كثيرة غير التي المعت اليها ، او شرحتها ، بيد ان انعدام الايمان بوظيفة ما للادب في حياتنا ، وانعدام مفاهيم وقيم خلاقة للادب مشاعة في صدور تلك الطائفة القليلة من ادبائنا ، وانعدام المستوى الثقافي اللازم للتصادي مع العالم الخارجي يكاد كل هذا القحط يسيج ذواتنا ، ويعزلنا عن الحياة الادبية ، ويجثم علينا بمناخ صحراوي جذب .

وكل الذي يجب ان يقوله مؤمن برسالة الكلمة في مثل هذا المناخ العقيم هو الدعوة الى الانقاذ .

الفكر الاجتماعي في العصور الاسلامية

للأستاذ : العربي محمد الزنايدي

ان المتعمق في دراسة ما بين ايدينا من تراثنا الفكري الذي نما في أحضان مبادىء الاسلام الحنيف ، يجد نفسه وجها لوجه أمام تلك الافكار الاجتماعية التي ينادي بها المصلحون اليوم ويطالبون بالتشبث بها وبتطبيقها لاسعاد هذا العالم .

كانت المبادىء التي نادى بها الاسلام والتي وردت على الخصوص في القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة مسهمة في الفكر الاجتماعي بقسط كبير .

فالقصص التي يذكرها القرآن ، والتي وردت في الاحاديث ، والاستنتاجات التي كانت تبنى عليها ، تمثل جزءا هاما من علم الاجتماع الوصفي بالنسبة للمجتمعات والعصور التي ذكرت بشأنها .

كما كان لربط القرآن الكريم في معظم القصص والحكم التي ذكرها بين فساد الحال وسوء الخلق او معصية الانبياء والرسل، تأكيد للربط في الظواهر الاجتماعية بين السبب والنتيجة او العلة والمعلول ، وبالتالي تأكيد بأن الظواهر الاجتماعية لا تسير فوضى وبدون نظام بل تسير وفق قواعد معينة ... ومن ذلك قوله تعالى : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »** وامثلة عديدة وردت في قصص آدم ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم .

وشملت الآيات القرآنية تنظيما اجتماعيا شاملا في نواحي الاسرة والاقتصاد والدين والسياسة والقانون ... بل والنواحي الاخلاقية والنفسية والعلمية والفنية . وكانت بهذا سببا في اثارة عدد لا يحصى من الدراسات الاجتماعية التي تناولت هذه النواحي المختلفة وحكمة تنظيمها سواء في العصر الاسلامي الاول او في العصور اللاحقة .

وكان مبدا الزكاة الذي يعتبر من المبادىء الرئيسية الخمسة للدين الاسلامي الى جانب بعض القواعد الاجتماعية والقضائية الاخرى مؤديا الى ظهور ما نسميه اليوم باسم « البحث الاجتماعي » ، فلم تكن الزكاة تعطى بنص الحديث « لكل مدع لفاقه » بل كان ثمة بحوث اجتماعية يقوم بها المعنيون بالامور للتأكد من ان الشخص الذي يطلب الزكاة يندرج تحت احدى الطوائف الثمانية التي تنطبق عليها الزكاة ؛ كما كان ثمة كشوف او بيانات يدون فيها اسماء المستحقين وعددهم .

ولا شك ان الاسلام قد أسس القاعدة الاساسية الاولى في الفكر الاجتماعي الديني بفكرته عن وحدة الاله وهي الوحدانية التي صورها الاسلام في صورة قد لا نجد لها مثيلا بين الفلسفات الدينية المختلفة ، فادى هذا الى نشأة علوم كثيرة فيما بعد هي من صميم الثقافة الاسلامية ، مثل علم التوحيد الذي يسمى علم الكلام ايضا وغيره من العلوم التي خدمت كثيرا من الافكار الدينية والفلسفية والاجتماعية مثل فكرة العدل الالهي والعدل الانساني وفكرة الخير والعلاقة بين الانسان وربه وبين الانسان واخيه الانسان .

وكان الاسلام عاملا قويا على بعث مبدا الصيرورة والتغير ، فلقد اشار القرآن والحديث في اكثر من موضع الى الاختلافات بين المجتمعات المختلفة ، في اللغات او الالسنة والالوان والعادات والقوانين ... والاسلام بهذا انما كان يقضي على النزعات الدقماطية التوكيدية التي لم يكن اصحابها يتصورون وجود نظم تخالف النظم التي عهدوها، ولاشك ان فكرة التغير هذه سيكون لها اثرها في العهد الحديث .

وهناك كثير من المفكرين يعتقدون ان الاسلام قد اتى بروح وضعية علمية ، وهذه الروح تتجلى فى كثير من مظاهر الاسلام كقوله بالسببية التي اشرنا اليها ، وكاستخدامه للاستدلال والاستقراء وقواعد المنطق والعقل عامة التي تتضح فى كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى : **« قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »** او **« هل عندكم من علم فتخرجوه لنا »** . هذا الى جانب الدلائل او الآيات التي كان يأتي بها للتدليل على صدق الدعوة التي يدعو اليها .

وتبدو هذه النزعة الوضعية العلمية فيما اورده الاسلام خاصة بالقضاء والقدر ، فالقضاء والقدر فى الاسلام ليس يعني – كما ظن كثير من الناس والدهماء خطأ – ان الانسان يتواكل ويترك كل شيء لله ، ولكنه يعني « ان كل شيء يسير حسب قضاء وقدر خاصين » اي ان الامور تسير فى المجتمع الانساني والعالم الطبيعي الفيزيقي وفق قواعد ومقاييس دقيقة وتقديرات معينة لا تتعداها ، ولابد لمن يريد الوصول الى غاية معينة من ان يسلك سبيلها لكي يصل اليها – وهذا هو الاساس الاول الذي تقوم عليه الدراسات الاجتماعية الحديثة من دراسة للواقع الاجتماعي بقصد اكتشاف القواعد والقوانين التي يخضع لها ، كما هي الحال فى الدراسات الفزيقية والعلمية كالطبيعة والكيمياء .

وغني عن البيان ان الاسلام ايضا قد اتى بهذه الروح فى مجال البحوث العلمية الخاصة بالطبيعيات فى مواضع وآيات متعددة كما يتضح مثلا من قوله تعالى : **« والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون »** .

وفى مجال الفكر السياسي اخذ الاسلام بالنظام الديموقراطي (1) بما نادى به من ضرورة (الشورى) والنزول عند رأي الاغلبية ، والحرية بجميع انواعها ضمن قوانينه المحكمة ، كما نادى بمبدأ المساواة السياسية بين الافراد وان كان قد سمح بنظام الرق كضرورة اجتماعية بعد ان اوصد معظم مصادره وفتح ابوابا كثيرة للعتق والتحرير ، وسوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات وان كان قد خص الرجل برئاسة الاسرة ولم يكن ذلك تفضيلا للذكر على الانثى بل كان لان الاسلام يسير على نظام الاسرة الابوية لا الامية ، فلم يكن اذن ثمة تفضيل بدليل ان المرأة تحل محل الرجل فى الرئاسة فى بعض الظروف التي تحول بينه وبين ممارسة سلطاته . ولعل المسؤولية الكبيرة التي وضعها على كاهل الرجل كرئيس للاسرة هي التي حدت بالمشرع الاسلامي الى منح الرجل نصيبا اوفر فى الميراث فى معظم الاحيان .

وفيما يتعلق بالملكية الفردية ، فلقد نادى بها الاسلام بصفتها ملكية ذات وظيفة اجتماعية ، اذ شرط التمتع بها ان يقوم صاحبها بما تفرضه عليه وتقترن به من اعباء اجتماعية كتأدية الزكاة مثلا وهذا النوع من الملكية هو ما سينادى به كثير من المفكرين الاشتراكيين فى العصور الحديثة ولاسيما فى القرنين التاسع عشر والعشرين من ضرورة تطبيق الملكية المقيدة او العدل الاجتماعي او غيرهما من المسميات المختلفة الدالة على نفس المعنى .

وهكذا نرى ان الاسلام بصفته دينا ودولة، نزل لهداية الناس فى دنياهم وآخرتهم قد اتى بنظام شامل لمختلف نواحي الحياة الاجتماعية وكل ما يمت اليها بصلة ، ومما لا مجال للجدال فيه ان هذا الدين العظيم قد كان بمثابة مصدر لافكار اجتماعية رائعة استقاها منه كثير من العلماء والمفكرين فى مختلف العصور ، كل حسب طاقته والى المدى الذي اسعفه عقله لبلوغه .

وتعتبر الحقبة ما بين منتصف القرن السابع حتى اوائل القرن الخامس عشر فترة ازدهار الفكر الاجتماعي الاسلامي وبلوغ هذا الفكر درجة عالية لا تقل عن التي وصل اليها المفكرون الاجتماعيون فى العصور الحديثة .

وكان الفتح الاول فى هذا الميدان على يد الخلفاء الراشدين ، وذلك ببيانهم لموقف الشريعة الاسلامية من النظم الاجتماعية التي كان يجدها المسلمون فى البلاد

---

1) الديموقراطية ننظر اليها بمعنى اوسع مع كونها مجرد شكل سياسي او انها طريق للحكم وسن القوانين وتنفيذ اعمال الحكومة بشكل يقوم به اعضاء منتخبون ، فهي وان كانت حقا كذلك الا انها اوسع من مجرد ذلك . ولقد فسرها المربي الفيلسوف ديوي بقوله « الديموقراطية طريقة للحياة اجتماعية وفردية – فالديموقراطية كطريقة للحياة ، يمكن ان يعبر عنها فى نظري بانها الحاجة لمشاركة كل كائن بشري ناضج فى تكوين القيم التي تنظم حياة الافراد بعضهم مع بعض والتي هي ضرورة لسعادة المجتمع عامة ولرقي الكائنات البشرية الى مواطنين اجتماعيين » (نقلا عن الدكتور علي احمد فؤاد ، محاضرات فى النهوض بالمجتمع المحلي سنة 1957 ص 31) .

التي ينتشر فيها الاسلام ، ومحاولة التوفيق بينها وبين النظم الاسلامية او بابدالها بنظم اسلامية سواء دفعة واحدة او على مراحل ، كما فعل امير المؤمنين عمر بن الخطاب مثلا في النظم الادارية والمالية وفي تحليله لفكرة العدل . . . وبذلك فتحوا مجالا للاجتهاد أو الفقه ، وهو الذي سيلعب اكبر دور – فيما بعد – في محاولة التوفيق بين القواعد العامة والخاصة في التشريع الاسلامي وبين مقتضيات المجتمعات التي ينتشر فيها مع ما يكتنفها من ظروف اجتماعية وطبيعية متباينة . ولا شك ان الفقه الاسلامي يحمل في طياته دلالات كبرى بالنسبة للدراسات الاجتماعية ، فهو يدل على ان النظام الاجتماعي لا يجب ان يفهم على انه شيء جامد لا يتحرك، وليس معنى هذا ان الفقه يقول بتغير النظام الديني من مجتمع لآخر بل معناه اننا نستطيع تطبيق النظام الديني الاسلامي مع مراعاة الظروف الاجتماعية الخاصة لكل مجتمع . لان العبرة في الاسلام بالغاية، وغاية كل تشريع اسلامي هي مصلحة الافراد والمجتمع « فما شرع الله حكما في الاسلام الا لكفالة امر للناس او لرفع الحرج عنهم او لتكميلهم وتجميل حياتهم » . بل خرج بعض الفقهاء من ذلك الى « ان كل تقنين يحقق مصالح الناس او يقيم العدل بينهم هو تقنين مشروع وهو من شرع الله من وجهة نظر الشريعة الاسلامية » . فالشريعة الاسلامية بمشرعيها وفقهائها قد قضت على الفكرة القائلة بجمود النظم الاجتماعية الدينية ، وتلك فكرة جديدة ما نحسب ان دينا آخر قد تعرض لها بنفس العمق، ولقد لجأ الى هذه الفكرة المفكرون المحدثون وسادت بينهم فلسفة المصالح ، ولكن بعد جهود مضنية وبعد ان بليت اوروبا بكوارث تأثر لها العالم كله وذلك نتيجة لتعلقها بالافكار الدينية واخذها على علاتها دون تمحيصها ومحاولة التوفيق بينها وبين الواقع الاجتماعي المطبقة فيه (1) . وكانت نقطة انطلاق اوروبا حين ثارت على هذا التفكير العقيم .

وكما ابرز المشرعون والفقهاء الاسلاميون فكرة التطور والصيرورة واختلاف الظروف الاجتماعية . . وما يصحب ذلك من ضرورة مرونة الدين ليلائم مقتضيات المكان والزمان وهو الشيء الذي يتوفر عليه دين الاسلام السمح مراعاة لمصالح الفرد والجماعة كذلك اسهم المؤرخون الاسلاميون والرحالة والجغرافيون من امثال الطبري والمسعودي وابن خلدون من المؤرخين وابن جبير والاصطخري وابن بطوطة المغربي من الرحالة والجغرافيين في ابراز فكرة تباين النظم الاجتماعية في المجتمعات المختلفة والبحث في اسباب هذا الاختلاف . . . فاسهموا في ذلك في الدراسات الانتروبولوجية ودراسة الاجناس والدراسات الحضارية بقسط كبير . ولا شك ان هذه الدراسات كلها كانت ممهدة لظهور علم الاجتماع من حيث انها قادت الفكرة الى البحث في الظواهر الاجتماعية وعللها واستنباط القوانين الخاصة بها ويقول في هذا ابو الحسن المسعودي : « وكان ما دعاني الى تاليف كتابي هذا في التاريخ . . احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء . . ولكل اقليم عجائب يقتصر على علمها اهله ، وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى اليه من الاخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار ووزع ايامه بين تقاذف الاسفار ، واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه » (مروج الذهب للمسعودي) .

ويعتبر كتاب « آراء اهل المدينة الفاضلة » لابي نصر الفارابي مثالا طيبا لازدهار الفكر الاجتماعي الاسلامي ، ان هذا الكتاب يحتوي على فكرة ضخمة وهي المناداة بتكوين المجتمع العالمي ، تلك الفكرة التي لم تبعث الى الوجود الا منذ زمن قريب جدا . ويخلص من درس هذا الكتاب الى ان الفارابي قد فكر في « امم متحدة » قبل ساسة القرن العشرين بقرون .

يقسم الفارابي المجتمعات الانسانية الكاملة الى ثلاثة انواع : اولها واكملها « اجتماع الجماعة كلها في المعمورة » او المجتمع العالمي ، ثم المجتمع الاوسط وهو الذي يشمل امة ، ثم المجتمع الاصغر او المدينة . ويلاحظ هنا ان الفارابي متأثر بالفكرة الاسلامية وهي فكرة العالمية ، فالاسلام خاصة والاديان عامة تدعو دائما الى تحقيق فكرة العالمية وتمقت فكرة القوميات وتجزئة العالم الى دول متطاحنة ، فالفارابي اذن قد تنبأ باجتماع الامم كلها واتصالها بعضها ببعض واتحادها فكأنه رجل من رجال القرن العشرين يؤمن بالسلام ويثق

---

* يقول الدكتور احمد محمد خليفة مدير المعهد القومي للبحوث الجنائية بالقاهرة في هذا الصدد :
« . . ونحن نرى ان الشرائع المنسوبة للوحي الالهي يغلب عليها الجمود عادة اذ لا تتسع لكل التفصيلات التي يستلزمها التطبيق والتغير الاجتماعي ، ولكن الشريعة الاسلامية تمتاز بالمرونة التي ادت الى ظهور ثروة فقهية هائلة تسمح برعاية ما يخلقه التطور الاجتماعي من اعتبارات » .

برسالة منظمة الامم المتحدة (1) ... فلم يقتصر على تنظيم مدينة ضيقة كافلاطون وغيره بل فكر فى اتحاد الامم كلها (2) .

ان الفارابي يرى ان السعادة ممكنة على وجه الارض « اذا تعاون المجتمع على نيلها بالاعمال الفاضلة ... ان كل مدينة يمكن ان تنال بها السعادة، ولكن اكمل اجتماع انساني هو الاجتماع الذي يشتمل على جميع امم الارض ، واحسن دولة تنال بها السعادة هي الدولة الكبرى » .

ويرتفع الفكر الاجتماعي الاسلامي الى الذروة على يد العالم العظيم عبد الرحمن ابن خلدون ، وكفى ابن خلدون فخرا ان يكون اول من قام بانشاء علم الاجتماع على اسس وضعية سليمة ، لا تكاد تختلف عن الاسس التي قام عليها فى العصور الحديثة ، كما يعتبر ابن خلدون اول مؤسس حقيقي لفلسفة التاريخ . لذلك كان هذا العالم المغربي الكبير احق منا بالوقوف على جهوده الجبارة فى ميدان العلوم الاجتماعية وان كان هذا البحث لا يتسع طبعا لذكر فضله كله على تلك العلوم ، وهو الامر نفسه الذي حدا بنا ايضا الى عدم الاشارة الى تلك الاعمال الرائعة التي قام بها عدد من العلماء المسلمين مثل : ابن مسكويه وابن باجة وابن طفيل الاندلسي صاحب رواية « حي بن يقظان » .

تعتبر مقدمة ابن خلدون فى التاريخ اهم مؤلفاته التي كان لها صدى عميق وتأثير علمي ضخم . وفى هذا الكتاب القيم يبسط ابن خلدون فكره الاصيل فى انشاء علم الاجتماع ونظريته فى فلسفة التاريخ ، وهذه الدراسة هي التي اسهمت فيما بعد على ما يبدو فى تشكيل كثير من النظريات لعلماء الاجتماع فى اوروبا .

وتمخض فكر ابن خلدون عن هذه الافكار الطريفة عند دراساته لمؤلفات التاريخ للعلماء السابقين عليه مثل ابن اسحاق والطبري والمسعودي وغيرهم ، ووجد من دراساته هذه ان كتب التاريخ مليئة بالاخطاء التي لا يستطيع مفكر ان يكابر فيها (3) .

ودعا ذلك الرجل الى البحث عن الاسباب التي تقود المؤرخين الى الوقوع فى الخطأ فى كتاباتهم ، وقد هداه فكره الجبار الى اهم تلك الاسباب الا وهو « الجهل بطبائع الاحوال والعمران ، فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته ، وفيما يعرض له من احواله ، فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال فى الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تميز الصدق من الكذب ، وهذا ابلغ فى التمحيص من كل وجه يعرض » فالسبب الاكبر اذن فى اخطاء التاريخ ان المؤرخ يجهل طبيعة النظم الاجتماعية ، والقواعد التي تخضع لها هذه النظم، ومن هنا كان لابد من تخصيص علم لدراسة العمران او الاجتماع يدرسه المؤرخ قبل ان يبدأ عمله حتى يتنكب الوقوع فى الاخطاء . وهكذا نجد ابن خلدون قد توصل الى انشاء علم الاجتماع وهو بصدد البحث عن علاج لمشكلة الخطأ فى التاريخ وهو هنا يشبه اوكوست كونت مؤسس علم الاجتماع عند الاوروبيين الذي توصل الى انشاء هذا العلم وهو يحاول الوصول الى حلول للمشكلات السياسية والاجتماعية التي احاطت باوروبا فى عصره .

ويحدد ابن خلدون موضوع علمه الجديد بقوله : « ان ننظر فى الاجتماع البشري وهو العمران ، ونميز ما يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما يمكن ان يعرض له .. وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني ، وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شان كل علم من العلوم وضعيا كان او عقليا » ثم يرسم ابن خلدون المنهج الذي يتبع فى هذا العلم وهو استخدام القواعد المنطقية « وقياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب » (4) ، والاستقراء ، مع الافادة من

---

1) فى رأيي ان رسالة هيأة الامم المتحدة هي (تمدين) العلاقات بين الدول ، تلك العلاقات التي تقوم الآن على اساس قانون الغاب ويسودها مبدأ التقابل والمعاملة بالمثل والاخذ بالثأر . فالواقع ان الثأر الذي ما تزال تدين به بعض الجماعات هو مـا تأخذ به الجماعات الدولية الآن الى حد كبير ، وعلى القانون الدولي ان يصل الى جعل العقاب والجزاء فى يد طرف ثالث قادر اعني هيئة الامم المتحدة .

2) ندوى حافظ طوقان ، الفارابي ، مجلة العربي ، العدد الثالث ص 62 .

3) للاطلاع على امثلة ونماذج لهذه الاخطاء انظر مقدمة ابن خلدون صفحات 5 و 6 و 7 و 8 و9 .

4) قرأ ابن خلدون فى احد المؤلفات التاريخية انه عند بناء الاسكندر للاسكندرية كانت الجنيات تطلع من البحر ليلا لتهدم ما بني من المدينة بالنهار على حين غفلة من اهلها ، فما كان من الاسكندر الا ان ينزل الى البحر فى تابوت من الزجاج لعدة ايام ليرى كيف يكون شكل هذه الجنيات . لم يرض ابن خلدون بالنقل والرواية عند التأليف كما كان يفعل المقريزي بل نزل بفكره الى الواقع وتشكك واخذ يمحص مثل هذا الخبر بالرجوع الى طبائع العمران والبشر ودراستها بشكل موضوعي علمي بعيد عن الخيال وينطبق على ما نراه فى واقعنا الاجتماعي .

الرحلات وما يراه الباحث فيها رؤية العين ، ومن المؤلفات التي تعالج الموضوع المدروس ، وهذه القواعد بالذات هي التي يتبعها اليوم الباحث الاجتماعي .

ويفرد ابن خلدون جزءا كبيرا من مقدمته لدراسة فروع العلم الجديد فيقول في مستهل هذه الدراسة : «ونحن الآن نبين في هذا الكتاب مايعرض للبشر في اجتماعهم من احوال للعمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع ، بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وينـدفع بها الاوهام وترفع الشكوك ... » واستوعبت فصول هذه الدراسة كل فروع علم الاجتماع المعروفة عند الاجتماعيين المحدثين وهي على التوالي في العمران البشري واصنافه ، وفي العمران البدوي والامم الوحشية وفي الدول والخلافة والملك ، وفي العمران الحضري والبلاد والامصار ، وفي الصنائع والمعاش والكسب ، وفي العلوم واكتسابها وتعلمها ، وهي تقابل عند المحدثين علم الاجتماع العام والنفسي ، والاجتماع البشري وعلم الانثروبولوجيا والاجتماع الثقافي والاجتماع السياسي ، والاجتماع الحضري والريفي والاجتماع الاقتصادي ، واخيرا الاجتماع اللغوي والديني والتربوي على الترتيب .

والمجتمع الانساني – فيما يرى ابن خلدون – ضروري للانسان لان الانسان مدني بالطبع (1) والنظم الاجتماعية تتغير من مجتمع لآخر ، وفي نفس المجتمع تختلف من فترة لاخرى وفق ما يكتنف المجتمع من عوامل تضاريسية ومناخية وثقافية ، ويسهب ابن خلدون في بيان تأثير هذه العوامل على المجتمع والفرد سواء في النواحي الجسمية والعقلية . ثم يبرز بعد ذلك فكرة التطور الاجتماعي مستخرجا من دراساته للمجتمعات (2) قانونه الهام عن التطور الاجتماعي الذي يعتبر فيما يرى معظم العلماء اول بحث جدي في فلسفة التاريخ .

يقول ابن خلدون ان المجتمع البشري شأنه شأن الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته ، وان للدول اعمارا كالاشخاص سواء بسواء ...

تلك هي بعض النماذج الهامة التي اسهم بها ابن خلدون في الفكر الاجتماعي ولذلك يعتبر ابا علم الاجتماع واول من صاغ فلسفة التاريخ ، ذلك ان ابن خلدون يعرض كل هذه النظريات مع التدليل بادلة تاريخية واجتماعية ونفسية من جميع المجتمعات التي كانت معروفة في عصره سواء في ذلك المجتمعات القديمة او المعاصرة له ... وكان المفكر العظيم يلجأ الى ضرب الامثلة لتقريب نظرياته الجديدة الى الافهام .

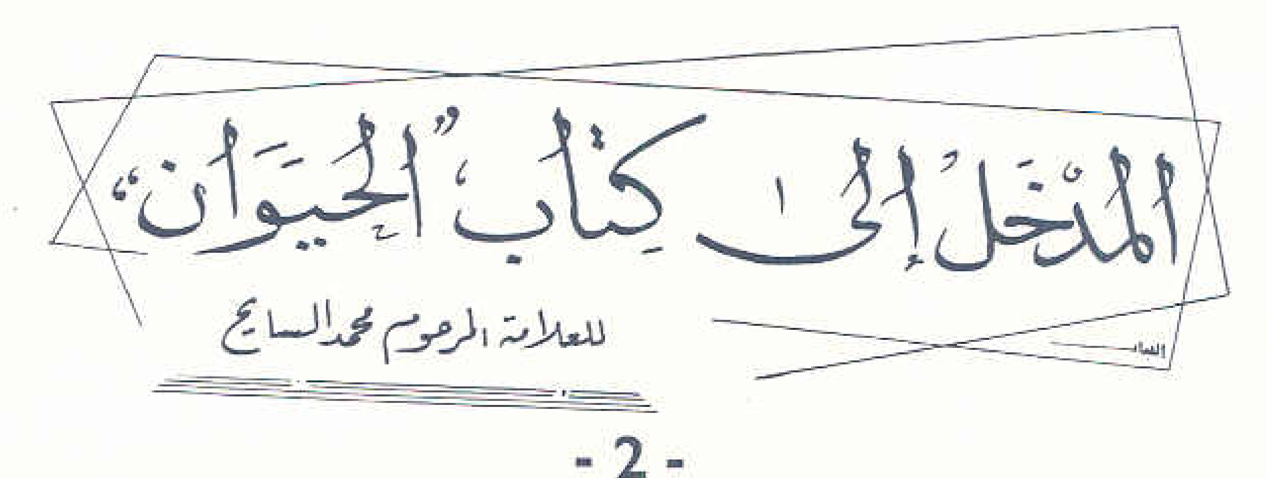
تلك هي خلاصة ما قدمه اجدادنا للعالم وللاوروبا بالذات من معارف ونظريات عن المجتمع والحياة الاجتماعية هادفين من ذلك اخيرا الى اسعاد البشر ، وتكفينا هذه الخلاصة لنتيقن من ان علماء القرنين السابع عشر والثامن عشر من امثال روسو ومنتسكيو وفولتير قد تأثروا بافكار آبائنا واستعانوا بها في نهضتهم الاجتماعية ... والا فكيف يمكن تفسير هذا التشابه الداعي الى الدهشة بين افكار اولائك وهؤلاء .

ان الموازنة بين آراء ابن خلدون وآراء منتسكيو وفولتير وامثالهما تجعلنا نتساءل عما اذا كان هؤلاء العلماء قد تأثروا بابن خلدون ، ان ذلك ليس بمستبعد لاسيما وقد انتقل اثر الفلسفة والفكر العربيين الى العالم الاوروبي عن طريق المغرب وبلاد الاندلس وهي البقاع التي الف فيها ابن خلدون مقدمته واذا كانت البحوث التاريخية لم تصل بعد الى اكتشاف ترجمة للمقدمة تسمح لنا بالتأكد من تأثر منتسكيو وامثاله بابن خلدون فان الصلات بين اوروبا والعالم العربي عن طريق المغرب والاندلس كانت وثيقة في عصر ابن خلدون والعصور اللاحقة عليه مباشرة وهي صلات سياسية وادبية وثقافية ودينية ، بحيث لا يستبعد ان يكون التأثير قد انتقل عن طريق اشخاص او سفراء أو رجال دين انتقلوا من الاندلس الى اوروبا او قد تكون بعض ترجمات المقدمة في هذا العصر قد فقدت ولم تصل الينا، على كل حال اذا ثبت وجود مثل هذه الترجمات فان ابن خلدون على الخصوص يكون قد اثر في الفكر الاجتماعي الاوروبي كله .

---

1) ان شريعة الحياة في الكائنات كما اوضح داروين في مذهبه عن التطور هي التنازع على البقاء وبقاء الاصلح . ينسب الماديون افعال الخالق الى الطبيعة تضليلا لاتباعهم فان كانت هذه الطبيعة خالقة مدبرة حكيمة فهذا صنع الله والواجب ان يسمى باسمائه الحسنى وفي نفس مقال الاستاذ بيير بوتي في هذا الصدد ما يرد هذا الخطأ على قائله . وقد سجلت الطبيعة كل كائن من مخلوقاتها بسلاح يخوض به معركة الحياة ، من قوة بدنية خارقة او سرعة فائقة او انياب حادة او اظلاف جارحة أو قدرة على التلون او التخفي الى غير ذلك . اما الانسان فلم يزود بشيء من هذا القبيل من القوى المادية ولكن وجد قوته وملاذه في العيش مع بني نوعه في جماعة ، الا ان الانسان يسمو سموا بينا على غيره من انواع الحيوان الذي يعيش في قطيع ولو اقتصرت الطبيعة على ذلك ما قدر للانسان الوجود ولكنها منحته الاستعداد الفطري للاندماج في الجماعة لا مجرد الدخول في اطارها هذا الاستعداد للاندماج في الجماعة هو الغريزة الاجتماعية .

2) وهنا تكمن الروح العلمية التي تميز ابن خلدون فهو قد استخلص قانونه التطوري من الوقائع الاجتماعية في المجتمعات المختلفة وفي ذلك يقول « واعتبر ذلك في الدول التي اخبارها في الصحف لديك ، تجد ما قلته لك من ذلك صحيحا من غير ريبة » المقدمة ص 82 .



- 2 -

من نقد الجاحظ

بعـــد ما حكى على السـنة اهل الهند ان ولـــد الكركدن اذا دنا وضعه اخرج راسه من بطن امه فاكل من اطراف الشجر فاذا شبع ادخل راسه قال : ولكـن العجب كل العجب ما ذكروا من اخراج ولد الكركـــدن راسه واعتلافه ثم ادخالها بعد الشبع والبطنة ولابـد اكرمك الله لما اكل من نجو فان بقي الولد ياكل ولا يروث فهذا عجب وان كان يروث في جوفها فهذا اعجب وانما جعلناه يروث حيث سموه حمارا وهذا مما ينبغي لنا ان نذكره في خصال الخصال اذا بلغ ذلك الباب ، ولا اقر ان الولد يخرج راسه من بطن امه حتى ياكل شبعه ثم يدخل راسه ولست اراه محالا ولا ممتنعا في القـدرة ولا في الطبيعة وارى جوازه مرهوبا غير مستحيل الا ان قلبي ليس يقبله وليس في كونه ظلم ولا عيب ولا خطـأ ولا تقصير في شيء من الصفات المحمودة ولم تجد القـرآن ينكره والاجماع يدفعه والله هو القادر دون خلقه ولست ابت بانكاره وان كان قلبي شديد الميل الى رده وهذا مما لا يعلمه الناس بالقياس ولا يعرف الا بالعيان الباهـــر والخبر المتظاهر ه . ولما نقل عن صاحب المنطق نبـــأ الطائر الذي يجلب الدار صيني ليفرش به عشه تلكأ في قوله وقال : لا اعرف الوجه في ان طائرا ينهض من وكره في الجبال او بفارس او باليمن فيؤم ويسمد نحو بـــلاد الدار صيني وهو لم يجاوز موضعه ولا قرب منه وليس يخلو هذا الطائر من ان يكون من الاوابد وان كان مـن القواطع فكيف يقطع الصحصحان الاملـس وبطـــون الاودية والهضاب والجبال بالتدويم في الاجواء وبالمضي على السمت لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقـــه واخرى فانه يجلب بمنقاره ورجليه ما يصير فراشا له ومهادا الا باختلاف الطويل وليس بالوطيء الوتير ولا هو له بطعام وان كنت لا اعرف العلة فلست انكر الامور من هذه الجهة . ه منه .

نظرية المعرفة عند الجاحظ

اي من اين جاءت الى الانســان هذه المعلومات وهذه المعارف التي تموج بين ثنايا ذهنه ، الجاحظ يــرى ان المعارف ضرورية طباع وليس شيء منها من افعال العباد وليس للعبد سوى الارادة ، وقضية المعرفة من اهــم القضايا الفلسفية ولهم فيها سبح طويل ويتلخص ذلك في مذاهب ثلاث اولها مذهب (لوك) وهو يرى ان جميع المعلومات انما يتصل بها الذهن بواسطة الحـواس وان الطفل في اول وجوده يكون ذهنه كصحيفة بيضاء نقية ساذجة ثم ينتقش فيها ما تنقله اليه الحواس . ثانيها مذهب (ديكارت) وهو يرى ان المعارف فطريـــة وان الطفل يبرز الى عالم الشهادة مطبوعا ببعض الآراء التي لا يمكن ان يكتسبها بالتجربة ولكن الفيلسوف (لبنيز) قرب بين المذهبين وجمع بينهما ، وحاصـل رأيه وهــو الراي الثالث ان الطفل يولد ومعه معرفة كامنة فيه الا انها لاتصل الى درجة الشعور الا اذا ايقظتها التجارب التي تنفذ اليها عن طريق الحواس ، وقد قال الجاحظ في كتاب الحيوان ان الله تعالى ما أعطى الانسان العقل الا للاعتبار والتفكير وما اعطاه المعرفة الا ليوثر الحق على هواه وما اعطاه الاستطاعة الا لالزام الحجة ، ولذا يلوح لنا ان مذهبه قريب من مذهب ديكارت .

مذهب الشك عند الجاحظ

الجاحظ يعلمك ان تشك لتستيقن كالفيلســوف ديكارت ولذا فهو وشيخه النظام المفتطران لهذا المذهب قبل ديكارت بعدة قرون . واليك نص كلامه في ذلك : وبعد هذا فاعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة لهـا لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له وتعلـم الشك في المشكوك فيه تعلما ، فلو لم يكن ذلك الا لتعرف التوقف ثم التثبت لقد كان ذلك مما يحتاج اليه ، ثم اعلم ان الشك في طبقات عند جميعهم ولم يجمعوا علـــى أن

اليقين طبقات في القوة والضعف ومما قال ابو الجهم للمكي : انا لا أكاد اشك . قال المكي : وانا لا أكاد اوقن ، ففخر عليه المكي بالشك في مواضع الشك كما فخر عليه ابن الجهم باليقين في مواضع اليقين ، وقال ابو اسحاق نازعت الملحدين والشكاك فوجدت الشكاك ابصر بجواهر الكلام من اصحاب الجحود ، وقال ابو اسحاق الشاك اقرب اليك من الجاحد ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ولم ينتقل احد عن اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك انظر بقيته ... وقد ذكر هذه النظرية ايضا الغزالي بعد الجاحظ يعلم هذا من تصدير رسالة (حي بن يقظان) هذا ولست اقول : ان ديكارت انتحل هذا الراي ، وانما الذي اقول ان الجاحظ ادرك هذا الرأي قبل ديكارت والا فان ديكارت بين المنهج الذي هداه الى هذه النظرية بوضوح تام ، وقد كنت اسست رسالة وعنونتها بطريف الخبر في رد مبادىء ديكارت الى راي من غبر ، اوردت فيها المبادىء المنطقية التي ارتآها اساسا لتفكيره مستغنيا بها عن المبادىء المنطقية الكثيرة كما اوضح ذلك في كتابه المنهج كما اوردت رايه في نظرية الخلق المستمر (او قل تجدد الجواهر) التي قررها الحاتمي في فصوصه ولا سيما في الفص السليماني (1) وقد كان ديكارت اذا ذكر له ما ينسب له معاصروه من الانتحال بين المنهج الذي اهتدى به الى تلك النظرية والطريق التي افضت به اليها .

التثبت في النظر وتخليصه من الالف للوصول الى الحقيقة او قل المذهب التجريبي

قال وانا ازعم ان الناس يحتاجون بديا الى طبيعة ثم الى معرفة ثم الى انصاف ، واول ما ينبغي ان يبتدىء به صاحب الانصاف امره ان لا يعطي نفسه فوق حقها وان لا يضعها دون مكانها وان يتحفظ من شيئين فان نجاته لا تتم الا بالتحفظ منهما احدهما تهمة الالف والاخرى تهمة السابق الى القلب وذكر بص 100 ج 5 ان داء المنشا والتقليد داء لا يحسن علاجه جالينوس وبص 144 ج 4 اثر التقليد (2) والعادة في العقيدة ، ونحن اذا امعنا النظر في هذه الخطة التي وضعها الجاحظ اساسا للتفكير الصحيح لمعت لنا منه عناصر المذهب التجريبي (3) الذي يزعمون ان الفيلسوف بيكون الانجليزي هو ممهد اصوله ، ولو درسنا الاوهام الاربعة التي قرر بيكون وهي : اوهام الجنس ، واوهام الكهف، واوهام السوق ، واوهام المسرح ، وقابلناها بما نصح الجاحظ بوجوب التحفظ منه لتجلى لنا انه اول فيلسوف او من اول الفلاسفة الذين رموا الى تلك الاهداف فان في آراء شيخه النظام بعضا من تلك العناصر .

العالم المصيب في نظر الجاحظ

العالم في نظره هو الذي يجمع بين الدين والفلسفة ، فقد قال : والعالم عندنا هو الذي يجمعهما أي الدين والفلسفة والمصيب هو الذي يجمع بين تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع حقائقها من الاعمال .

اما الجمع بين الدين والفلسفة فقد حاوله غير واحد من فلاسفة الاسلام فيهم ابن رشد في كتاب : «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» وابن الطفيل في رسالة حي بن يقظان والفخر الرازي وغيرهم ، واعظم فيلسوف سعى الى ذلك هو ابن سينا قال المازوني اعظم فيلسوف حاول رد اصول العقائد الى علم الفلسفة هو ابن سينا ، قال وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره ، وممن تصدى لذلك وافرغ له جهد معارفه اصحاب رسائل اخوان الصفا .

وقد ذكرت في محاضرة الرازي ، ان هذه المحاولة من الاعمال العقيمة فان ما كان ثابتا ثبوتا يقينيا لا يمكن ان يتصادم مع الدين بحال وما كان من حيز الآراء والظنون التي قد تطفو اليوم وترسب الغد لا معنى بمقارنته بما هو ثابت دينيا لاسيما ووجهة الدين غير وجهة الفلسفة ، فهذه مسئلة الافلاك وما ارتأى اليونانيون في حقائقها واثبات النفوس لها اصبح ذلك كله من الاوهام والخيالات في نظر العلم الصحيح على ان جملة معارفهم في الهيئة اصبحت اليوم كهباء منثور في زوايا العلم ، والاخظ بالخصوص على رسائل اخوان الصفا فقد اشتملت على فلسفة فيثاغورس التي هي ارك المذاهب الفلسفية وارذلها .

---

(1) قد كان هذا الراي معروفا عند بعض حكماء اليونان فانظر في كتاب : القصة اليونانية .

(2) في كتاب علم الاجتماع تأليف نقولا الحداد مبحث مهم في تاثير التقاليد في النفوس فانظر ص 118 ج 2 منه .

(3) هكذا ينسبونه الى التجربة منهيا .

وبكتاب فائدة افلاطون ان في التوفيق بين الفلاسفة والدين خروجا عن الحكمة والدين معا واغضاب اهل الدين واهل الحكمة معا فانظروه ، وأما اعطاء الطبائع حقائقها من الاعمال مع تحقيق التوحيد وان ليس لها من تاثير الا القوة التي أودعها الله فيها وهو جلت علاه خالق الكل فذاك من صواب العلم كما يراه الجاحظ وقد اجاد القول في الفصل المهم ، والامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والالوسي في تفسيره وابن رشد في كتابه الكشف عن مناهج الادلة الذي وضعه لنقد مذهب الاشاعرة وغيرهم .

نظر الجاحظ في التفسير

قد علمنا ان المتكلمين من المعتزلة عنوا بالفلسفة اليونانية وقد ذكر عياض انهم بنوا اكثر مذاهبهم في الالاهيات على منزعها كما علمنا انهم اول من افرغ الجدل للرد على المخالف في القوالب المنطقية واول من حارب بهذا السلاح الجديد في دولة العرب فكان من نتائج ذلك ان تكيف تفكيرهم بالتدقيق في النظر وعمق الدراسة .

والجاحظ من صدورهم وممن امتاز بمذهب خاص في المذاهب الكلامية ينتسب اليه فلا محالة ان رياضته الفكرية ودربته العقلية تستخبره الى ان يعرض ما يتلقى من اهل التفسير والاخبار الذين يلقون الكلام عن عواهنه ولا يدرسون ما يروون على ضوء العلم والتفكير المنطقي الصارم كما انه ينتقد عليهم الاغراب في التعبير والخروج عن مناهج اللغة البينة ، وسنده في ذلك ان القرءان نزل بلغة العرب وعلى غرار اساليبهم وعلى المعاني المتعارفة بينهم ولذلك لا يرضيه الا تفسير يقد من اديم العروبة وقد قال عن النظام لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامة ، واجابوا في كل مسالة فان كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير اساس ، وكلما كان المفسر اغرب عندهم كان احب اليهم وليكن عندكم عكرمة والكلبي والسدي والضحاك ومقاتل ابن سليمان وابو بكر الاصم في سبيل واحدة فكيف اثق بتفسير واسكن الى صوابهم وقد قالوا في قوله عز وجل وان (المساجد لله) ان الله تعالى لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلي فيها بل انما عنى الجباه وكل ما سجد الناس عليه من يد ورجل وجبهة وانف وثفنة وقالوا في قوله تعالى (**افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت**) انه ليس يعني الجمال والنوق وانما يعني السحاب . انظر بقيته . وقال لما اورد ما زعم ناس في تفسير قوله تعالى (**طلعها كانه رؤوس الشياطين**) من انه ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه : والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا ما عنى الا رؤوس شياطين معروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم ، والعرب وان لم يكونوا يعرفونهم بالرؤية فالكلام مطبوع على غرار قول امرىء القيس :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي
ومسنونة زرق كانياب اغوال

كما ان هوادة كثير من اهل التفسير في ايراد الاحاديث من غير تمييز بين الصحيح والسقيم وتتابعهم في الاسرائليات مما تعاه الناس عليهم قديما وحديثا . ففي مقدمة الشرح الكبير للشيخ عبد الرؤوف المناوي على الجامع الصغير نقلا عن ابن الكمال : كتب التفسير مشحونة بالاحاديث الموضوعة وكذا كتب اكابر الفقهاء فان الصدر الاول من اتباع المجتهدين لم يعتنوا بضبط التخريج وتمييز الصحيح من غيره فوقعوا في الحرج بنسبة احاديث كثيرة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفرعوا عنها كثيرا من الاحكام مع ضعفها بل ربما دخل عليهم الموضوع (1) .

وانظر ما عند ابن خلدون في مقدمته مبحث التفسير فقد بين السبب الذي به شحنت كتب التفسير بالاسرائليات وذكر ان اهل التوراة الذين كانوا بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية .

هذا ونظرية الجاحظ الاساسية في التفسير مهدت السبيل الى ظهور مثل الزمخشري الذي اخذ على نفسه الا يفسر التنزيل الا بما هو جار على الذوق العربي الصميم وان كان قد ضعف عن نقد ما اورد من احاديث حيث ان ذلك ليس من فنه : وكل امر له قوم به عرفوا فاندب لكل مهم اهل بلواه .

---

1) لمعرفة قيمة الاحاديث التي يحتج بها الفقهاء يجب ان يرجع الى كتاب (التلخيص الحبير) للحافظ ابن حجر بوأه الله غرف الجنة .

وقد انتدب للنظر في احاديثه وتخريجها وبيان قيمتها عند اهل الحديث امام الفن الجاحظ وابن حجر في موضوع افرده لها كما انه اي الزمخشري ربما استجره مذهبه ورايه الكلامي الى تاويل بعض الآي عليه وصبها على قالبه الامر الذي ننتقده عليه بحدة فان القرءان يجب ان يكون فوق الجميع وقد تكفل تاس بمناقشته في ذلك واستخراج اعتزالاته التي دسها في تفسيره بالمناقش ، هذا وان اردتم ان تعرفوا اسلوب الجاحظ في التفسير فانظروا كلامه في الحيوان على هذه الآيات :

فمنهم من يمشي على رجليه الآية ص 90 ج 4

وعلم آدم الاسماء كلها ص 55 ج 5

علمنا منطق الطير 7

استشكالات وجوابها

الاقتصار على ذكر لحم الخنزير في تحريم جملته .

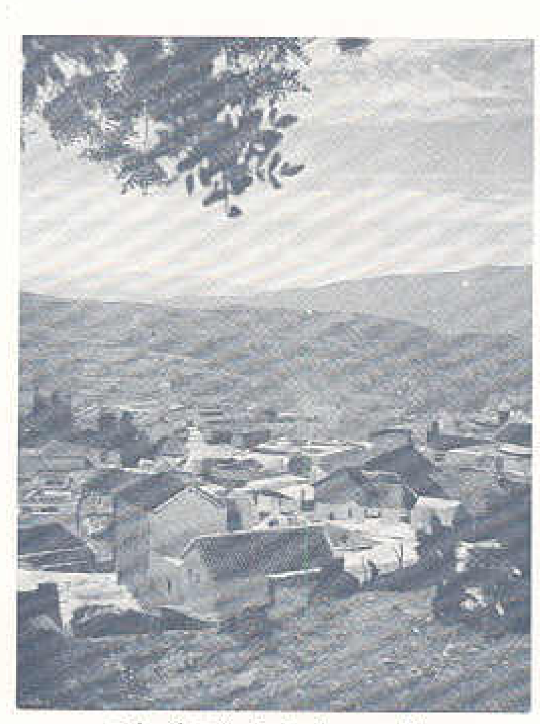
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته .

وفي قصة الهدهد وانبائه سليمان بامر سبا .

طعن بعض الملحدين في ءاية العسل ورده ص 128 ج 5 .

احتجاجه من القرءان على بعض آرائه المذهبية كالاحتجاج على ان الاستطاعة قبل الفعل ص 70 ج 2 .

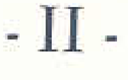
« يتبع »



منظر عام لمدينة شفشاون

نشأة الفن الاسلامي وأصوله وتأثيره على فنون أوربا

للأستاذ عثمان عثمان اسماعيل





عوامل تسرب الفنون الاسلامية الى اوربا

الحق انه اتيح للفنون الاسلامية ان تؤدي ما عليها من دين للفنون التي سبقتها عند ما اثرت بدورها فى الفنون الغربية منذ العصور الوسطى . وقد كان ذلك عن طريقين رئيسيين : طريق السلم وطريق الحرب .

فمن طريق السلم عرف الاروبيون الفن الاسلامي عند حجهم لبيت المقدس عندما كان تأثير الدين عظيما فى النفوس خلال العصور الوسطى . كما ان التجارة بين موانىء مصر والشام وآسيا الصغرى وبين موانىء ايطاليا وجنوب فرنسا كانت زاهرة الى حد بعيد بالاضافة الى العلائق التجارية بين الامم الاسلامية وبين الروسيا ووسط اروبا وشماليها، وتشير كتب الرحلات وتقويم البلدان الى وصول بعض التجار المسلمين الى اروبا الوسطى . وبهذا وصلت الى اسواق اروبا تحف اسلامية كثيرة لتسد حاجة القوم لها ، فتأثروا بهذه الواردات واخذوا يقلدونها فكان هذا عاملا على تطور الفنون والصناعات تطورا مباشرا . وقد ساعد على هذا التسرب تلك الهدايا التي كان يبعث بها سلاطين المسلمين وامراؤهم فى المناسبات المختلفة الى ملوك اروبا وامرائها .

وعن طريق الحرب زادت معرفة الاروبيين بالفن الاسلامي .

فبفتح الاندلس انبعثت المدنية الاسلامية واصبحت قرطبة فى القرن الرابع الهجري اكثر المدن فى اروبا ازدهارا واعظمها مدنية . وعندما جاء المرابطون والموحدون بحماسهم الديني الشديد هاجر المستعربون من بني الاندلس الى الشمال فنقلوا معهم كثيرا من عادات المسلمين وازيائهم وصناعاتهم ، وعندما افل نجم المسلمين وتقلص نفوذ العرب دخل كثير منهم تحت سلطان المسيحيين فصاروا يعلمون الملوك والامراء الاسبان وينشرون اساليبهم الفنية .

ولقد كان لهؤلاء المدجنين او المسلمين الذين دخلوا خدمة المسيحيين آثار تذكر فى ميدان العمارة اهمها قصر اشبيلية L'Alcaaz الذي بنوه للملك بدرو سنة 1360 وظل مقرا للاسرة المالكة الاسبانية حتى اعلان الجمهورية فاصبح متحفا يعجب الزائرون بعمارته وبما جمعه فيه ملوك اسبانيا من تحف اسلامية نادرة .

قدر خزفي من الاندلسي المغربي صنع بمنيشة قرب بلنسية اوائل ق 9 هـ حيث استمر المسيحيون على نهج الخزافين المسلمين (بلنسية بايدي المسيحيين منذ 636 هـ) فاستخدموا الكتابة الكوفية في الزخرفة . وعلى الاناء جزء (العا) من كلمة العافية مكرر. وتسمى تلك الاواني البرميلية الشكل باسم البارلو Albarello ولعلها من الكلمة العربية (البرنية) بمعنى وعاء لحفظ الادوية وهو الغرض من استخدامها في الشرق والذي استمر بايطاليا عن طريق تجارتها مع الشرق .

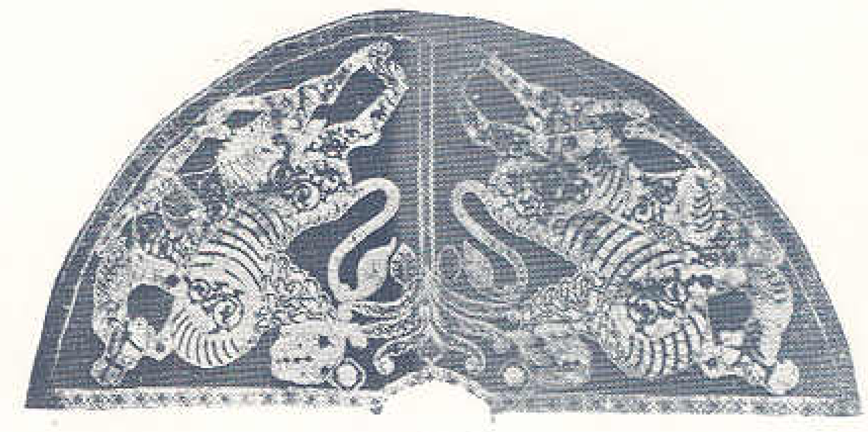
وفي صقلية التي فتحها المسلمون سنة 212 هـ اينعت الحضارة الاسلامية وظلت المدنية والفنون الاسلامية راسخة القدم حتى بعد ان فتحها النورمانديون سنة 482 هـ وانتشرت منها الاساليب الفنية الى جنوب ايطاليا وسائر انحاء القارة الاوروبية .

وبدا بالحروب الصليبية عهد جديد . فتلك العظمة والابهة التي كانت تنسب الى العرب وتبدو كانها ضرب من الخرافات اصبحت حقيقة ملموسة تراها المسيحية في دهشة واستغراب . وكانت تجمع الجيوش الصليبية من كل انحاء أوروبا للجهاد في الشرق ، فمن طريق هذا الاتصال وعن طريق الامارات الاوروبية التي اسسها الصليبيون في بعض بلاد الشام اتسعت دائرة معرفة الاوروبيين بالفن الاسلامي اتساعا عظيما ولعل وجود الرنوك عند امراء المسلمين في هذه الحروب كان اكبر عامل في تطور علم الرنوك والاشعرة عند الغربيين .

كما ان استيلاء الاتراك العثمانيين على القسطنطينية وامتداد سلطانهم على أمم البلقان وسكان جزائر بحر الارخبيل عمل على طبع فنون تلك الاقاليم بطابع شرقي كما كان مصدرا لكثير من الاساليب الفنية الاسلامية التي انتشرت من العالم التركي الى سائر انحاء القارة الاوروبية .

امثلة لبعض التاثيرات الاسلامية في فنون أوروبا

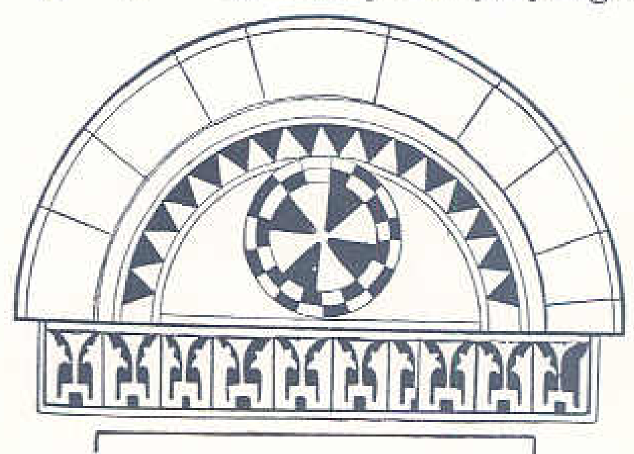
لما كانت الفنون الجميلة عند المسلمين تشمل فنون العمارة، والخط والنقش والنحت والتصوير مما يضيق به هذا البحث فسنترك الآن التاثيرات المعمارية، ونطرق امثلة للتاثيرات الاسلامية في ميادين الخط والزخرفة والنحت والتصوير، على ان كلا من هذه التاثيرات يحتاج الى بحث خاص به لاسيما اذا ادركنا ان نجاح المسلمين في كافة الفنون التي انطلقت فيها عبقريتهم لم يكن له مثيل في العصور الوسطى لدرجة ان اوروبا ظلت نحو الف سنة تنظر الى الفنون الاسلامية كانها اعجوبة من الاعاجيب بل يرجع الفضل في الابقاء على هذا التراث الجميل الى افتتان المسيحيين من الملوك والامراء ورجال الدين بجمال تلك التحف الاسلامية واستخدامهم لها فيما يعتزون به من مخلفات دينية ، فوجد الكثير من هذه



عباءة التتويج

سيطر العرب على تجارة الحرير وصناعته في العالم الوسيط وادخلوه صقلية واستمر تقدمه في العصر النورماندي فنسجت حرملة كنيسة من الحرير لروجر الثاني يجري على حافتها كتابة كوفية منسوجة بخيوط الذهب نقرأ فيها «مما عمل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والاجلال والمجد والكمال .. بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة » وقوام زخرفتها نخلة على جانبيها اسد ينقض على حمل ، تشير الى طرد النورمانديين للعرب من جزيرة صقلية .

التحف طريقه الى الكنائس والقصور حيث استقر هناك في حرز امين بعيدا عن عبث العابثين وكانما شاء القدر ان يبقي على هذا التراث لكي نجد فيه شاهدا صادقا على سمو الفن الاسلامي وبلوغه ذروة النضج الفني .



تقليد الكتابة الكوفية بكنيسة
سان بيردي روديز في هيرو بفرنسا
عماد الزخرفة جزء من كلمة (الله) الشائعة في الزخرفة الكتابية الاسلامية . فكرروا كتابة (اللامين) مع اضافة زخرفية بينهما كما نرى من الزخرفة الاسلامية .

الخط : ويعتبر فن الخط من اهم الميادين الفنية التي تجلت فيها عبقرية الفنان المسلم باجلى صورة ، فقد ابتكر ذهنه الخلاق طرزا شتى للكتابة لم يستوح فيها فنا من فنون الامم السابقة عليه ولا استلهم عنصرا من عناصر الزخرفة التي كانت معروفة للدول التي خالطها او اخضعها لسلطانه بل ابتدع هذه الطرز فاتقن الابداع وابتكرها فاجاد واحسن الابتكار واطلق العنان لخياله فلم يخذله خياله الخصب .

وليس ثمت فن استخدم الخط في الزخرفة بقدر ما استخدمه الفن الاسلامي، ذلك ان حروف الخط العربي اصلح من غيرها لهذا الغرض بما فيها من استقامة وانبساط وتقويس فيسهل وصل الخطوط العمودية والافقية فيه بالرسوم الزخرفية الاخرى وصلا يتجلى فيه الاتزان والابداع والجمال وقد اعجب به الغربيون وقلدوه ، ونقلوا بعض عباراته نقلا صادقا دون أن يعرفوا ما تحمله من المعاني ، ولم يمنعهم جهلهم هذا من ان يتخذوا من هذه العبارات اداة لزخرفة مصنوعاتهم (انظر صورة الصفحة القادمة)

ومن الادلة القديمة على معرفتهم شكله وجهلهم قراءته هو ذلك الدينار الموجود في المتحف البريطاني وكان قد امر بسكه الملك اوفا الذي كان يحكم مملكة مرسية MERCIA بالجزائر البريطانية في العهد الانجلوسكسوني ، ويحمل على احد وجهيه كتابة كوفية نصها (لا اله الا الله وحده لا شريك له) وعلى الوجه الآخر (عبارة لاتينية) نصها (Offa Rex) وحولها كتابة عربية يظهر فيها تاريخ القطعة الاصلية (157 هـ) كما نجد على حافة نفس الدينار عبارة (**محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) والمعروف أن هذه هي العبارة التي كانت تنقش على العملة الاسلامية منذ عصر عبد الملك ابن مروان اول من ضرب النقود الاسلامية الخالصة ولم يات بعد هذه العملة نظير لها على مثالها ولكنها في الوقت نفسه توقفنا على مدى انتشار العملة التي اخرجتها دور السكة الاسلامية .



دينار اوفا ركس : (اواخر ق 2هـ) عملة مسيحية تقليد للدينار العربي . عليها كتابات عربية منقولة من العملة الاسلامية مما يدل على انتشار العملة الاسلامية اولا ثم تأثر المسيحيين باوربا بها فضلا عن افتتانهم بجمال الكتابة العربية فنقلوها مع ما فيها من منافاة لعقيدتهم الدينية .

وفي المتحف المذكور مثال آخر لاتصال الغرب بصناعة الشرق يظهر في صليب ارلندي مطلي بالبرنز البراق من القرن التاسع الميلادي كتب في وسطه على الزجاج بالخط الكوفي عبارة عربية هي (باسم الله) .

والمهم انه في تلك الحالتين لا يمكن ان يكون الصناع الاوروبيون قد ادركوا معنى العبارة التي نقلوها وذلك لتنافرها مع عقيدتهم الدينية لانه لا يحتمل ان توضع مثل هذه الكتابة الاسلامية البحتة على عملة ملك مسيحي او تنقش على شارات مسيحية مقدسة لو ان الصناع او الملك كانوا يعرفون معناها ويفهمون مدلولها ، ولكنه الفن الاسلامي كما يتجلى في الكتابة الكوفية .

ومنذ ذلك الوقت اخذ نقل الحروف العربية والزخارف الاسلامية يزداد انتشارا على كل انواع التحف الاوربية من خزف وعاج ومنسوجات وغيرها ولقد كان تصوير الحروف رديئا اولا حتى انك تشعر لاول وهلة انها كتابة عربية فاذا دققت النظر فيها لم تجدها كذلك .

ومن امثلة تقليد الكتابة الكوفية واستخدامها فى الزخرفة ما نراه فى باب كنيسة سانت بير دي ريديس فى هيرو بفرنسا Saint Pierre de Reddes - Herault وكذلك ما نراه من زخارف كتابية على عمائر بلدة بوى (Puy) بجنوب فرنسا التي تظهر فيها التأثيرات الاسلامية بوضوح كبير .

ثم حاول بعضهم كتابة حروفهم بصورة تقرب من الحروف الكوفية فى شكلها العام وقد نجحت هذه المحاولة وتجلت بدرجة كبيرة فى الكتابة القوطية التي نرى امثلة منها فى قبر رتشارد الثاني بوستمنستر آخر القرن 14 م ثم قبر فيشلاك Fishlake بيوركشير اوائل القرن 16 م ثم كنيسة سوث آكر South Acre بنور فولك من منتصف القرن 16 م ، ولعل هذه كلها محاولات لبلوغ ذلك الرواء العجيب لزخارف مسجد السلطان حسن بالقاهرة من منتصف القرن 14 م .

الزخرفة : عرفت الفنون التي سبقت الاسلام ضروبا كثيرة من الرسوم الهندسية ، ولكن هذه الرسوم لم يكن لها شان خطير فى تلك الفنون ، بينما امتازت الزخرفة الاسلامية بتلك التراكيب الهندسية ذات الاشكال النجمية المتعددة الاضلاع على التحف الخشبية والنحاسية والصفحات الاولى المذهبة فى المصاحف والكتب وفى زخارف السقوف وقد عني الاستاذ برجوا G. BOURGOIN العالم الفرنسي بدراسة هذه الزخارف وتحليلها ويتجلى من دراسته الطريفة ان براعة المسلمين فى الزخارف الهندسية لم يكن اساسها الشعور والموهبة الطبيعية فحسب ، بل كانت تقوم على علم وافر باصول الهندسة العلمية .

اما العنصر النباتي فى الزخرفة الاسلامية فقد تأثر كثيرا بانصراف المسلمين عن استيحاء الطبيعة وتقليدها فاستخدموا الجذع والورق اللذين يبدو عليهما مسحة هندسية وتحوير عن الطبيعة مع التكرار والتقابل والتناظر كما يظهر لنا فى فن الارابسك وقد يرجع هذا الى نفور المسلمين عن تقليد الخالق او عدم وفرة النباتات والازهار اليانعة بالنسبة للاحوال الجوية التي تسود اغلب البلاد الاسلامية كما يعتقد بعض العلماء .

وعندما تجدد اهتمام الصناع الاوربيين بالشرق فى القرن 15 م مدفوعين بنجاح المسلمين فى انتاج التحف الفنية الفاخرة التي اصبحت من مقتضيات الابهة والعظمة فى عصر النهضة الاوربية ، استطاعوا ان يدرسوا الاساليب الاسلامية دراسة عميقة وان يصلحوا ويزيدوا من اساليبهم الفنية الخاصة ، فدرسوا بامعان

الخط القوطي محاولة لتقليد الكوفي

نماذج من الكتابة القوطية : (هـ) بقبر ريتشارد الثاني 802 هـ. (د) قبر فيشلاك 911 هـ. (ج) كنيسة سوث آكر 957 هـ. وكلها تحاول تقليد الكتابة الكوفية فى الخط والزخرفة وحتى الاطار التي يشملها مما يتجلى فى المثال الاسلامي (ا) بمسجد السلطان حسن بالقاهرة 758 هـ.

قوانين الزخرفة عند المسلمين وبدأوا يطبقون هذه القوانين بروح جديدة في تحف اوربية خالصة وقام بدراسة هذه الرسوم والزخارف الشرقية كثير من الشخصيات الفنية البارزة ، فيروى ان المصور الايطالي ليوناردو دافينشي كان يقضي الساعات الطويلة في رسم الزخارف الهندسية الاسلامية ويتجلى لنا اهتمامه بها في الرسم المأخوذ من رسم اولي من احدى كراساته .

وفي اوائل القرن السادس عشر عاد التأثير الشرقي في الرسوم الاوربية ينتشر بطريقة جديدة هي كتب النماذج التي كانت نتاجا مباشرا لفن الطباعة وبفضل هذه الكتب استطاع الصناع الذين لم يتيسر لهم الحصول على المصادر الاصلية ان يقفوا على نماذج من دراسات مشاهير الرسامين للزخارف الاسلامية ومن اهم كتب النماذج هذه مؤلف وضعه « فرانسسكو دي بللجرينو » المصور الرسام الذي عمل في بلاط فرانسوا الاول واكثر امثلته مشتقة اشتقاقا تاما من نماذج اسلامية وكذلك الكتب التي وضعها بطر فلوتنر Peter Flotner وفرجيل سوليس Virgil Solis ومارتنوس بطرس Martinus Petrus وغيرهم وقد برع في التأثير بمهاره المسلمين الفنية فريق من كبار الصناع مثل او ديريكس Odericus من مدينة روما وهو الذي رسم الزخرفة الاسلامية على بلاط الرخام المطعم في جزء من هيكل كاتدرائية وستنستر سنة 1286 م ومثل وليم موريس William Morris الذي نسج زخارف اسلامية اخرى في المخمل المصنوع سنة 1884 م .

فقد قدر لهؤلاء اجمعين ان ينعشوا فن الغرب بين حين وحين وان يسقوه من ذلك المعين الذي كان يعتبر في نظر الاوربيين منهلا دائما للغرب اكثر منه ارثا خلفه الاسلام .

وبهذه المناسبة لا نستطيع ان نغفل ما ذكره Martin Briggs في الفصل الذي عقده عن فن العمارة في كتاب تراث الاسلام اذ يقول (واسم ارابسك الذي يطلق على الموضوعات الزخرفية التقليدية التي كانت ترسم بارزة بروزا بسيطا في انجلترا منذ عصر الملكة اليزابيث ، تقول ان هذا الاسم يدل على اننا مدينون بهذه الزخارف للعرب في العصور الوسطى) .

والحقيقة ان الفنان المسلم هو الذي ابتدع نوعا من الزخرفة النباتية عرف باسم (ارابسك) او (التوريق) وهذا الاسم الاخير يرجح جدا ان يكون الاسبان قد اشتقوا منه كلمتهم « Ataurique » التي يطلقونها على الزخارف النباتية ، على ان الارابسك الاسلامية تطلق على كل زخرفة هندسية او كتابية او حيوانية او نباتية ، من هذا النوع ، وان كانت الاخيرة هي الغالبة .

النحت والتصوير : والمقصود بالنحت عمل التماثيل وقد اشرنا الى موقف الدين منها ، الا ان اسلافنا ادركوا ان التحريم منصب على التماثيل التي تعبد من دون الله وحدها ، فصنعوا تماثيل على هيئة الانسان او الحيوان لتزيين قصورهم على انهم لم يعنوا بتقليد الطبيعة تقليدا صادقا الا بعد ان تطورت الفنون الاسلامية تطورا كبيرا في عصرها الذهبي منذ القرن السادس الهجري (12 م) بعد ان تأثرت بالاساليب الصينية .

ولقد صنع المسلمون بعض التحف المعدنية والخزفية على هيئة الحيوانات والطيور كانت تستخدم في الغالب كأجزاء من نافورات تمج الماء من افواهها او كآنية خفيفة لحمل الماء وهذا النوع هو الذي اخذت عنه آنية الماء الاوربية التي كانت تسمى في العصور الوسطى اكوامانيل Aquamaniles ويستخدمها القسس في غسل ايديهم قبل القداس واثنائه وبعده وعلى الرغم من ان الاثر الذي نشأ عن الاحتكاك المباشر بين العالم المسيحي والثقافة الاسلامية لم يظهر في فن التصوير ظهوره في الفنون الاخرى الا انه يتجلى في استعارة الموضوعات الشرقية الزخرفية ، التي ظهرت في الآثار الاولى لمدرسة التصوير في « سيينا » SIENA احدى المدن الايطالية ثم زاد وضوحا في الفن التوسكاني (ولاية توسكانية بوسط ايطاليا) فظهرت الصور المعممة والوجوه ذات السمة الشرقية في الصور الايطالية منذ النصف الثاني من القرن 14 م كما ظهرت المنسوجات والملابس الشرقية حتى على الاشخاص الذين يلعبون دورا رئيسيا في الصورة كما ظهرت حيوانات غير مألوفة في الغرب كالفهد والقرد والببغاء ويظهر بوضوح ان رسم المناظر الطبيعية بتفصيل الاشجار والاوراق النباتية كان تقليدا مقصودا لرسوم الشرق وكذلك تظهر الحروف العربية ذات المسحة الشرقية البحتة مما دفع ادريان دي لونجبرييه Adrin de Longpérier الى نشر مقالة عن « استخدام المسيحية القربية الحروف العربية في الزخرفة » وقد استخدمت الحروف العربية في زخرفة الصور الايطالية منذ ايام « جيتو » Giotto صديق دانتي سنة (1266 — 1336) كما اغرم به (فراليبوليبي) Fra Lippo Lippi المصور الفلورنتي الذي رسم لوحة تتويج العذراء وعلى اكمامها وحواشي ثوبها زخرفة من الحروف العربية .

وخلاصة ما ذكرناه أن دين العالم الغربي للاسلام في الفنون الزخرفية في مجموعه كبير بل لعله لا يقل عما تدين به اوروبا للعرب ، في مختلف نواحي العلم والمعرفة والادب .

معركة اللغة العربية

للأستاذ عبدالله الخطيب

ان الدعوة لنشر الثقافة العربية فى كافة مرافق الحياة المغربية كانت من ابرز مظاهر الصراع القائم بين عقليتين مختلفتين خلال فترة الاستقلال ، وكلما تقدمت بنا الايام نشعر ان الوازع لاثارة هذه الخصومة يعود فى جميع صوره واشكاله الى فرض اللغة العربية كأداة فعالة وتكييفها مع واقعنا القومي باعتبارنا امة اصيلة فى جسم الامة العربية منذ قديم العهود .

والمتتبعون لحوادث هذا الصراع يلاحظون ان المعركة نشبت هزيلة وعارية عن كل العناصر والمقومات التاريخية التي يمكن انتجعل من هذا الموضوع مادة لحملة مظفرة يغلب على الظن ان يكتب لها النصر فى يوم من الايام .

وقبل ان نسير مع الاشواط التي قطعناها فى سبيل تحقيق اهدافنا يجدر بنا ان نقرر حقيقة نثبتها خالصة لوجه التاريخ ، هي ان اساس الكفاح من اجل نصرة اللغة وتثبيت اقدامها ابتدا فى عهد الحماية عندما وضعت الهيآت الوطنية « دفتر المطالب المغربية » فهناك يكمن بند يطالب فى صراحة بتعميم اللغة العربية فى البلاد وبثها داخل جميع المنشآت والمنظمات الرسمية بل كل ما يمس حياتنا الخاصة والعامة ، ولا يجمل بنا ان ننسى فكرة المقاومة السياسية ضد الوجود الاجنبي فى البلاد قد الهتنا طويلا حتى ظفرنا بعد جهد جهيد بالاستقلال الناجز ، ولكننا لم نكد نطوي صفحة النظام الاستعماري حتى وجدنا انفسنا مثقلين باعباء خلفتها فى عقولنا وارواحنا المدرسة الفرنسية التي صنعت لنا جيلا ما لبث أن اصبح يواجه مسؤوليات عهد الاستقلال ويدبر شؤوننا المختلفة باللغة التي انطقه بها المعلم الدخيل ، ومن هنا تكونت العقلية المتطرفة بآرائها وثقافتها وحنينها الى تمجيد فرنسا فى لغتها وآدابها وجميع مظاهر حضارتها ، وكان من سخرية القدر ان نتحمل هذا العبء رغم علاته ونسير طوعا فى ركاب المسيرين الجدد ، ونتقبل على مضض هذا الوضع الغريب الذي اصبح على تعاقب الحكومات شيئا لامحيد لنا عنه ، ولم يكن هذا الاستسلام المزري منا الا نتيجة حتمية بسبب ضعف ارادتنا ووسائلنا على مواجهة حملة التحول ، وذلك بتنسيق الجهود وفتح باب الجدل على مصراعيه ومناوءة الجانب الرسمي لاشراكه فى هذا الجدل ، حتى تلين امامنا العقبات للبحث عن ادنى الحلول لتدنو بانفسنا الى ما يجعل حدا للتيار الذي يجرفنا كرها الى الاندماج فى الحياة الفرنسية الصرفة ، وهذا الاختيار المنافي لمشاعرنا جعلنا متخلفين عن اشقائنا فى اجمل الخصائص التي تتلخص فى وحدة اللغة والفكر والروح.

وبالرغم من اننا طأطأنا رؤوسنا للفرنسة المطلقة فى البلاد ، فان محاولات برزت على صعيد الصحافة بهدف اصحابها الى تدعيم مبدأ الدفاع عن قداسة اللغة واظهارها بالمظهر اللائق بتاريخها وحرمتها ، فتوثبت العزائم واحتدمت المعركة بدون انقطاع ، فبدانا نشاهد كل يوم امهات الصحف والمجلات تطلع علينا بفصول رائعة مشبعة بالروح العربية والعزة القومية مدعمة بآراء وافكار مستخلصة من التاريخ الذي حدد وجودنا منذ القدم داخل السلالة العربية والاسلامية ، واهم مرمى لهذه الحملة العنيفة كان مجرد التخلص من اثقال السيطرة الروحية على مختلف اجهزتنا الحيوية فى الدولة المستقلة الفتية .

هكذا ابتدانا تجربتنا الاولى ، وهي كما يبدو نشات ضعيفة ، شانها شان كل دعوة وليدة تخضع لسنة التطور والارتقاء حتى تصل مع المثابرة والجهد الى اوج الكمال ، والآن وقد توفرنا على وسائلنا وعدتنا ، فلا مناص من ان نعلن بصراحة وبدون وجل

اننا انتقلنا من طور الفردية الى طور الجماعية ، ومن مرحلة الفوضى الى مرحلة النظام . ومن تمام الحظ ان تجاوبا فى الاوساط الرسمية بدا يلوح للعيان ، واصبح جانبنا يحظى بمزيد الاهتمام والرعاية ، واروع ما شاهدناه فى بحر هذا الشهر هو ثلاثة احداث ينبغي ان لانستهين بها ، ولعلها ستكون فى مجموعها اساسا راسخا بالتعجيل للتخلص من تبعية الاستعمار الروحي الذي ابى الا ان يسيطر على شخصيتنا القومية وسلبها من جميع مقوماتها المقدسة .

ويحسن فى هذه المناسبة ان نسوق هذه الاحداث ونجسمها امام القاريء حتى لايبقى له مجال للشك فى أهمية حركتنا الروحية المقدسة ومبلغ نجاحها :

1) رحلة صاحب الجلالة الى الشرق العربي : من اية زاوية نظرنا الى الرحلة الملكية الى الشرق العربي يتملكنا شعور الايمان بكثرة مكاسبها التي ستعود على المغرب بالخير العميم ، وتقتضي المناسبة التي نحن بصددها ان لانبرز جميع المزايا التي تحلت بها هذه الرحلة التاريخية فى جميع وجوهها حتى لانقع فى تكرار ما سبق للقراء معرفته سلفا بواسطة الصحافة والاذاعة .

ان الجو الذي عاش فيه جلالة الملك عبر البلاد الشقيقة كان مفعما فى جميع احجامه واشكاله بالعروبة الاصيلة ، فاللغة القومية هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم والتعبير عن شتى المشاعر ، فهي بذاتها الطاقة المحركة لموكب الحياة واجهزته فى مختلف الميادين ، فلم يخل نشاط شعبي أو حكومي دون ان تسلط عليه اضواء هذه اللغة فى جميع الجوانب ، ومن المؤكد ان جلالة الملك قد ملك عليه مشاعره هذه الظواهر التي يتجسم فيها الكيان العربي الذي حرمناه منذ نكبة الاحتلال البغيض حتى ايام استقلالنا ، فالرحلة المباركة ستكون ايذانا بتقويض معالم الفرنسة بعد ما مهد لتحقيق هذه الغايات بربط العلاقات الثقافية مع مختلف البلاد العربية التي زارها .

2) الندوة الصحافية لوزير التعليم حول التعريب : فوجئنا فى هذه الايام بالندوة الصحافية التي عقدها معالي وزير التعليم حول التعريب ، فكانت بحق مظهرا من مظاهر التجاوب الرسمي للثورة التي نقودها فى سبيل اعزاز اللغة القومية ، وفرضها فرضا على حياتنا ، وكم اخذتنا النخوة القومية عندما وقف معاليه فى هذا الجمع موقف الرجل الحازم الذي لم يتردد فى بسط اهمية التعريب وما يمكن ان يعود بالخير على وضعية البلاد من الناحية الثقافية والادارية ، ولم يخل حديثه من المصاعب التي ستعترينا فى بداية الشوط الاول ، الا انه لم يتبرم من هذه العراقيل بعدما وضع لها برنامجا واسعا للتخلص منها ، وعلى العموم فهذا ربح آخر فى سبيل نصرة دعوتنا .

3) معهد التعريب : لقد تسلسلت بنا الاحداث السارة حتى وجدنا انفسنا امام ابواب « معهد التعريب » وهي فى نظري الخطوة الايجابية للرغبة الشعبية التي عبر عنها رواد معركة اللغة العربية ، ولعلنا بهذا الحدث قد خرجنا من مرحلة التمني الى مرحلة الواقع التي تفهمتها المحافل الرسمية ، فجندت لها الكفاءات وصهرتها فى كتلة واحدة ستعمل عملا متقنا ومتواصلا على ضوء خطة مرسومة تتلخص فى البرنامج الحافل الذي اعده معهد التعريب .

فهذه الاحداث الثلاثة ستجعلنا اكثر ثقة بنجاح معركتنا ، فضلا عن انها ستفتح لنا آفاقا جديدة لاستكمال خواصها حتى تتحرر قريبا من رواسب الاستعمار الروحي الذي افسد منا الأدمغة والالسنة والاقلام .

اللغة العربية والمصطلحات العلمية

للأستاذ: يوسف مروة

مقـدمـة :

يحلو لبعض مواطنينا من اعداء اللغة العربية بين حين وآخر ان يطلقوا سهامهم المسمومة ضد محاولة تدريس الحقوق والرياضيات والطبيعيات باللغة العربية. وفي كل مرة ، عند ما يوضع موضوع تدريس العلـوم باللغة العربية موضوع الدرس والبحث يحتج هؤلاء بان اللغة العربية لا تستطيع التعبير عن الافكار العلمية الدقيقة وتنقصها الاصطلاحات العلمية الحديثة وتفتقر الى الرموز والاشارات المعبرة عن تلك الاصطلاحات . ولذلك فهي بنظرهم لا تصلح لتدريس العلوم ، فما هو نصيب هذه التهم من الصحة ؟ الواقع ان هذه التهم باطلة من اساسها لان اللغة العربية ما كانت يوما في تاريخها الحضاري الطويل تقف عاجزة عن التعبير امام الحقائق والآراء والنظريات والقوانين العالمية ، وقد تكون هذه اللغة ادق تعبيرا واشمل معنى من اي لغة اجنبية يتبناها اعداؤها ، ودليلنا في ذلك ان اثر اللغة العربية ما زال بارزا حتى الآن في معظم اللغات الاوروبية، في حين ان اثر اللغات الاوروبية في اللغة العربية اليوم يكاد لا يذكر اذا ما قورن بعكسه . وقد رد الدكتور كمال الحاج على اعداء العربية الذين يختبئون وراء مسالة المصطلح العلمي بقوله : (امامنا طريقان : اما ان نترجم اذا استطعنا ذلك ، واما ان نعرب اذا لم نستطع ذلك . ان الترجمة تقوم على ان نجد للمصطلح العلمي الاجنبي مصطلحا علميا عربيا . اما التعريب فانه يقوم على ان نلفظ المصطلح العلمي الاجنبي كما هو . ولكن بحروف عربية ، وهكذا تهون جميع المشاكل) .

غنى اللغة العربيـة :

اللغة العربية من اغنى لغات العالم بمفرداتها ، وهذه المفردات يمكنها ان تعبر عن كل ما يجول في الفكر البشري من آراء وتصورات واحاسيس وخلجات ، وتستطيع ان تعبر ايضا عن كل ما تتاثر به الحواس البشرية ، فكل ما تراه العين من اشياء وما تسمعه الاذن من اصوات وما يشمه الانف من روائح وما يتذوقه اللسان من اطعمة وما تلمسه اليد من اجسام نجد له في اللغة العربية مصطلحا معينا يعبر عنه . واعتقد ان اي عالم طبيعي عربي لو اراد القيام بالبحث العلمي باللغة العربية ، لما وجد اي عقبة تقف امامه من ناحية التعبير والمصطلح الذهني ، ولكن الصعوبة الوحيدة التي تصادفه هي عدم وجود الرموز العربية المستعملة للدلالة على ما يريده من حقائق علمية ، لان هذه الرموز لم توضع بعد ولم تتفق الجامعات العربية على استعمال رموز واحدة بينها في مجالات الدراسات الرياضية والفيزيائية العالية . ومسالة الرموز تقع مسؤوليتها بالدرجة الاولى على اساتذة الجامعات العربية وليس على اللغة العربية بالذات ، اذ اننا حتى الآن لم نطلع على اي بحث علمي عال باللغة العربية لاي استاذ جامعي في اية جامعة عربية، بل انهم ما زالوا يكتبون ابحاثهم باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانية وينشرونها في مجلات اجنبية ، وهم بذلك خلقوا ثلاث مشاكل في ميدان التعليم الجامعي ، الاولى : حرمان الطالب في الجامعة العربية من التمتع بمعرفة ما انتجه العلم الحديث ، الثانية : اظهار العربية بمظهر اللغة المفتقرة الى الرموز والمصطلحات العلمية ، الثالثة : تدهور مستوى شهادة البكالوريوس التي تمنحها الجامعات العربية . في حين ان اللغة العربية هي اغنى من اي لغة اوروبية برموزها ومصطلحاتها ، لان اي حرف من احرف الابجدية العربية يمكننا كتابته بثلاثة اوضاع او اكثر حسب وقوعه في اول كلمة او وسطها او آخرها مثل : بـ ـبـ ب ، عـ ـعـ ع ، وباستطاعتنا استعمال كل وضع من هذه الاوضاع للدلالة على رمز لمصطلح علمي معين يختلف عن الآخر ، هذا بالاضافة الى استعمال الحركات كالفتحة والكسرة والضمة على الحرف الواحد . وعلى هذا الاساس فان الابجدية العربية يمكنها ان تعبر عن كل الرموز الاجنبية التي تستعمل في الفيزياء والرياضيات الحديثة بما في ذلك الفيزياء النووية والميكانيكيات الموجية والنسبية وحساب التفاضل والتكامل العادي والمطلق والهندسة اللااقليدية الاينشتينية دون الاستعانة باي رمز من اية لغة اخرى .

فقر اساتذة الجامعات العربية :

ان الفقر ليس فى مفردات ورموز وتعابير اللغة العربية ، ولكن الفقر كل الفقر فى عقول اساتذة الجامعات العربية ، هؤلاء الاساتذة الذين تلقوا العلم من جامعات الغرب وجاءوا للتدريس فى الجامعات العربية ، فبدلا من ان يترجموا الحقائق العلمية التي درسوها الى العربية وبدلا من ان يوجدوا الرموز اللازمة فى العربية ويوسعوا افق المعرفة فى عقول طلابهم ، اذا بهم يختزلون المعلومات والحقائق التي تعلموها ويضعونها كملخصات للطلبة لا تسمن ولا تغني من جوع ، واذا بطلاب الجامعات يحصلون على شهادات البكالوريوس دون ان يكون لهم ثقافة البكالوريوس المعروفة فى جامعات العالم ، لان الحقائق والمعارف التي جمعوها خلال السنوات الاربع فى الجامعة لا تكاد تزيد على معلومات ومعارف طلاب الشهادة الثانوية فى المانيا او انكلترا شيئا . وقد انتبهت معظم المجلات المصرية للوضع السيء الذي تعانيه الجامعات فكتبت تنتقد وترشد وتنبه ، وانتبه ايضا الرئيس جمال عبد الناصر لهذا الموضوع فقال فى خطابه الذي القاه فى الاحتفال الخمسيني بميلاد جامعة القاهرة: (ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة ، وعلينا ان نسارع الى موكبه ، ونصنع لانفسنا مكانا فى ركبه . لقد عشنا حتى الآن فى نهضتنا الحديثة عالة على افكار ومخترعات صنعها غيرنا فيما خلا جهود فردية متناثرة . لم يعد يليق بآمالنا ان نعيش عالة على الآخرين ، ولا عاد يليق بهذه الآمال ان تتعلق بالماضي ، وان علينا ان نتحول الى قوة خلاقة تاخذ من الآخرين ، ولكنها تعطيهم ، وتسهم فى صنع المستقبل بطريقة ايجابية بناءة) . ان كل عربي يشعر ويحس مع الرئيس عبد الناصر بان الجامعات واساتذة الجامعات لم يقوموا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم كما يجب ، فهل من استاذ جامعي عندنا رشح لنيل جائزة نوبل فى الفيزياء او الكيمياء او الطب ؟ وهل من جامعة عربية ساهمت باكتشافات العلم الحديث ؟ وهل تركت اثرا علميا يدل عليها فى ميدان التقدم العلمي الحديث ؟ الجواب : لا ! نقولها آسفين . اننا ناخذ من الغرب وناخذ بكثرة ، وللآن لم نعط العلم الحديث والحضارة الحديثة اي شيء من نتاجنا ، فى حين ان دولا شرقية كالهند واليابان سبقتنا فى هذا المضمار ، اذ استطاع علماؤها ان يقوموا باكتشافات علمية لها اثرها الهام فى ميدان التقدم العلمي واستطاعوا ان يدخلوا معركة المجد العلمي من بابها الواسع فكان لهم شرف نيل جائزة نوبل فى الفيزياء ، ومن هؤلاء العلماء رامان الهندي وكيكوشي الياباني . والملاحظ ان المهتمين بالابحاث العلمية فى جامعاتنا العربية هم قلة ، والسبب المباشر لذلك هو ان الثقافة التي يتلقونها فى الجامعة هي ثقافة انصاف الحقائق او اوراق (الملخصات) ، و (الاختصارات) ، وان الطالب الذي لا يتمكن وهو داخل الجامعة ، من استيعاب وادراك الحقائق العلمية كاملة ، لن يتمكن مطلقا من استيعاب وادراك اي حقيقة علمية وهو خارج الجامعة ، لان المناخ المناسب للبحث العلمي والمطالعات العلمية هو الجامعة وليس التدريس فى المدارس الثانوية او العمل فى مكاتب الشركات او فى وظائف الحكومة ، انه لمن المؤسف حقا ، ان ترى شابا يحمل شهادة جامعية فى الفيزياء ويعجز عن تدريس مادة الميكانيك للصف الرابع ثانوي بحجة ان الميكانيك هو رياضة تطبيقية وليس من مواضيع الفيزياء ، وانه لا يعرف عن الفيزياء الحديثة الا معلومات بسيطة مشوشة لا تمكنه من فهم اي موضوع علمي حديث ، وبالتالي فان حقائق الفيزياء الحديثة فى واد ومعلوماته الجامعية فى واد آخر ، او ان ترى شابا آخر يحمل شهادة جامعية فى الرياضيات ويجهل ان المعادلات البسيطة ذات المجاهيل الثلاثة هي من مواضيع الرياضيات العالية كما يظن ويتوهم ، واذا رأى جسما هندسيا لتطبيق احدى نظريات الهندسة الفراغية ظنه واعتبره لعبة مسلية من العاب الاطفال . فهو يجهل مشاكل الرياضيات الابتدائية بالاضافة الى مثل التحليل الموجه والتكامل الثلاثي والتفاضل المطلق والمعادلات التفاضلية التي يجهل حتى اسمها ، ان حل هذه المشكلة القائمة يجب ان يبدأ من اساتذة الجامعات انفسهم ، اننا لا نتهم الاساتذة بالفقر الثقافي ، ولكننا نؤكد للشعب العربي وللحكومات العربية انهم مهملون ومقصرون فى واجباتهم واعمالهم ، وهذا الاهمال والتقصير يؤدي الى جعل المئات من طلابنا ، الذين تقذف بهم الجامعات سنويا كحملة بكالوريوس جامعي ، انصاف مثقفين يفتقرون الى العلم والمعرفة الصحيحين .

فى اللغات الاوروبية عجز عن التعبير :

ما دمت قد تحدثت عن غنى اللغة العربية ، فلماذا لا اتحدث عن فقر اللغات الاوروبية وعجزها فى بعض الاحيان ، قد يدهش القارىء من هذا القول ويتهمني بالجهل ، ولكن مهلا يا عزيزي ، فاذا لم تكن من طلاب الجامعة الاميركية او اليسوعية فى بيروت ، فلاشك ان لك اصدقاء او اقارب يدرسون فى هاتين الجامعتين او سواهما من الجامعات الاجنبية ، ان طلاب الفيزياء والرياضيات فى الجامعات الاجنبية ، لاشك يعرفون ان

اللغتين الفرنسية والانكليزية تستعيران من اللغة اليونانية الاحرف الابجدية لتستعملاها كرموز للدلالة على كثير من الحقائق ، ففي الفيزياء تستعمل الحروف (الفا) و (بيتا) و (غاما) للدلالة على ثلاثة انواع من الاشعاع الذي تقذفه نوى الذرات المشعة ، ويستعمل الحرف (اوميغا) للدلالة على السرعة الزاوية و (لمبدا) للدلالة على الطول الموجيّ و (رو) للدلالة على الكثافة و) ايتا (للدلالة على معامل اللزوجة VISCOSITY و (مو) للدلالة على معامل الانكسار ، وفي الرياضيات تستعمل (الفا) و (بيتا) و (غاما) ايضا للدلالة على جذور المعادلات التربيعية والتكعيبية و (ثيتا) للدلالة على زاوية معينة و (باي) للدلالة على النسبة التقريبية 3ر1416 و (سيكما) للدلالة على عملية التكامل و (دلتا) للدلالة على معدل الزيادة والتفاضل و (مو) للدلالة على كسر في تطبيق سلسلة فوريه ... الخ . ان استعارة اللغات الاوروبية للرموز اليونانية ان لم يدل على افتقار هذه اللغات الى الرموز ، فهو يبين لنا ــ بلا شك ــ مدى خضوع هذه اللغات لسطوة الحرف اليوناني ، في حين ان اللغة العربية غنية برموزها ومفرداتها التي تقيها من الخضوع لسطوة الرموز اليونانية او اللاتينية ، ولم تكتف اللغات الاوروبية باستعارة الرموز اليونانية بل عمدت ايضا الى استعارة المصطلح العلمي في بعض الاحيان ، فقد لاحظت اثناء دراستي لمواضيع الفيزياء النووية ان المؤلفين من الاميركيين والانكليز والفرنسيين عندما يتحدثون عن موضوع الالكترون الضوئي (الفوتون) ويريدون التعبير عن (كمية الاشعاع القصوى الناتجة عن احتكاك الالكترون العالي السرعة بالنواة الذرية) ، فانهم يستعملون المصطلح الالماني Bremsstrahlung الذي يعبر عن الحقيقة العلمية المذكورة ، وقد وضع علماء الانكليز التعبير التالي BAAKINGRADIATION كاصطلاح للحقيقة السابقة وكمرادف للمصطلح الالماني ، وهكذا فان معظم المصطلحات العلمية في اللغات الاوروبية الحديثة هي يونانية او لاتينية او عربية الاصول . وهنا مرة اخرى نصفع اعداء اللغة العربية ، فاللغات الاوروبية نفسها تعجز في بعض الاحيان عن ايجاد اصطلاح علمي او رمز معين ومع ذلك فنحن لا نتهمها بالفقر والنقص ولا يجرؤ واحد من ابنائها على اتهامها ، كما هو الحال في البلاد العربية .

دولية الحقائق وقومية الرموز :

لا مجال للشك بان الحقائق والنظريات والآراء والقوانين الفيزيائية والرياضية هي عالمية الصبغة دولية الصفة ، اذ انها لجميع الامم والشعوب على حد سواء ، فنظرية بوهر الذرية او مبدأ هيزنبرغ او نظرية آينشتين النسبية او نظرية ستوك التي تدرس في جامعة بيروت هي نفس النظريات التي تدرس في باريس ولندن وواشنطن وموسكو . الا ان الرموز المستعملة للدلالة على هذه القوانين والنظريات تختلف من بلد الى بلد ومن امة الى امة ، مهما حاول اعداء اللغة العربية ان يوهموا السذج بان الرموز ذات صبغة عالمية والافضل ان تبقى على حالها (باللغات الاجنبية) ، ذلك ان بعض هؤلاء يريدنا ان ندرس الكيمياء بالعربية ولكن برموز افرنسية او انكليزية ، وندرس الفيزياء بالعربية وتبقى الصيغ الرياضية بالاحرف اللاتينية ، ان ذلك تحقير لوجداننا وتفكيرنا واهانة لشخصيتنا القومية وبالتالي شك بمقدرة العربية على خلق الرموز واتهام لها بالفقر والضعف لا نقبله ولا نرضاه ، ان مجموع الرموز التي تستعمل في المرحلة الجامعية العليا لدراسة الرياضيات والفيزياء لا يتجاوز الستين رمزا ، وان الرمز الواحد يستعمل في مجالات متعددة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والاحياء وعلم النفس والاقتصاد ، كما هو معروف لطلاب الجامعات، وان الابجدية العربية تستطيع اعطاء تسعين رمزا مختلفا بدلا من ستين ، واذا اردنا فاننا نحصل على عدد كبير من الرموز باستعمال حرفين دفعة واحدة مثل (يه) الذي يمكن استعماله بدلا من الحرف اليوناني (ثيتا) وهو آخر حرفين من كلمة (زاوية) التي يدل عليها الرمز اليوناني ، واعود الى جوهر الموضوع فاقول ان للرموز صفة قومية خاصة ، على الرغم مما يتخرص به اعداء العربية ، فطلاب الجامعة اليسوعية عندما يحلون مسائل الفيزياء يستعملون رموزا تختلف عن التي يستعملها طلاب الجامعة الاميركية وكذلك الرموز المستعملة في المرحلة الثانوية تختلف بين المعاهد الفرنسية والانكليزية وخاصة في مواضيع الحرارة الكهربائية والبصريات ، ويوجد خلاف حتى في الحقائق ومكتشفاتها ، فترى طالب المعهد الفرنسي يدرس القانون التالي : (ان حجم الغاز يتغير عكسا بتغير الضغط الواقع عليه ، اذا كانت الحرارة ثابتة) باسم قانون ماريوت ، في حين ان طالب المعهد الانكليزي او الاميركي يدرسه تحت اسم قانون بويل . ومهما كان هذا الاختلاف بسيطا فهو اختلاف يعني ان علماء فرنسا لهم وجهة نظر معينة في الحرف او الرمز الذي يعبر عن حقيقة ما ، ولعلماء انكلترا واميركا وجهة نظر اخرى في الحرف او الرمز الذي يعبر عن نفس الحقيقة ، وليس

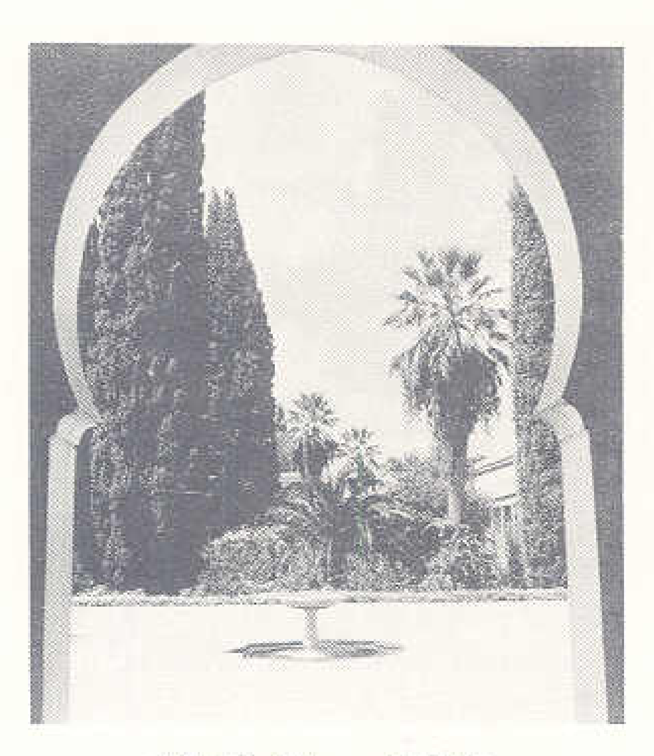
هذا فقط ، فهناك اختلاف في الرموز المستعملة بين علماء الامم التي تتكلم نفس اللغة ، اعني انكلترا واميركا ، فعلماء انكلترا مثلا يستعملون الرمز Z للدلالة على مقدار الشحنة الكهربائية الموجبة الموجودة في نواة الذرة، في حين ان علماء الولايات المتحدة يستعملون الرمز K للدلالة على نفس المقدار والحقيقة . وكذلك نرى ان علماء الروس واليابان والالمان والطليان والفرنسيس يستعمل كل منهم رموزا علمية معينة تختلف عن الرموز التي يستعملها سواه . ان للرموز صفة قومية ، ولكي نساهم في البناء الحضاري العالمي يجب ان يكون لعلمائنا رموز خاصة بهم تنبع من لغتنا وقوميتنا لتعبر عن افكارهم الاصلية في سياق ابحاثهم العلمية بدلا من ان تصبح ابحاثهم كثوب البهلوان ، شروح بالعربية ورموز باللاتينية ، دون انسجام وتجانس .

الخلاصة :

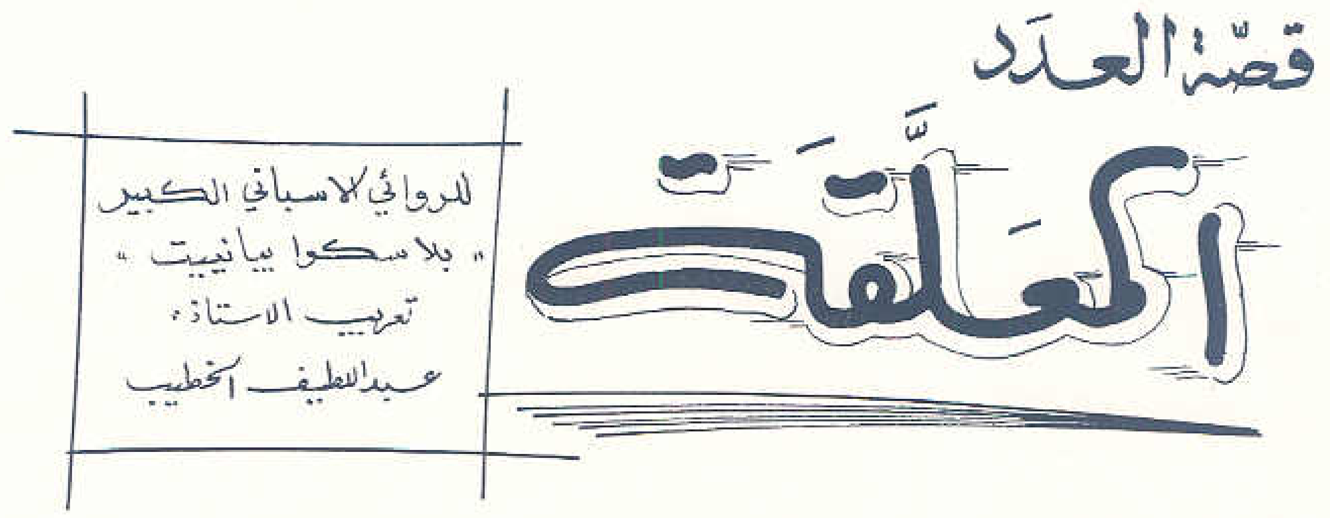
ان اللغة العربية ما كانت ولن تكون عاجزة عن مسايرة الركب الحضاري والتعبير عن الحقائق والمكتشفات العلمية الحديثة ، ان العجز كل العجز في نفوس وعقول الذين مسخوا ويمسخون الحقائق العلمية ويلقنون الطلاب هذه الحقائق الممسوخة على انها معرفة علمية في القرن العشرين . انهم وحدهم العجزة ، لانهم لعلة في نفوسهم وعقولهم عجزوا عن متابعة ركب الحضارة واعطاء الطلاب صورة حقيقية عن المعرفة الصحيحة ، ولكن اللغة العربية ستبقى رمزا للحضارة ومشعلا للمعرفة ، ولن يمضي وقت طويل حتى يقبل علماء الغرب على ترجمة ما يكتبه علماء العرب ، الذين ينتظر ظهورهم في ظلال النهضة العربية الجديدة ، وكل آت قريب .

عن مجلة « العلوم » اللبنانية





حدائق قصر الباهية بمراكش



قضى « رفائيل » اربعة عشر شهرا بالسجن داخل خلوته الضيقة . ولم يكن عالمه يتجاوز تلك الجدران الاربعة ذات البياض الحزين كبياض العظم فاصبحت شقوقها واغوارها مالوفة لديه وقارة فى ذاكرته لا تفارقها باي حال من الاحوال . اما الشمس فلم يكن يرى منها الا ضياءها عند ما يتسلل الى الخلوة من خلال النافذة الموجودة فى السطح وعبر القضبان الحديدية التي كانت تقطع عليه وحدة المنظر لزرقة السماء . ولم تكن ارض الخلوة تزيد على ثماني خطوات. غير ان « رافائيل » كان مصفدا فى السلاسل التي كادت بعض اطرافها تلتحم بكعبيه فلم يكن يستطيع لثقلها وضجيجها حراكا .

كان الحكم قد صدر عليه بالاعدام . غير ان « رافائيل » كان يقضي الشهور تلو الشهور فى تلك الخلوة كما لو كان مدفونا حيا ويتعفن كجثة متحركة فى تابوت معمول من الطين بينما ينظر قضاة مدريد فى وثائق الدعوى لآخر مرة . وكان امام هذه المحنة يؤثر حلول وقت تنفيذ الحكم باجتثاث راسه فينتهي كل شيء دفعة واحدة على ان يخلد فى ذلك النوع من العذاب المهلك المهين .

وكان السجين ضيق النفس بالنظافة المتجددة كل يوم داخل الخلوة لما كان يحس من تسرب الرطوبة الى عظامه اذ كان غسل الجدران والارض يذهب بـذرات الغبار فيحس بالوحدة الشاملة التامة . وقد بلغت حسرته لهذه العزلة مبلغا جعله يتمنى لو تسرب الفئران وقاسمهم شيئا من طعامه الضئيل واجرى معهم ضربا من ضروب الحديث والنجوى. ولو هو وجد العنكبوت فى جنبات تلك الخلوة لانفق بعض الوقت فى ترويضها والتلهي بها .

ان رجال القضاء لم يكونوا يريدون فى ذلك القبر حياة الا حياة « رافائيل » السجين . وكم يتذكر ذلك اليوم الذي اطل فيه طائر صغير من خلال الشباك كما لو كان صبيا عابثا لعوبا . وكان العصفور يشدو وهو المغرم بالضوء والفضاء كما لو كان يستغرب وجود ذلك الشخص النحيل الشاحب وهو يرتعش من البرد فى منتصف الصيف على ما تدثر به من رث الثياب . ولعل العصفور قد ذعر لرؤية ذلك الوجه الذي بلغ شحوبه اصفرار الورق العتيق وخاف من تلك الهيئة التي تشبه هيئة الهنود الحمر ففر وهو يضرب بجناحية كما لو كان يريد التخلص من رائحة القبر والصوف العفنة من ثيابه الخلقية عندما تتسلل عبر الشباك .

ولم يكن للحياة اثر هناك الا صخب رفقائه المسجونين عند ما يمرون بالبهو . وقد كان « رافائيل » يغبطهم على ما كانوا فيه من نعمة التحرك وتداول الحديث ومشاهدة السماء وعدم الاضطرار الى استنشاق الهواء من خلال قضبان من حديد . لقد كان يرى ان الشقاء درجات بعضها فوق بعض . فقد كان يحسد رفقاءه كلما ساروا فى البهو غادين او رائحين . وكان يعتبر حالتهم من الحالات التي تستحق التمني وتستوجب النقمة على من ينعمون بها . اما المعتقلون الذين يجيئون ويذهبون فى الفناء فكانوا يحسدون كل من كان خارج ذلك السجن ويتمتعون بالحرية ويسيرون آنذاك فى الشوارع غير راضين عن مصائرهم فى معظم الاحوال لما يطمعون فيه من مآرب اخرى كثيرة لا نعلمها ! .. ما اجمل الحرية ! .. غير انهم جديرون بذلك الاعتقال .

لقد كان « رافائيل » قد نزل الى آخر درج فى سلم الشقاء . فقد حاول الفرار بحفر الارض عند ما استبد

به الضجر واليأس . الا ان الحراسة كانت يقظة مرهقة. وقد كان من الواجب عليه ان يلزم الصمت . فقد حاول ذات يوم ان يتلهى بترتيل الصلوات التي علمته والدته في صباه وظل بعضها عالقا بذهنه فاجبره الحراس على السكوت . ذلك لان هؤلاء كانوا يريدون الاحتفاظ به على الحالة التي كان عليها يوم دخل السجن من اكتمال الجسم والعقل جميعا حتى لا يكون الجلاد امام جسد معطوب يوم يحين تنفيذ الاعدام . كان الحراس يؤولون ترتيله لتلك الصلوات على ذلك النحو الرتيب كما لو كان يريد ان يتظاهر بالجنون .

لم يكن « رافائيل » يريد ان يصبح مجنونا بأي حال . الا ان السجن والاكل القليل يوشكان ان يقضيا عليه . فقد اخذ يرى في بعض الليالي مناظر مزعجة ويتمثل اعداءه المتربصين بحياته فتثور معدته ويتعذب العذاب الكبير من جراء وخزها القاسي وهو الذي تضيق نفسه بالضوء الكهربائي الذي لم يالفه ولو بعد مرور اربعة عشر شهرا .

وكان يقضي وجه النهار يفكر في ماضيه . الا ان ذهنه كان مجهدا شاردا حتى كان يظن انه يراجع قصة غيره . فقد كان يتذكر رجوعه الى القرية الصغيرة التي ولد بها بعد ان دخل السجن اول مرة لاصابته لاحد من الناس بجروح . كما كان يتذكر صيته البعيد بين سكان الحي كافة ورواد المخمرة الواقعة بساحة القرية واعجابهم به وتعظيمهم اياه بما كانوا يشيدون بقساوته. وكانت أجمل فتيات القرية ترضى عن التزوج به رهبة من شدته لا رغبة في حبه وعطفه . وكان اعضاء المجلس القروي يطرونه بالمدح فكانوا ينيلونه بندقية الحارس ليستعمل بأسه الشديد عندما تحين الانتخابات ! لقد كان يتذكر سيطرته التامة على ذلك القطاع. فكان يرهب الخصوم اعضاء الفريق الفاشل في تلك المشورة القروية حتى ضاقوا به ذات يوم فاحتموا بشجاع آخر كان حديث العهد بالخروج من السجن فأقاموه خصما عنيدا امام « رافائيل » .

يا الهي ! ! انني ! ، فعلت فعلتي فلأن الشرف المهني كان في خطر وكان من الواجب علي ان امرغ اذن ذاك الذي كان يحرمني قوت يومي في التراب . وكان نتيجة محتومة ان اشفع الانتظار بالتربص ثم جاءت طلقة البندقية الصائبة ثم ضربه بعقبها حتى لا يصيح ولا يضرب برجله ابدا .

وخلاصة القول ان ما حدث كان من فعل الرجال ! اما العاقبة فكانت السجن الذي وجد فيه رفقاءه السابقين . وحدث لما شرعت المحكمة تنظر في الدعوى ان تكتل ضده جميع اولئك الذين كانوا يكرهونه ويخافونه فانتقموا منه بالتصريح بما يدينه من الشهادات . ثم تذكر صدور الفصل عن المحكمة بعد الشهور الاربعة عشر الملعونة التي قضاها داخل السجن منتظرا أن يصل الامر من مدريد بتنفيذ الحكم فيه . ولقد ابطأ الحكم في وصوله كما لو كان يسعى محمولا على عربة تدفعها الايدي دفعا وئيدا .

وما كان « رافائيل » يفتقد الاقدام والشجاعة . فقد كان يفكر في « خوان بورطيلا » و « فرانثيسكو استيبان » الوسيم الطلعة وغيرهما من الرؤوس الصبورين الذين سارت الامثال والحكايات بما فعلوا وكان ينصت اليها بحماس ويجتهد في ترويض نفسه لمواجهة تلك اللحظة الاخيرة بمثل ما واجهوها به من صبر واحتمال .

غير انه كان يحدث في بعض الليالي ان يقفز من سريره قفزة قوية كما لو كانت بذلك السرير آلة خفية تدفعه فيسمع الصدى الحزين الذي تحدثه الاغلال عندما تنبمث فيها تلك الحركة المفاجئة . وكان يصيح آنذاك كما يصيح الصبيان ثم يندم على ما صدر منه فيحاول عبثا كظم ما كان يعتريه . وكان « رافائيل » يحس بان ذلك الصوت انما يصدر عن شخص آخر سكن جسمه . وقد كان هذا الشخص الى ذلك الحين مجهولا عنده يخاف وينتحب ولا تسكن ثورة نفسه الا بعد ان يشرب ستة اكواب من ذلك المائع الساخن المعمول من ماء التين والخروب والذي كانوا يسمونه في السجن رحيق البن .

اما « رافائيل » القديم الذي كان يرجو لقاء اجله لينتهي ذلك العذاب الذي كان يقيم فيه فلم يبق منه الا هيكله . ذلك لان « رافائيل » الجديد الذي تكون في تلك الخلوة قد أصبح يخاف الموت ويتهيب اقتراب النهاية . وكان بوده لو استطاع ان يمدد عمره اربعة عشر شهرا آخر يعيش اثناءها في ذلك الشقاء الذي عاش فيه الى الآن .

لقد اصبح « رافائيل » جزوعا يرى الموت في كل مكان يولي وجهه شطره . فهو يراه في اوجه المستطلعين الذين يمرون بباب الخلوة فينظرون اليه من خلال نافذتها الصغيرة الضيقة . وهو يراه في وجه راهب السجن الذي اخذ يزوره كل مساء كما لو كانت تلك الخلوة احسن مكان للتدخين والحديث . وجعل «رفائيل» يتوجس خيفة من كل هذه الامارات المنذرة !!

ولم يكن في المستطاع ان تكون اسئلة الراهب اكثر اقلاقا . فقد سال « رافائيل » عما اذا كان نصرانيا صحيح الايمان يقوم بشعائر الدين فاجابه بالاثبات وبانه كان يحترم الرهبان فلم ينلهم ابدا بأي سوء . اما اهله فلا حاجة الى السؤال عن مدى تدينهم اذ انهم آثروا الاعتصام بالجبال للدفاع عن الملك الشرعي لان شماس القرية امرهم بذلك . وكان « رافائيل » يلجأ لتأكيد تدينه الى اخراج بعض الرقي والتمائم من بين الثياب الرثة التي كانت تغطي صدره .

وكان الراهب يأخذ في الحديث فيما بعد عن المسيح الذي وجد نفسه في حالة شبيهة بحالة «رافائيل» مع انه «ابن الله» ! وكانت هذه المقارنة تدخل شيئا من السرور على نفس ذلك الشيطان المسكين فيعتبرها تشريفا له ... ومع اغتباطه بهذه المقارنة فقد كان يرجو ان تتاخر النهاية المنتظرة اكثر ما يمكن ان يكون التأخير .

وجاء اليوم الذي انفجر فيه الخبر المخيف كما تنفجر الصاعقة . فقد انهى قضاة مدريد الاعلون النظر في القضية فجعل الموت يسعى سريعا اليه لورود برقية تأمر بتنفيذ الحكم .

ولما اقترب احد مستخدمي السجن من « رافائيل » ذات يوم لاخباره بان زوجته وبنته التي ولدت ابان اعتقاله يحومان حول السجن لم يعد السجين يشك في ان النهاية قد اقتربت لان زوجته ما كانت لتغادر القرية الا بعد ان علمت بان الساعة قد اقتربت حقا !

غير ان بعض المسجونين جعلوا « رافائيل » يفكر في العفو فتشبث بقوة بهذا الرجاء الاخير الذي يتشبث به جميع البائسين . واخذ السجين يمني نفسه ببلوغ هذه البقية التي نالها من قبله معتقلون آخرون . وكان يرى انه ليس من الصعب في شيء على تلك السيدة الموجودة في مدريد ان تنقذ حياته وتحفظه لاهله .

وجعل « رافائيل » يسأل كل من يصل اليه اما بحب الاستطلاع او للقيام بواجبه كالمحامين والرهبان والصحفيين عما اذا كانت العذراء ستستجيب لندائه وتوسله وهو خائف مرتعش الشفتين . غير انه كان من المقرر ان يساق اذا كان الغد الى قريته مصفدا مخفورا كما تساق ثيران المصارعة الى المجزرة . وقد كان يتصور الجلاد وقد اعد آلته كلها . وكان يتصور ايضا زوجته وهي تقضي الساعات الطويلة بباب السجن في انتظار رؤيته لدى خروجه منه للذهاب الى القرية . وكانت زوجته شابة سمراء ذات شفتين غليظتين وحاجبين متصلين تنبعث منها رائحة الحظيرة القوية اذا هي سارت وارتفعت اذيال زيها .

وكانت زوجته مشدوهة لوجودها في ذلك المكان . فقد كانت نظرتها الغبية تنم عن الاندهاش اكثر مما تنم عن الالم . فلم تكن تذرف الدموع الا عند ما تنظر الى بنتها وقد احاطت بثديها في نهم . وكانت الزوجة تقول «يا الاهي! ما اعظم هذا العار الذي لحق بنا جميعا. وقد كنت اعلم ان ذلك الرجل ستكتب له هذه النهاية. وليت بنتي لم تولد ! »

وكان راهب السجن يحاول تجميلها بالصبر فينصحها بالاستسلام والرضا بالقدر . فهي لا تزال شابة وفي الامكان ان تجد بعد ترملها زوجا يسعدها . وكان هذا القول يشيع في نفسها الامل حتى انها عادت الى الحديث عن خطيبها الاول الذي كان شابا وسيم الطلعة فانسحب خوفا من « رافائيل » . غير انه جعل في المدة الاخيرة يقترب منها سواء في الحقول او داخل القرية كما لو كان يريد ان يقول لها شيئا او يحدثها بما يجد في نفسه .

لقد اخذت الزوجة تقول في نفسها بهدوء يشعر ببداية الابتسام « لا فانني لن اعدم الرجال . غير انني امرأة متدينة واريد ان انا تزوجت مرة اخرى ان يكون زوجي على نحو يرضي الله » .

غير انها احست بنظرات الاستغراب يبعث بها الراهب ومستخدمو باب السجن اليها فعادت الى الواقع مستأنفة نحيبها العسير .

وما جاء الليل حتى وصل الخبر . فالعذراء التي كان يتصورها « رافائيل » في مدريد محاطة بالبهاء العظيم الذي يزين هياكل الكنائس قد استجابت للتوسلات والبرقيات فأطالت عمره .

وكان لنبأ العفو بتبديل الحكم دوي كبير وصخب عظيم كالذي يحدثه الف من الجنون او كما لو تلقى كافة المسجونين امرا بتحريرهم .

قال الراهب للزوجة « افرحي يا سيدتي فان الاعدام لن ينفذ في زوجك ولن تصبحي ارملة » . الا أن المرأة الشابة ظلت هادئة صامتة كما لو كانت تصارع افكارا تعتمل في راسها ببطء غبي قبل ان تقول في هدوء آخر الامر « حسن . فما هو ميعاد خروجه من السجن ؟ » .

— الخروج !.. هل انت مجنونة ؟ . انه لن يخرج من السجن ابدا . وعليه ان يكون راضي النفس لنجاته من الموت . انه سيرحل الى سجن بافريقيا . وهو لا يزال شابا قوي البنية . ولربما عاش عشرين سنة اخرى .

ولاول مرة بكت المرأة بكل قواها . الا ان نحيبها لم يكن من فرط الحزن وانما كان مصدره اليأس .

قال الراهب « هوني عليك يا سيدتي . فان ما تفعلين من شأنه أن يغضب الله . أو لاتفهمين ؟ . فان زوجك لم يعد في عداد المحكوم عليهم بالاعدام . وهل لك بعد هذا حق في التذمر والشكوى ؟ » .

كفت المرأة عن البكاء . الا ان شرر البغض أخذ يتطاير من عينيها السوداوين قبل ان تقول محنقة :

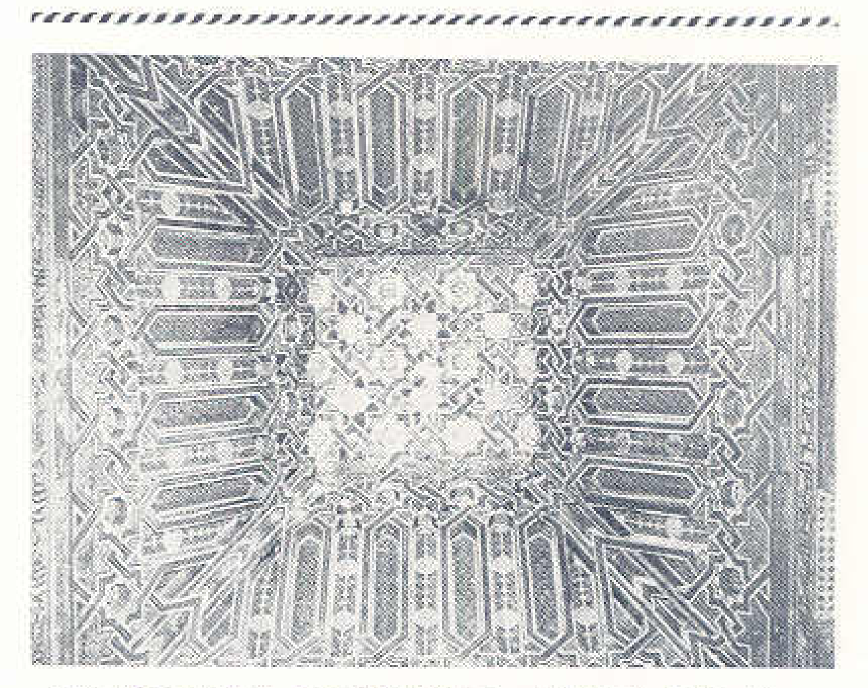
« حسنا ان لا يقتلوه . فأنا فرحة لانه نجا . فما هو شأني ومصيري يا ترى ؟ . . . »

غير انها اردفت بعد صمت طويل وهي تبكي بكاء يهتز له كل جسدها الاسمر الشاب المتقد فيشيع رائحة الفتوة العنيفة :

«ان الحكم بالعذاب قد صدر علي في هذه الحال !» (1)

---

(1) عنوان القصة في الاصل الاسباني La Condenada او « المحكوم عليها » وقد رأينا ان عنوان « المعلقة » انسب في الترجمة العربية كما سيرى القارىء من مدلول القصة ومقصدها (المعرب)



سقف مزخرف بالمسجد الكبير بمدينة تارودانت ويرجع تاريخ هذه الزخرفة الى عهد الملوك السعديين .



حـــدوده :

من الداخل ، يحد المغرب شمالا بأشجار البرتقال والاعناب ، وقناديل من ازهار اللوز ، وعرائش الموج ، وبساتين من البنات الرشيقات الظريفات . وجنوبا باغراس التمر الحلو ، وزغردات الف ناي ، واصائل من السنابل والسنابك والنسيم الاسمر الموشوم ، والعاب الغزلان ، وقوافل الجمال الحسان . وغربا بغابات الارز والسنديان ، وعناقيد من الثلج المدلاة على الذرى والمنحنى ، وملاعب للبطولة تصهل بالجياد ، وتزأر بالاسود . وغربا بالاصباح الناعمة الرشيقة المغسولة بازباد المحيط ، والاشفاق المغروسة بالورد وشقائق النعمان ، والليالي الناطقة بالسكينة والوحدة والصفاء والشعر .

موقعه :

وكلمة المغرب فى الاساطير المغربية القديمة تدل على « شمس الاصيل » او « اصيل الشمس » او « وداع الشمس » . ويقع فى مائة درجة من خطوط العرض الربيعية ، ومائة درجة من خطوط الطول الجمالية .

واذا انت انعمت النظر اليه فى الخريطة ، تجده نسرا طليق الجناحين ، متجها نحو العلى فى عزة وشمم وكبرياء .

مساحته :

وتقدر مساحته بآلاف السواقي والجداول ومآت من الغدران والشلالات ، وعشرات من السهول التى تجري لتلحق مداها الرحيب فلا تستطيع ، فتفنى فى سرعتها .

مناخه :

ومناخه دائما مشبع بنسمات النخيل والدوالي ولهاث الغزلان وعطر الارز واريج فواكه الثلج .

فالقباب الساحلية الغربية والشمالية تهب عليها فى الليالي نسائم الند والعود والبخور وعبير النجوم ، ومع الضحى تبعث اليها خيوط الشمس اناشيد الفلاحين والحصادين والترابين ، واهازيج الرعاة ، وهدير الحمام ، وثغاء الحملان ، وسقسقة الاودية . والجهات الشرقية والجنوبية يوقظها فى السحر هبوب من صياح الديوك ، ومزامير الغابات ، وحداة الجمال ، وفى المساء يلاعبها اريج الشفق الاخضر الصاعد من الغاب والخمائل والمروج وحومة الاعشاب .

صيفه مؤتمرات دولية للجمال تعقد فى الشواطىء وفى الخيام ، فى الغابات والنجود والجبال ، فى شاطىء «مرتيل» ، وفى سهل «كتامة» ، وفى خمائل «يفران» . وشتاؤه مباريات فى ملاعب الثلوج الموشومة بالارز ، فى منزلقات « ميشلفين » ، ومنحدرات جبل « الهبري » ، واساطير من البطولة تروى فى المسامرات على الاحفاد فى البيوتات والاكواخ ، على نغمات الموسيقى الاندلسية . وخريفه عرائش من الرمان ، وعناقيد من الخوخ ، وقطوف النشوة من الكروم ، وحلب الندى من ضروع الغمام . وربيعه سلال من الزهور والنجوم والاشعار ، وشلال من الالحان والانغام والطيوب ، ورباب خلف الروابي ، ومواويل فى الوادي .



تحية جلالة محمد الخامس

لشاعر البلاط السعودي الأستاذ
احمد بن ابراهيم الغزاوي

قدوم به (الامجاد) تزهو ، وتشرق … و (زلفى) بها الاسلام يشدو ، ويعبق
ويوم به (التاريخ) يفتر باسما … ويلهج بالملك العظيم – وينطق
بذي العزة القعساء ، بالعاهل الذي … تهادى به (نجد) وتهتف (جلق)
بمن ملأ الدنيا دويا كفاحه … (ابو الحسن) البر ، التقي ، الموفق
ومن جمعت فيه المحاسن وانضوت … بافيائه العلياء وهي تحلق
(محمد) وابن (الراشدين) ذوي الحجى … حماة الحمى والكوكب المتألق
فحيهلا بالاصيد الاروع الذي … بسيرته الاعناق تسمو وتسمق
بمن كاد يفنيه الحطيم (وزمزم) … عن الوصف ، والاطراء وهو يحدق !
بمن هو فى (ام القرى) بين شعبه … وبين ذويه حيثما هو يشرق

* * *

نظرت اليه فى (المطاف) فخلته … ملاكا بعطفيه السنا يتدفق
وما حل ضيفا من (سعود) محمد … ولكنه الصنو الصديق المصدق
وليس (سعود) واحدا فى اهابه … ولكنه شعب وعرش وفيلق ! !
مجدد امجاد الخلائف والذي … مآثره هيهات تحصى ، وتلحق !
ورافع سمك (المسجدين) وهاهما … قرينان (للحمراء) اذ هي تسمق
وفى المسجد الاقصى المبارك حوله … اياديه لم يمنن بها وهو ينفق
توشى بابراد الخلود تجاده … وللحمد ، ما اسدى ، وما هو يغدق

* * *

وما (فيصل) الا (سعود) شقيقه … و (صارمه البتار) ايان يبرق
هما لك يابن (الايمنين) كما ترى … صديقان صديقان من حيث ترمق

فلا غرو ان تلقى (الجزيرة) كلها ... به لك تمشي الخيزلي وتصفق
تبثك اشواقا عميقا قرارها ... ومصدرها الاعجاب يطفو ، ويعمق
بانك حقا من (سعود) (حبيبه) ... وانك منه ما تود ، وتعلق

* * *

شقيقان كل منكما في عرينه ... به امة التوحيد تزهى ، وتطبق
فمشرقنا منكم بشطآنه مغرب ... ومغربكم منا بشطيه مشرق
وفيك التقى الشعبان قربى مودة ... كما في سعود فالنا يترقرق
يحييك عنه في المشاعر متعب ... وفي كل ما ترضى به يتطلق
وحولك من بيض الوجوه احبة ... محياك فيهم بالضحى يتمشق

* * *

ومهما تنائى بالجسوم ازديارنا ... فارواحنا تدنو بنا وهي تخفق
تهب بها انسامنا في اعتلالها ... اليكم ، وتستجلي الرؤى وترفق

* * *

وما وحدة العرب ، التخوم ، وانما ... قلوب بها الاخلاص عهد ، وموثق
وما مثلهم في الناس شعب ، بانهم ... اقاموا حدود الله فهي تطبق

* * *

عوائقنا تفريطنا ، وانتصارنا ... شريعتنا والوعد حق مصدق

* * *

كذلك كنا ، في الورى خير امة ... وكالسابقين ، الاولين نوفق

* * *

ولله يا خير الملوك مواقف ... صمدت لها ، والساهرات تؤرق
لدن كل هماز اثيم ، ومترف ... يحور ويهذي بالصبوح ويفهق
فآثرت ان تبني لشعبك صرحه ... عتيا واشجاك الاديم الممزق
ومكنك القهار مما ابتغيته ... ولاقى الالاقى العابث المتمخرق

* * *

وها انه رده العروبة والضحى ... له الراد من اشعاعه بك يشرق

هو الدولة الكبرى هو المغرب الذي ... به نتباهى ما ارتجزنا ، ونسبق
بلاد هي المجد التليد ، وانها ... لاجدر بالمجد الطريف ، واخلق
بها احترز الدين الحنيف بمارز ... هو العربي ، المغربي المحقق
وفيها استوى عرش الابوة عاليا ... ومنها المحيط الاطلسي يطوق
على رفرف تلقاءه انقض طارق ... ومن دونه الافاق تعنو ، وتطرق

*
* *

تحييك منا يابن يوسف (مكة) ... و (طيبة) و (البيت الحرام) المخلق
تحييك (ابها) و (الرياض) و (حائل) ... وكل اديم تحت وطئك يورق
بهالك اخطاط (الرباط) و (طنجة) ... و (مكناس) (البيضاء) وهي تبلق
اذ الطير من فوق الغصون شدا بها ... اعاد (حراء) شدوها وشرقرق
ولجت بها تهفو اليها مصيخة ... (دمشق) و (بغداد) و (مصر) و (طبرق)

*
* *

ارى المغرب الاقصى سجلا مذهبا ... به نحن نستمري الحفاظ وترحق
وشائجنا فيه ومنه دماؤنا ... واعراقه اعراقنا وهي تعبق
تخب اليه شاخصات قلوبنا ... واخوتنا فيه الشقاق المصفق

*
* *

سقى الله من (مراكش) كل ايكة ... وكل خميل بالشقائق يونق
اليها من البيت العتيق تحية ... مفلفلة يفتن فيها الشوق
يرنحها الشهر الحرام الى الاولى ... محاريبهم في كل ربض تنسق
شباب ، واشياخ بهم تصدح الربا ... ويحكي جرير شدوهم والفرزدق
تبث حنايا شجونا مستحثة ... على كل ما يحيي التراث ويطلق
تراث (رسول الله) شرقا ، ومغربا ... وشرعته الغراء وهي تألق
بنو عمنا من (هاشم) و (كنانة) ... و (عليا معد) و (الحفاظ) المنطق
ابى الله الا ان يكونوا نواصيا ... وما منهمو الا المجلى ، المحلق
وما برح الاسلام فيهم ممنعا ... ومن باسه يخشى العدو ويفرق
بهم تضرب الامثال وهي روائع ... وتفتخر الاجيال وهي تملق
همو حفظوا عهد الرسالة واغتدوا ... مصابيحها والليل بالليل يطبق
وما زال فيهم كل شاك ، ومعلم ... وكل كمي شاوه ليس يلحق
تسدده الاهداف حبا بوحدة ... معاقلها الجمع الذي لا يفرق

وما بهرت رغم الفواشي عيوننا
لنا مثل اعلى عليه ازدحامنا
به وهب الله المغانم كلها
وفي ظله كان الفتوح وما عسى

حضارة من نقوا ، وعقوا وشقشقوا
هو الوحي لا ما احدثوه ؛ وبذرقوا
ومهما تواصينا به نتفوق
يكون ؟ لو انا بالتناصح نصدق ؟

*
* *

هنيئا لك الشعب الذي بك عزه
هنيئا لمقداك المبارك عمرة

وطوبى لشعب انت فيه تألق
بها الروح تسمو ، بالتقى وتحلق

*
* *

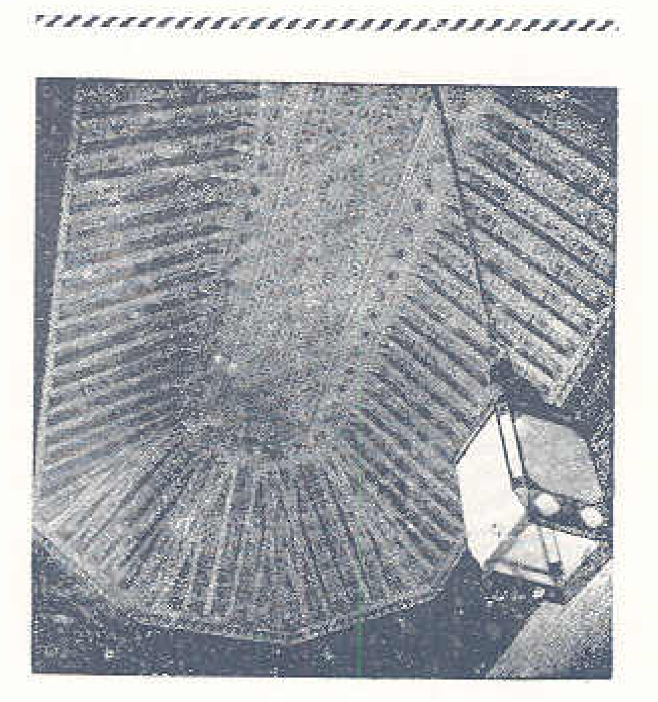
بهالك باسم الله ترجى بشارة
ستحظى به فرضا ونفلا باذنه

هي الحج فاسلم ، انه لمحقق
وحجك مبرور ، وظرفك اوفق

*
* *

تقبل منك الله سعيك ؛ وارتقى
وحيا ولي العهد فيك ؛ وصنوه

بك المغرب المحظوظ ما هو اسمق
اريج به الريحان والزهر يعبق



سقف مزخرف باحدى قاعات قصر الباهية بمدينة مراكش
ويرجع تاريخ زخرفته الى القرن التاسع عشر

لقاء الملك

للشاعر اللبناني الأستاذ :
ابراهيم بري

وفد المليك العبقري الى الحمى ... يا فرحة فيها الزمان تكرما
هو موسم العلياء مر بارضنا ... بالمسرة ؛ قد بلغنا الموسما
لبنان من شطآنه لجباله ... بسط الانامل للمليك وسلما
لبنان باسم هلاله وصليبه ... حياه ؛ حيا المغرب المتقدما
كان الحمى جهم الاديم فمذ بدا ... بربوعه ضحك الحمى وتبسما
والارز حاول ان يفوه مرحبا ... ولو استطاع تكلما لتكلما
حمل الحروف بثغره لكنه ... فقد الشجاعة فاستحى وتلعثما
وعلته حمرة عاشق متيم ... فالارز اصبح بالمليك متيما

انت الذي ضرب العدو بسيفه ... فهوى العدو على الثرى وتحطما
غضبت فرنسة ؛ ما بسطت امامها ... كف الرجاء ، ولا غمزت لها فما
فنفتك للجزر البعيدة ؛ فاقتدى ... منفاك افقا ضم فيه الانجما
ان الدخيل بطبعه اعمى فلا ... يلقاك الا بالغباوة والعمى

لولاك مارات الجزائر فجرها ... ابدا وظل الليل فيها مظلما
فكان فجر العرب ليس بمشرق ... الا على افق تخضب بالدما
حسبت فرنسة بالجزائر جنة ... فرات على ساح الجنان جهنما
جيش الخلاص ادرت انت جهازه ... جيش تدير جهازه لن يهزما
فانجد شباب العرب ؛ خذ بجدارهم ... من قبل ان يهوي وان يتهدما
والشرق ظمآن لجرعة مخلص ... فاسكب له ؛ كيلا ينهنهه الظما
فاذا هتفت الى الوغى ؛ فالى الوغى ... واذا وثبت الى السماء فالى السما
واذا اشرت الى النضال تقدموا ... زحف الشباب الى الوغى وتقدما
واذا انطلقت لصد غارات العدى ... فمن الذي يلقي القضاء المبرما ؟
اتعيش « اسرائيل » بين جفوننا ... شوكا ونبقى فى الاسرة نوما ؟
ان ترحموا النغل اللئيم فانه ... ان يظفرن ، فلن يرق ويرحما
الوحدة الكبرى الخلاص فركزوا ... اوتادها كي تسلموا ولتسلما
وجمال رائدها ، وانت عمادها ... قطبان بينهما العدو تحطما
وشهاب حاميها الامين ؛ وعهده ... فجر المحبة سل فى هذا الحمى
والشعب ؛ شعب العرب خلفكم مشى ... جيشا على ساح الجهاد عرمرما

فجر وحدتنا الكبرى

للشاعر الاردني الاستاذ:
سيف الدين الكيلاني

اهــل ركب العــلا والمجـد لماحــا ... من مغرب العرب فوق الشرق وضاحا

حفت بـه هالة الامجـاد مشرقـة ... تسابق الفجـر انـداء واصبـاحـا

من (عترة البيت) يزكو عرفها ارجا ... عبيـره عطـر الاردن فـواحــا

يشيـع مقدمـه الميمـون اغنيــة ... تشيـع فى العــرب الحانا وافراحا

وحلقت فيـه اشعـاري مجنحــة ... نشوى تعب من الامجـاد اقداحـا

يانـــر مراكش اهــلا ففي وطنـي ... صنـو يعانـق اقدامـا واصلاحـا

لطـالمـا داعبت عينـي وتبتكـــم ... هذي المنى لم تعد فى العين اشباحـا

اضحت يقينا وحل اليمن ساحتنـا ... انعم بكم ملكـا اكـرم بهـا ساحـا

ثبت حولي سراعـا حين ابصركـم ... صحائف المجـد ريحانـا وارواحـا

وليت عـرشك فى سـن مبكـرة ... نمت فى حنكـة ما مثلها لاحــا

اخذت من جدكـم ادريس حكمتـه ... بمـا اتى (ينبعـا) للخيـر متاحـا

كانمـا وصـل الماضـي بحاضـــره ... وجدد الشبل ذات العـزم طماحـا

طوفت تنشـــد للاوطـان رفعتهـا ... وحيثمـا سرت كنت المسك نفاحـا

قارعت حكـم فرنسـا ثابتـا شممـا ... وفـاض فيك فم التاريـخ مداحـا

هم ابعدوكا (لكرسيكـا) فروعهـم ... فى دارهم منك ليث كلمـا صاحـا

ومـا دروا ان نابليـون مغـربنـا ... اعـز فى اصلـه غرسـا وادواحـا

وابعـدوك (لمـاداغشقـر) هلعـا ... فثـار شعبك كالبركـان مجتاحـا

والشعب ان ثـار فالرحمن ناصـره ... ما شع قائـده فى الخطب مصباحـا

فاذعنت دولـة الباغيـن صاغـرة ... وطاف نصرك راحـا بـدت الراحـا

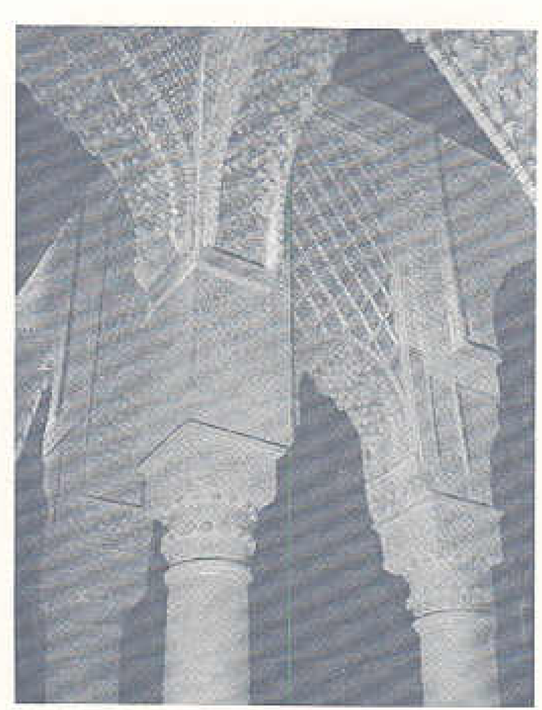
قالوا العــلا احكمت ابواب معقلهـا ... فقلت ما انفك منك العـزم مفتاحـا

ايا محمـد اولى القبلتيـن هفـا ... محرابهـا لسليـل البيت مـماحـا

يمد نحـوك والاحـداث محدقـة ... فى فرحـة قلبـه المكلـوم مرتاحـا

راى بلقياكما آماله انتعشت ... توحد الجهد اوطانا وارواحا
راى الرباط على اردنه جذلا ... يعانق القدس جدلانا وصداحا
يداكما بلسم شاف لنكبتنا ... ستستعيدان ما سلبوا وما راحا
مذ وحدت صفنا الاردن ، عاهلنا ... ما انفك يبني لراب الصدع الواحا
يسير والخير فى اردانه عبق ... وجاز افق العلا والمجد مطماحا
اكرم بمسعاكما صقري عروبتنا ... ففجر وحدتنا الكبرى لقد لاحا
اذ الجزائر باتت تستجير بكم ... مسرى الرسول بما يشكو لقد ناحا
غدا سيمحق « اسرائيل » جيشكما ... ويمحقان على (اوراس) سفاحا
ويعلم الغرب انا امة خلدت ... سفر البطولات يغني الكون ايضاحا

هذا جلالكما قد حار فيه فمي ... لايستطيع قريض منه افصاحا
تحية الشعر والاردن عاطرة ... اليكما فبمكنون الهوى باحا
فدى لعرشيكما صيد غطارفة ... سكنتما قبلهم سعيا واصلاحا
لازلتما فرقدي امجادنا انفا ... وفوق بنديكما التوفيق وضاحا



جانب من مقبرة الملوك السعديين بمدينة مراكش



للشاعر الأستاذ :
ادريس حسن العلمي

نظمت هذه القصيدة في شهر غشت من سنة 1954 اي بعد مرور عام على ابعاد ملكنا المحبوب عن عرشه ، عندما ناءت نفسي بحمل همومها واحزانها والح عليها الشوق والحنين الى الحبيب العظيم المنفي . وكان عبثا ان نشدت السلو والعزاء في مباهج الطبيعة التي طالما هدهدت آلامي وجلت كآبتي ولم ينفعني ايماني القوي بان تلك الظروف العصيبة انما كانت ظروفا استثنائية لا يسوغ استمرارها طويلا ، ولم افلح في التخلص من تلك الحالة النفسية الخطيرة التي كادت تودي بمعنويتي الا بالتوجه الى الله في حرارة واخلاص وهناك في ظل هذه القوة العظيمة الازلية وجدت نفسي الضعيفة الخائرة ما كانت تنشده من سكينة واطمئنان وصفاء .

ادريس حسن العلمي

لدى منبع النور ، مهد السناء   زها الفجر رونقه والسماء
وفي صفحة النهر ناعمة   بلمس النسيم ورقص الضياء
وبين الخمائل اطيارها   تطربها بلذيذ الغناء
وعند المروج ، وعطر الزهور   وعند الهضاب ، وسحر المساء

نشدت لروحي الرضى والصفاء

دلفت الى البحر وقت المغيب   وقد اسكر البحر وصل الحبيب
وذابت غزالته رقة   وشاع حنان وصفو غريب
فاغريت روحي بأن ترشـ   ـف فيض الصفاء الشهي القريب
وأن تدع الطهر يغمرها   ويضفي عليها السكون السليب
ولكن روحي ما برحت   مغلقة في وجوم كئيب

تحرقها لفحات اللهيب

غدوت الى السفح أرعى الجبل   كسته الثلوج بهي الحلل
وابدته كالحب عذب الصفاء   خلوب البريق كومض الامل
وكالحق يسطع لألاؤه   جريء الوثوب صريح الجذل

فما ثلجت لمجاليه نفسي   ولا انفسلت من ركام الوحل
وما لمس الصفو اشجانها   ولا أخمد القر تلك الشعل

كان عن الروح حتى انفصل

ورحت بقلب صريع الضجر   اعلله بطلوع القمر
اذكره بجميل العهود   وسالف انسهما بالسمر
وفيضهما بالصفاء البهيج   ورقصهما في مياه النهر
وحلمهما عند نبع الغدير   ولهوهما بظلال الشجر
يرفان بالأمنيات العذاب   ولا يحفلان بدنيا البشر

كان امنا ضربات القدر

ولما جلا الهالة الناصعه   ومد اشعته الساطعه
واضفى على الكون حسنا وديعا   وروحا من الفرحة الواسعه
ولبت نداء الجمال النفوس   وناهزت الفتنة الشائعه
ففي كل نفس سنى مشرق   وفي كل قلب منى رائعه
تفقدت نفسي فالفيتها   تروعها ظلمة قامعه

وتنهبها حسرة لاذعه

هنالك ساءلت روحي الصلود   وقد هالني منها فرط الجمود :
ترى هل نضبت وغاض بقعـ   ـرك نبع الشعور الشهي الورود ؟
وحطت عليك غياهب ليل   رهيب الوجوم ثقيل الركود ؟
وقصت جناحيك كف عسوف   فاخلدت ولهى بكهف الوجود ؟
كفاك ! . . . شقيت بهذا الظلام !   بهذا الجفاف ! بهذا الهمود ! ! . . .

فاين الضياء ؟!! . . واين النشيد ؟!! . .

وبين نشيج ورجف نحيب   تنهدت الروح « أين الحبيب ؟ »
فاين الذي يستفيض الصفاء   لبسمته وتزول الكروب ؟
فاين الذي طالما قد هفونا   اليه بقلب جموح الوجيب ؟
وطرنا اليه باجنحة   من الشوق لايعتريها لغوب ؟
نحن اليه ويحنو علينا   ويأسو الجراح ويجلو الخطوب ؟

فكيف العزاء وامسى غريب ؟ ! ! . . .

تولت عهود وجاءت عهود ... ولات زمان الرضى والسعود

فليت حياتك تلك الحياة ... وليست وعودك تلك الوعود

لقد اظلم الكون فى خاطري ... وشاهت ملامح هذا الوجود

واصبحت لا استطيب النعيم ... ولا اتذوق غير الشرود

فيارحمة الله ان حبيبي ... ترامته ايدي الفراق بعيد

حنانك رباه ! ... هلا يعود ؟ !

وصلت لبارئها فى ابتهال ... وقد غمرتها معاني الجلال

ترف وتسكن خاشعة ... مرنحة من سمو الوصال

تسامى بها فوق مجرى الزمان ... وحررها من وثاق الرمال

وشاع الضياء بآفاقها ... وفاض الشعور بسحر الجمال

وعادت وفى وعيها نشوة ... وروح على عزيز المنال

زهاها الرضى واستباها الكمال

ونادتني الروح اثر الصلاه : ... « شقاؤك ـ صاح ـ بلغت مداه

سموت الى حيث لا ترتقى ... هموم ولا يتعالى طغاه

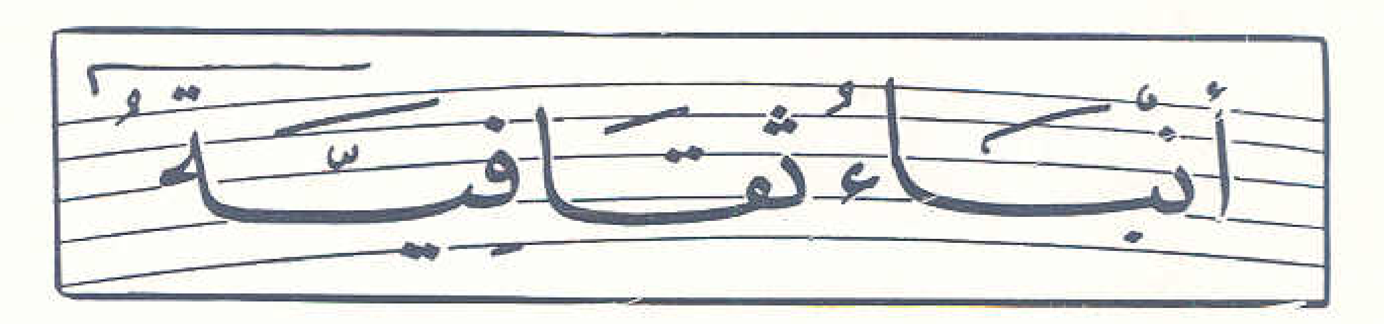
لئن دهمتك الخطوب العظام ... فلا تسلكن سبيل العتاه

ولا يظلمن فؤادك حزنا ... فما فى الظلام سبيل النجاه

ولكن تسلح لدفع العوادي ... وليس سلاحك غير الصلاه

وطا هامة الخطب مبتسما ... وخض بي غمار مآسي الحياه

وجدت الصفاء بظل الاله



* تقرر اقامة المهرجان الملكي المغربي لسنة 1960 من 18 الى 30 مارس الحالي . وسيشارك في هذا المهرجان الكبير اجواق غربية .

* علمنا انه تأجل عقد مؤتمر الموسيقى الاندلسية العربية المزمع عقده في المغرب الى سنة 1961 .

* زار المغرب اخيرا خمسة من الصحافيين المصريين بدعوة من جلالة الملك وهم : حبيب جاماتي، صلاح جودت ، محمد عبد القادر حمزة ، اسماعيل جبروك ، عبد السلام داود . وقاموا بجولة عبر المدن المغربية الكبيرة ، وكانوا محل حفاوة كبيرة .

* وقعت اتفاقية ثقافية بين المغرب والجمهورية اللبنانية .

* نظم متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك معرضا للصور الفتوغرافية للفنان الامريكي ويليام موري يضم عددا من الصور بالاسود والابيض ، واطلق عليه اسم « الشعب المغربي » . وقد صرف الفنان موري سنتين في المغرب التقط فيها اهم مناظره الطبيعية الجميلة ، وحياة الشعب المغربي .

* مثل المغرب في مؤتمر الصيدلة العربي بالاسكندرية الذي عقد اخيرا بها السيدان البشير بن شقرون من وزارة الصحة وعبد القادر بن العباس من المجلس الوطني للصيدلية .

* نظمت الجمعية الملكية لهواة الطوابع البريدية « يوم الطوابع » بمدينة الدار البيضاء قصد اطلاع الجمهور على مختلف الطوابع البريدية . وقد خصص مدخول هذا المهرجان لفائدة منظمة التعاون الوطني .

* زار المغرب اخيرا المستشرق الانجليزي ر.ب. سارجنت استاذ اللغة العربية في كلية لندن للدراسات الشرقية والافريقية . ولد هذا المستشرق سنة 1915 وتلقى علومه في كليتي ادنبره وترينتي في كامبردج. وله عدة مؤلفات حول الثقافة الشرقية الاسلامية . وقام بالقاء عدة محاضرات في المدن الآتية : مراكش ، الدار البيضاء ، تطوان ، مكناس ، الرباط .

* من المعارض التي سيشارك فيها المغرب هذه السنة : معرض شيكاغو من 25 يونيه الى 5 يوليو ، ومعرض ليزبك من 28 فبراير الى 8 مارس ، ومعرض مونيخ من 11 الى 29 ماي ، ومعرض الفنون المنزلية بباريس من 25 فبراير الى 14 ماي ومعارض فلورنسا وميلان من 12 و 24 ابريل بالاضافة الى معارض القاهرة وتونس وغينيا .

* صدر بالجريدة الرسمية للدولة المغربية في عددها 2 465 قرار وزيري في تعيين أعضاء اللجنة الوطنية للتربية والعلوم الثقافية لمدة ثلاث سنوات نظرا لقبول المغرب باليونسكو وهم السادة : عابد العمراني ، حسن الزموري ، الادريسي المغروشني ، الحسن بناني ، عمر الساحلي ، ادريس بن جلون ، احمد السهيلي ، احمد بن الهاشمي ، صايب الصديقي ، علال الفاسي ، المهدي بن بركة ، محمد ملين ، الدكتور بن المختار ، عبد الله كنون ، عبد الكريم غلاب ، ابن سالم جسوس ، محمد الحبيب ، عبد القادر حسن ، احمد الزغاري ، احمد بن المليح .

* زار المغرب في المدة الاخيرة الرسام المصري المعروف حسين ابراهيم امين موفدا من مجلة « آخر ساعة » القاهرية ليقوم بكتابة ريبورتاجات مصورة عن بعض الدول الافريقية ومن بينها المغرب . وانتقل بين المدن المغربية ليجمع عنها المعلومات التي تهمه . ورسومه معروفة في العالم العربي ويمضيها دائما بـ « بيكار » .

* يشتغل الصحافي والكاتب المعروف حبيب جاماتي في كتاب عن المغرب .

❊ تألفت لجنة من الادباء بالقيروان لجمع تراث الشاعر التونسي المرحوم صالح السويسي .

❊ تجري في هذه الايام استعدادات بتونس لعقد مؤتمر بها في موضوع توحيد الانغام الشرقية .

❊ وافقت اليونيسكو على مشروع انشاء معهد عال في ليبيا .

❊ عادت الى الصدور في السودان مجلة «الشهر» بعد احتجاب طويل .

❊ تقوم استعدادات لعقد مؤتمر اسلامي تشارك فيه جميع الدول الاسلامية بما فيها الدول الافريقية . والغرض من عقد هذا المؤتمر هو دراسة وسائل تقوية التعاون بين الدول الاسلامية .

❊ سيجري بمدينة مراكش ابتداء من 21 ابريل المقبل الى 24 منه مهرجان عظيم للفلكلور المغربي احياء للذكرى المائوية التاسعة لتشييد عاصمة الجنوب .

❊ يعد المستشرق الاسباني باريخا كتابا بعنوان « دراسات عن الدبلوماسية في الاسلام » .

❊ اصدر محمد علي كمال الدين في سلسلة « الشرق الاوسط » كتابا بعنوان « الحضارة المصرية القديمة » .

❊ في المجموعة التي تصدرها دار المعارف بعنوان « مكتبة الدراسات الادبية » صدر كتاب عن حافظ ابراهيم شاعر النيل والكتاب يحتوي على دراسة تحليلية للشاعر وشعره . وهو ايضا بحث مقارن يعرض للفروق بينه وبين شوقي .

❊ « تاريخ الادب المسرحي » كتاب جديد للدكتور محمد مندور سيصدر قريبا بالقاهرة .

❊ صدر في فرنسا كتابان جديدان اولهما « غزو النار » والثاني « غزو الفضاء » وبعد ايام قليلة ظهر الكتابان باللغة الانجليزية .

❊ كتب سعد الدين دراسة عن الادب المصري باللغة الانجليزية بتكليف من جامعة منورافيا التي تضع الآن موسوعة عن الآداب الافريقية .

❊ الدكتور رمسيس جرجس الذي احتفل مجمع اللغة بالقاهرة بتأبينه في المدة الاخيرة ترك دراسات هامة عن الرئيس ابن سينا .

❊ حقق الدكتور علي سامي النشار ديوان ابي حسن الششتري الصوفي الاندلسي المغربي .

❊ استدعيت الف أم لحضور مؤتمر المرأة الاسيوية الافريقية الذي سيعقد في القاهرة في شهر ابريل القادم .

❊ بمناسبة مرور مائة سنة على ميلاد الفيلسوف الاميركي جون ديوي اصدر الدكتور احمد فؤاد الاهواني كتابا عنه تناول مذهبه في البرجماتية ، ونظريته في التربية الحديثة وآراءه في الدين والاخلاق والاجتماع والمنطق .

❊ شكلت بالاقليم المصري لجنة برئاسة العقاد لترجمة مجموعة من الكتب الكلاسيكية . يشترك فيها عثمان نويه وابو العلا عفيفي وثروت اباظة .

❊ « كلنا عرب » اسم كتاب يصدر قريبا لمحمد فهمي عبد اللطيف اثبت فيه بالادلة التاريخية أن جميع سكان الوطن العربي من المحيط الى الخليج يرجعون الى اصل واحد نبت من الجزيرة العربية .

❊ صدر عن دار القلم بالاقليم الجنوبي كتاب جديد للعقاد بعنوان « الانسانية بين المذاهب والسياسة » .

❊ ترجم الدكتور محمد القصاص الى العربية مسرحية بول سارتر « الباب المغلق » .

❊ « صور للعبقرية » كتاب من تاليف بياتريس سوندوز رسم فيه تخطيطات لاثنين وعشرين كاتبا من منتافي الى تشيخوف ، وشرح فيه معنى العبقرية وخصائصها .

❊ « افريقيا » اسم كتاب الفه اميل شولش عن رحلته في افريقيا من تونس الى الكاب .

❊ نشر معهد الدراسات العربية بالقاهرة كتابا عن الشيخ « عبد القادر المغربي » أحد زعماء الحركة الادبية والفكرية وممن حملوا رسالة الشيخ جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده . وقام بتأليف هذا الكتاب الدكتور محمد اسعد اطلس .

❊ تشتغل الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية باستكمال النسخة الناقصة من كتاب « مختار الاغاني » لابن منظور .

❊ يقوم محمد الخطيب عباس بترجمة مسرحية « الذهب » للكاتب الاميركي يوجين اونيل الى العربية بتكليف من مشروع « الف كتاب » .

❊ جمعت جميع اشعار ابراهيم ناجي في مجلد واحد واصدرته وزارة الثقافة بالقاهرة .

❊ سيحتفل بالقاهرة في هذا الشهر ـ مارس ـ بالعيد الذهبي للمسرح العربي الذي مر على تأسيسه مائة عام .

❊ ظهر في القاهرة كتاب « تاريخ الآداب العربية » الذي الفه المستشرق الالماني الدكتور كارل بروكلمان مترجما الى اللغة العربية في ثلاثة أجزاء . وقام بترجمته الدكتور عبد الحليم النجار . ويعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما في تاريخ ادبنا العربي .

❊ تم بالقاهرة لاول مرة طبع القرآن الكريم بطريقة بريل وسيوزع على 23 دولة اسلامية .

❊ اثيرت ضجة في الصحف المصرية حول كتاب « الايام » لطه حسين الذي اتهم بان مؤلفه نقله عن كتاب مغمور للدكتور احمد ضيف عنوانه « الشيخ منصور »

❊ لاول مرة يتعرض نجيب محفوظ لهجوم عنيف حول « اولاد حارتنا » التي مس فيها حرمات الانبياء على نقد الشيخ محمد أبو زهرة استاذ الشريعة في كلية الحقوق بالجامعة المصرية الذي القى محاضرة على طلابه تهم فيها نجيب محفوظ بمساسه بحرمة الدين الاسلامي وابنائه الذين نزل بهم الى الحارة . وتقول الصحف المصرية بان هذه المعركة هي اخطر معركة ادبية منذ كتاب « الشعر الجاهلي » لطه حسين .

❊ صدر في القاهرة اخيرا كتاب « المعتمد بن عباد » وهو آخر كتاب الفه الفقيد الدكتور عبد الوهاب عزام .

❊ يوجد تحت الطبع الآن مصحف باللغة الانجليزية ساهمت في طبعه وزارة الاوقاف المصرية والازهر . وستبعث نسخ منه الى الجاليات الاسلامية في أوربا وأميركا .

❊ تجري الاستعدادات لتنظيم مؤتمر اسلامي جديد تشارك فيه جميع الاقطار الاسلامية بما فيها الافريقية والغاية من هذا المؤتمر دراسة الوسائل الكفيلة بتعزيز التعاون الاسلامي . وستقترح ج . ع . م . من جهتها اعادة تنظيم المؤتمر الاسلامي واستحالته الى منظمة شعبية لا حكومية كما هو الحال اليوم . وستوجه دول اسلامية اخرى الدعوة لتوثيق العلاقات بين بقاع العالم الاسلامي سعيا الى تكوين كتلة اسلامية ذات وزن في ميدان التوازن الدولي .

❊ انتهى العقاد من تاليف كتاب عن عبد الرحمن الكواكبي . وسيصدر له في هذه الايام كتاب عن الشاعر الاسباني خوان رامون خيمنيث الذي فاز بجائزة نوبل للآداب سنة 1956 .

❊ من 4 الى 7 فبراير عقد بالاسكندرية مؤتمر الصيدلية العربي الرابع .

❊ سيعقد في اواخر هذا الشهر بالقاهرة المؤتمر الثاني للعلوم الادارية لبحث توحيد القوانين والنظم الادارية في البلاد العربية .

❊ في المؤتمر الاخير الذي عقده مجمع اللغة بالقاهرة عرضت للبحث مواد حرف الالف من المعجم الكبير .

❊ أصدر الدكتور محمد حميد الله العضو بمعهد البحوث الفرنسي كتابا في جزئين عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

❊ اعد الدكتور صلاح الدين المنجد سجلا للخطوط العربية جمع فيه نماذج من الكتابة العربية منذ اقدم العصور . ويحتوي هذا السجل على 200 لوحة من الخطوط والمخطوطات المصورة .

✻ « شيوخ الادب الحديث » عنوان كتاب جريء اصدره حبيب الزحلاوي في هذا الشهر . وفي الكتاب اتهامات لشيوخ الادب جاء فيه : محمود تيمور كريم في دعواته الاصدقاء الى الموائد . نقد الدكتور طه حسين كالقاطرة البخارية في الاطناب والاطراء . الدكتور بشر فارس متطور الى لا شيء . موقف العقاد في مناقشات حمار الحكيم موضع الطعن . تيمور كذب على التاريخ وزيف الاحداث التاريخية وبز طه حسين . وقد احدث هذا الكتاب ضجة ادبية عنيفة .

✻ انتهى علي الجندي من الاقليم المصري من ضبط ديوان الشاعر البرديني .

✻ اقيم احتفال بالاسكندرية بذكرى وفاة الشاعر « كفافيس » الذي ولد بالاسكندرية عام 1863 وامضى صباه في لندن ثم عاد الى مصر وعمل موظفا بوزارة الاشغال ومات في الاسكندرية عام 1933 وقد كتب باللغة اليونانية عشرات القصائد في تمجيد الاسكندرية

✻ اعد المجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة اول مرجع من نوعه في تاريخ الحركة العلمية بالجمهورية ع.م. وهو يتضمن اسماء الذين حصلوا على جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية منذ انشائها في مختلف ميادين العلم مع نبذة عن تاريخ كل واحد منهم .

✻ ثلاثة كتب جديدة تصدرها ادارة الترجمة الاول « المستذلون والمهانون » لدستويفسكي ترجمة عصام الدين حفني ناصف ومراجعة محمد القصاص والثاني « فلسفة اليوجا » ترجمة عريان سعد ومراجعة الدكتور مصطفى حلمي . والثالث « مجموعة قصص » لفلوبير ترجمة ايلى حكيم .

✻ الامام احمد ابن تيمية الذي تعتبر آثاره موردا عذبا في الشرائع والاحكام سيقام له في الاقليم المصري مهرجان بمناسبة مرور 650 سنة على وفاته .

✻ تقرر في القاهرة وضع موسوعة عربية في شتى فروع القانون على غرار الموسوعات الاوربية والامركية .

✻ يصدر قريبا لمحمود تيمور « قصة اللهب » و « ذكريات من ايطاليا » .

✻ صدر كتاب « القومية العربية عقيدة وكفاح » من تاليف محمد غانم .

✻ في لجنة نشر المؤلفات التيمورية 15 كتابا جديدا جاهزة للطبع . قام الباحثون بتحقيقها واعدادها وكان العلامة احمد تيمور قد اعطاها من عمره سنوات هي سنوات انتاجه العلمي .

✻ اللغات الانجليزية والفرنسية والبرتغالية استقبلت في الفترة الاخيرة ترجمات لاعمال الفلاسفة العرب . فقد نقل دينبرج كتاب « تهافت التهافت » لابن رشد الى الانجليزية ، وترجم جواسون كتاب « حي بن يقظان » الفرنسية ، ونقل روزنتال « مقدمة ابن خلدون » الى الانجليزية ، وترجم يوسف الخوري هذه المقدمة الى اللغة البرتغالية . وكل هذه الترجمات تقرر نشرها على نطاق عالمي بعد ان قرر مؤتمر الفلسفة المنعقد اخيرا في كولوني اذاعتها على مستوى دولـــــــي .

✻ المراجع والكتب التي اصدرها المستشرقون في الشعر العربي ستنقل قريبا الى اللغة العربية . فقد عهدت لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والآداب بالقاهرة الى الاستاذ عبد الرحمن صدقي بنقل هذه النصـــــوص .

✻ كتاب مناهج البحث في علم النفس الذي الفه اندروز مع 11 استاذا بجامعة شيكاغو يقوم بترجمته الى العربية الدكتور صبري جرجس ومختار حمزة وعماد الدين اسماعيل وكمال شوقي وسمير مراد

✻ يعد جلال العشري كتابا يدرس فيه مجموعة من الاعلام العرب بينهم الافغاني ، ونعيمه ، وجبران ، واقبال ، وتنسيون ، وكيركجار

✻ تكونت لجنة بالمجمع اللغوي بالقاهرة لبحث اللهجـــات العربيـــة .

✻ اعد مجمع اللغة العربية بالقاهرة مشروعا لتيسير الكتابة العربية يقضي بتخفيض حروف الكتابة من 400 الى 150 فقط وسيعرض هذا المشروع الذي استغرق بحثه 18 سنة على مؤتمر المجمع اللغوي الذي يحضره علماء الدول العربية وذلك

تمهيدا لتنفيذ هذه الطريقة الجديدة للكتابة في مختلف البلاد العربيــة .

* عثر الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية على نص ترجمة لابن الراعي صاحب كتاب « البرق المتالق في محاسن جلق » منقول عن تاريخ « سلك الدرر » للمرادي .

* صدر كتاب بعنوان « ابو مسلم الخرساني » يتناول فيه مؤلفه محمد عبد الغني حسن بطريقة قصصية حياة الرجل وقيام الدولة العباسية .

* المؤتمر العلمي العربي الرابع الذي سيعقد في القاهرة في شهر شتمبر القادم سيدرس مشكلة جادة وخطيرة هي مشكلة ايجاد لغة واحدة للترجمة العلمية بحيث تكون المصطلحات العربية على نظام واحد في كل الكتب العربية .

* صدر في الايام الاخيرة بالقاهرة كتاب في جغرافية البلاد العربية يعود تاريخه الى القرن الرابع الهجري وهذا الكتاب هو « مسالك الممالك » للاصطخري . وكان علي باشا مبارك يحتفظ بمخطوطته وقد راجعه وحققه الدكتور جابر الحتين .

* سيطلق اسم المرحوم كامل الكيلاني على جوائز مسابقة قصص الاطفال تكريما له كاول رائد لادب الاطفــال .

* صادرت السلطات اللبنانية القصة المشهورة « لــوليتــا » .

* «مشارق انوار القلوب ومفاتيح اسرار الغيوم» هو اسم لمخطوطة لابن الدباغ ترجع الى سبعة قرون وقد اكتشفها المستشرق الالماني ريتر وطبعتها دار صادر بيــروت .

* اصدر الكاتب اللبناني ابراهيم عبده الخوري كتابا بعنــوان « تحت المجهــر » .

* منحت الجامعة اللبنانية لمكنا المعظم محمد الخامس الدكتوراه الفخرية في القانون في احتفال جامعي كبيــــر .

* سيعقد اول اجتماع من نوعه في الشــرق الاوسط لاساتذة الجامعات العرب ببيروت في شهر مايو القادم . فقد دعت الجامعة الاميركية هناك عشرات من الاساتذة من مختلف الجامعات العربية لحضور هذا المؤتمــر

* نعت الاردن اخيرا شاعرها الكبير عبد المجيد محمد سعيد الاصنح .

* ستصدر قريبا بالاردن مجلة لشؤون الآثــار والتاريــــخ

* صدر كتاب مذكرات فتاة عربية للشاعرة الفلسطينية سميرة ابو غزالة قدمته الدكتورة سهيــر القلمــــاوي .

* المواطن العربي الاول شكري القوانلي قطع شوطا كبيرا في كتابة مذكراته عن الاحداث التي مر بها والتي عاصرها وستنشر هذه المذكرات في أجزاء .

* يقوم احمد ناجي القيسي ، واحمد مطلوب ، والسيدة خديجة عبد الرازق الحديثي ، بتحقيق كتاب «التمام في تفسير اشعار هذيل» وهي مخطوطة نادرة لابن جني

* سيطبع المجمع العلمي العراقي كتاب «المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد وتأليف لجنة لهذا الغرض.

* باشر المجمع العلمي العربي بدمشق طبع ديوان الشاعر الراحل خليل مردم . وقد عهد الى نجل الفقيد عدنان مردم في تنسيق الديوان والاشراف على طبعــــه .

* تقام في دمشق في 10 ابريل المقبل حفلة تذكارية للفقيد خليل مردم

* اصدر الدكتور عادل العوا رئيس قسم الفلسفة بجامعة دمشق الجزء الثاني من كتابه الضخم « المذاهب الاخلاقية »

* في شهر يونيه القادم سيقام مهرجان كبير للشعر في دمشق .

* ستنشأ كلية جديدة للهندسة في دمشق .

* قررت لجنة الفلسفة والاجتماع بمجلس الفنون اقامة مهرجان للغزالي في يوليو القادم في دمشق . وسيستدعى اليه عدد كبير من المستشرقين وعلماء الفلسفة الاسلامية والتصوف .

* صدر للدكتور عبد الجبار جومرد بيروت كتاب بعنوان « هارون الرشيد » يحتوي على دراسة اجتماعية سياسية لعصر الرشيد

* صدر اخيرا كتاب « تاريخ العرب » للعالم الاصمعي المتوفي سنة 217 هجرية . وقد حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين

* اعد ناجي معروف كتابا عن « المدرسة المستنصرية » وهي اول جامعة أسست في العراق في العصر العباسي .

* منع كتاب « دروب القومية العربية » للدكتور عبد الله عبد الدائم من التداول في العراق .

* صدر في جزيرة العرب كتاب « الادب الشعبي في جزيرة العرب » لمؤلفه عبد الله بن خميس .

* أصدرت احدى دور النشر بيكين مؤلفا عن حياة النبي ص . ومؤلف هذا الكتاب هو لينغ ماو

* بلغ عدد المؤلفات المنشورة في السنوات العشر الماضية في الصين 12 000 كتاب عدا المؤلفات الكلاسيكية والمؤلفات التي يكتبها كتاب محليون غير محترفين . والجدير بالذكر انه لم يكن في الصين سنة 1949 سوى ثمان عشرة مجلة ادبية . اما الآن فهناك 68 مجلة . كما لم يكن في الصين سابقا سوى معهد واحد للابحاث الادبية . اما الآن فهناك تسعة معاهد . وفي سنة 1950 لم يكن في اتحاد الادباء سوى 401 عضو كما لم يكن هناك سوى مركز رئيسي وستة مراكز فرعية لهذا الاتحاد . اما اليوم فهناك عشرون مركزا فرعيا . ويبلغ مجموع اعضائها اكثر من ثلاثين الفا بينهم اكثر من مائتين من كتاب الاقليات القومية .

* قام اخيرا البانديت نهرو بوضع الحجر الاساسي لاول قاعة من قاعات الادب الغاندي في جامعة دلهي . وذلك لتسهيل دراسة المثل العليا الغاندية ، ونهج حياة المهاتما غاندي .

* اصدرت دار باول نف في مدينة فينا بالنمسا مجموعة من الكتب العربية مترجمة الى الالمانية وهي : « الطاجي وصل » لتوفيق الحكيم ، « نابغة الميضة » ليوسف السباعي ، « ابو عرب » لمحمود تيمور ، « نفق الحمار » لسعيد عبدة ، « المحفظة » ليوسف ادريس .

* غادر القارب المكتبي « عبد الله » ميناء برجن بالنرويج يحمل فيه مجموعة من الكتب تبلغ 3 000 لتوصيلها الى صيادي السمك وفلاحي الشواطيء . اعد مشروع هذه المكتبة – التي تعد أول مكتبة عائمة حتى اليوم – بلدية برجن .

* ستحصل وزارة الثقافة والارشاد في الاقليم الشمالي على المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات ايران .

* صدر الجزء الخامس والاخير من سلسلة التراجيديات الاغريقية الكاملة

* طبعة جديدة لقصة قديمة اسمها « اعدام رجل » كتبها نابوكوف مؤلف « لوليتا » ظهرت في المكتبات الآن .

* سيقوم قريبا مجمع العلوم في موسكو بنشر خمسة مجلدات من تاريخ الآداب الالمانية باللغة الروسية . وسيتناول المجلد الخامس منها تاريخ الادب الالماني منذ عام 1917 حتى يومنا هذا .

* نعت موسكو العالم السوفياتي الشهير كافريل تيكوف الذي يبلغ من العمر 85 سنة . وهذا العالم هو مخترع فرعين علميين جديدين : علم نباتات الكواكب ، وعلم الحياة في الاجرام .

* في تيرانا عاصمة البانيا مكتبة كبرى بها قسم خاص تحفظ فيه كثير من المخطوطات العربية القديمة التي لها قيمة ثقافية كبيرة ومئات المجلدات العربية القديمة في الفلسفة والتاريخ واللغة والدين والادب والفقه وغير ذلك من شؤون المعرفة . والكثير من هذه

الكتب مشهور في تاريخ العالم العربي نذكر منها تاريخ ابن الاثير ، وتاريخ ابن خلدون وجرجي زيدان كما نذكر بعض المؤلفات الادبية كمحاضرات الادباء وتفاسير القرآن الكريم كتفسير الامام على جعفر وتفسير فخر الدين الرازي . وتبذل عناية فائقة لحفظ هذه الكتب.

❋ بمناسبة مرور مائة عام على مولد تشيخوف قامت لجنة برأسها قسطنتين فيدين السكرتير العام لاتحاد الكتاب السوفييتيين بتنظيم عدد من مظاهر الاحتفال القومي منها : اصدار طبعات خاصة من مؤلفات الكاتب الكبير واخراج مسرحياته اخراجا جديدا وانتاج افلام مستلهمة من مؤلفاته . هذا عدا المعارض وحلقات الدراسة والرحلات المخصصة للاطفال واصدار سلسلة من طوابع البريد لتخليد ذكراه . وتشتمل الطبعة المئوية لمؤلفات تشيخوف الكاملة على اثنى عشر مجلدا تصدر في الاتحاد السوفياتي في ثلاث وسبعين لغة بالاضافة الى طبعة اخرى في ثلاث مجلدات ستصدر في خلال السنة الحالية الى جانب سلسلة من المؤلفات لاتزال في سبيل الاعداد وهي « مختارات من قصصه الفكاهية » و « تشيخوف كما يراه معاصروه » ومجموعة من الدراسات بعنوان « تشيخوف والمسرح » وسيقوم قسم اللغة والادب — وهو احد اقسام اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي — باعداد دراسة تتجه الى الاخصائيين في تاريخ الادب ستصدر في مجموعة « تراثنا القومي » وستشتمل هذه الدراسة على وثائق لايعرفها حتى الآن الا القليلون مثل المخطوط الاخير لمسرحية « الاخوات الثلاث » وهو مخطوط عثر عليه في وثائق مسرح الفن في موسكو ، ومثل النص الكامل لقصة تشيخوف الاخيرة « الخطيبة » . وكذلك تساهم وزارة التربية السوفياتية في تنظيم عدد من الاحتفالات المدرسية .

❋ « لنعش في سلام وصداقة » مجموعة خطب خروتشوف يشتمل عليها هذا الكتاب الذي طبع اخيرا في امريكا .

❋ في شهر غشت من السنة الجارية سيعقد في موسكو المؤتمر الدولي الخامس والعشرون للمستشرقين . ويعتزم المستعربون الروسيون ان يمثلوا في المؤتمر اعمالا تتضمن تحليلا عميقا لمختلف وجوه حياة الشعوب العربية . فيقوم المستعرب المعروف افقيني بلاتيف بتاليف بحث ضخم حول تاريخ العرب في العصر الوسيط . وستستخدم فيه تاثيرات علمية جديدة على العصر الوسيط العربي ويعرض كل من المستشرقين ل . كوتلوف ، و ا . فيدتشنكو بحثا عن النضال العربي ، وستهتم ن . لوتشكايا من معهد الدراسات الشرقية بتاريخ المغرب . وقد نشرت هذه الكاتبة اخيرا كتابين عن تاريخ المغرب وتحرره . ويعكف المستعرب السوفياتي شرياتوف على تاليف كتابين سيصدران في النصف الاول من هذا العام واحدهما يروي دراسة اللغة والادب العربيين من قبل علماء الفيلوجيا السوفيات ، ويتضمن جدولا مفصلا باسماء المؤلفات ، وسينشر باللغتين العربية والروسية ، والكتاب الاخير هو بحث في قواعد اللغة العربية .

❋ سحب الاتحاد السوفياتي مؤلفاته الادبية من معرض لندن للادب نظرا لانه لم يوقع على المعاهدة الدولية لحقوق المؤلفين .

❋ طبعت المانيا ثلاثة آلاف نسخة من كتاب « الايام » لطه حسين .

❋ طبع في المانيا كتاب « السموم » لجابر ابن حيان على الزنكوغراف منقولا عن اصله المطبوع بالحجر .

❋ صدر عن دار غاليمار الفرنسية اول كتاب نثري للشاعر الفرنسي المعاصر جاك بريفير وعنوانه « طفولة » يروي فيه ذكريات طفولته .

❋ نشرت اليونيسكو حديثا سلسلتين ملونتين خصصت احداهما للرسوم الفارسية الصغيرة المصاحبة لمخطوطات المكتبة الامبراطورية بطهران — وهي رسوم يرجع عهدها الى القرنين الخامس عشر والسادس عشر — وخصصت الاخرى للرسوم البوذية المنقوشة في مغاور آجانتا المعروفة بالهند .

❋ ستعرض قريبا في باريس اولى مسرحيات فرنسواز ساغان التي انتهت من تاليفها في المدة الاخيرة وهي بعنوان « قصر السويد »

❋ بنوا ميشان ، الكاتب الفرنسي ، اصدر اخيرا كتاب « الربيع العربي » وهو من الكتاب

الفرنسيين الاحرار وقع معه ثلاثمائة من ادباء فرنسا يحتجون على حكومتهم بسبب تفجيرها القنبلة الذرية في صحراء المغرب ، ومن بين الموقعين كذلك عدد من الاساقفة والقس والصحفيين والفنانين .

* وجهت جماعة من الكتاب والشعراء والفنانين الاسبانيين الكبار رسالة الى وزارة العدل بمدريد يطلبون فيها السماح بضرورة عودة الكتاب الاسبانيين المهاجرين في البلدان اللاتينية منذ الحرب الاهلية الاسبانية الى وطنهم .

* احتفل اخيرا في بريطانيا بذكرى العالم الانجليزي تشارلس داروين واضع النظرية المعروفة باسمه .

* قال الشاعر ت.س. اليوت انه احيانا لايفهم بعض قصائده التي كتبها في اوائل حياته . ومنذ خمسين سنة وهو يكتب الشعر . وله من العمر الآن 71 سنة .

* اصدر تشرشل كتابا يتحدث فيه عن حياته السياسية بعنوان « تشرشل مع المصير » .

* أعلن العالم البريطاني ماكدونالدكرمتشيلي ان اللغات المستخدمة الآن ستفقد امكانياتها كوسيلة للاتصال وتبادل الراي وتنبا بانه خلال المائة سنة القادمة سيتفاهم الناس الكترونيا او بالايعاز الفكري كما ستصبح اغلبية الجنس البشري عاجزة عن القراءة والكتابة .

* تتحدث لندن في هذه الايام عن الهجوم الذي اصدرته المطابع اخيرا بعنوان « ارتفاع وسقوط سير انتوني ايدن » لتشرشل الابن . وقد ظهر هذا الكتاب وحاز اهتمام لندن في الوقت الذي تنشر فيه التايمز مذكرات ايدن .

* وقع الرئيس الاميركي السابق هاري ترومان عقدا لنشر كتابين احدهما يصدر في سنة 1960 بعنوان « السيد المواطن » يحكي فيه قصة حياته بعد خروجه من الرئاسة ، والثاني يصدر في سنة 1961 وهو مكتوب للناشئة من سن 10 الى 16 ويحكي فيه تاريخ اميركا كما ينبغي ان يعرفه هؤلاء الصغار .

* « حصاد الرحلات » اسم كتاب الفه مفامو هو هاموندليـر .

* اصدر المجلس الاميركي للجمعيات العلمية دراسة مستفيضة عن مفردات اللغة العربية كما نستعملها ، وليس كما هي موجودة في كتب الادب القديمة . اثبتت هذه الدراسة ان عددا من الكلمات العربية الجارية في الكتابة سواء في الصحف او في المؤلفات الحديثة هي 136 الف و 89 كلمة . وقالت نفس الدراسة ان للحرف « في » وحده 11871 صورة للاستعمال وخلاصة هذا الراي ان « في » هذه تقع في كلامنا على صور استعمالية جد مختلفة تزيد على الاحد عشر الف صورة .

* اصدر ميشيل كلارك مراسل جريدة النيويورك تايمز الاميركية كتابا يؤرخ احداث الثورة الجزائرية منذ عام 1943 .

* منويل ناجيرا شاعر المكسيك الكبير الذي تغنى العالم الاميركي اللاتيني باشعاره في القرن الماضي تترجم قصائده في هذه الايام الى اكبر اللغات العالمية احتفالا بمرور مائة عام على مولده .

فهرس العدد السادس ـ السنة الثالثة